# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد السادس والثمانين

١ فبراير سنة ١٩٣٥ — ٢٧ شوال سنة ١٣٥٣


# ارتقاء علم الفلك

## وتأثيره في التفكير الحديث

### الصورة الكونية الجديدة ومقتضياتها الفلسفية

في معرض «قرن التقدم» الذي انشئ في مدينة شيكاغو في السنة الماضية اقترح الاستاذ فرست Frost مدير مرصد يركيس سابقاً ، ان تضاء المصابيح الكهربائية في ساحات المعرض بواسطة شعاعة من نجم السماك الرامح. ولما كان سير الضوء من السماك الرامح الى الارض يستغرق نحو اربعين سنة ، فالشعاعة التي اضيئت بها المصابيح في معرض سنة ١٩٣٤ تكون قد صدرت من ذلك الكوكب حوالي سنة ١٨٩٤ وهي سنة معرض شيكاغو السابق ، فكانت بذلك صلة بين المعرضين استوقفت الانظار . ومما كان ادعى للعجب ان شعاعة من ضوء السيار زحل ، التقطت بواسطة تلسكوب في مدينة فلورنسا بايطاليا ، ونقلت نقلاً لاسلكياً الى شيكاغو فاستعملت في اضاءة مصابيح المعرض عند الاحتفال بيوم ماركوني فيه وذلك في ٢ اكتوبر سنة ١٩٣٣ . هاتان الحادثتان تدلان دلالة واضحة على الصلة الوثيقة بين علمي الطبيعة والفلك

وعلماء اليوم يعترفون بوحدة العلم ، مع انهم يقسمونه الى فروع تسهيلاً للبحث . وابلغ مثل على هذه الوحدة علما الفلك والطبيعة وعلم الرياضيات المتصل بهما اتصالاً اساسياً. فاي عالم يستطيع اليوم ان يرسم خطاً ويقول الى يمين هذا الخط ميدان علم الفلك والى يساره ميدان علم الطبيعة ؟ بل ان في الميدان المشترك بين العلمين تحت اعظم وجوه التقدم الحديث في كليهما

## الصورة الكونية الجديدة

فلننظر في علم الفلك . من المتعذر ان نتتبع في مدى مقال واحد نشأة هذا العلم القديم وتطوّرهُ . ولكن قد يجدر بنا ان نبيّن الاتجاهات الجديدة في البحث الفلكي وتحوُّلها واتساع نطاقها . فقد ظلّ علماء الفلك من اقدم العصور الى القرن الثامن عشر ، يوجّهون كلّ عنايتهم او جلّها الى النظام الشمسي . فكانت الارض اولاً في نظرهم مركز الكون . ثم حلّت الشمس محلّ الارض في المركز . وكذلك انفق جهد اولئك العلماء في دراسة حركات السيارات ومواقعها واقدارها وما يتصل بها من توابع . وكان من الطبيعي ان يهمَل درس النجوم . فالقدماء شاهدوها نقطاً مضيئة في القبة الزرقاء ، ولاحظوا انها ثابتة في مواقعها ولكنهم عجزوا عن الوصول اليها ، لان ادوات البحث الفلكي كانت تعوزهم . فلما استنبط التلسكوب اتجه الفكر اولاً الى فائدته استخدامه في دراسة الاجرام القريبة منا ، والى انتفاء هذه الفائدة من دراسة الاجرام البعيدة المعروفة باسم النجوم الثوابت . عند هذا الحدّ ظهر في ميدان العلوم الفلكية العلامة وليم هرشل . فقد كان هرشل بارعاً كلّ البراعة في صقل المدسات وبناء التلسكوبات . وكانت تحدوهُ نزعة قوية الى سبر رحاب الفضاء ومعرفة مدى الكون ، فحوّل عناية علماء الفلك من دراسة السيارات الى دراسة النجوم

وقد اتسع نظرنا في العهد الحديث حتى امتدّ الى ما وراء الحدود التي بلغها هرشل . ولكن هذا القول لا يعني اننا حللنا جميع المعضلات والمسائل الفلكية التي واجهها في عصره . بل في الواقع ان كشف الآراء الجديدة واستنباط الوسائل الجديدة للبحث والاستقصاء ، ارتدّ بطائفة من الفلكيين من دراسة النجوم والسدم الى دراسة السيارات وما يدور حولها من مسائل كانت تهم علماء الفلك الاقدمين . ولا يسع أحداً ان ينكر ان الشمس لا تزال في نظر علماء اليوم ، ميداناً من أهم ميادين البحوث الفلكية على الاطلاق

ومع اننا لا نزال نجهل كثيراً عن أمرتنا الفلكية الخاصة — النظام الشمسي بشمسه وسياراته ونجيماته وأقماره — ومع ان العامة لا تزال تهتم بتوجيه السؤال الى الفلكيين عن سكنى السيارات وخاصة عن سكنى المريخ ، نقول انهُ مع ذلك تمتدُّ حدود علم الفلك الحديث ، الى ما وراء نظامنا الشمسي ، بل الى ما وراء المجموعة النجمية التي وجّه هرشل اليها الانظار ، وعكف على درسها هو ومن تلاهُ ، نعني المجرّة

فوراء هذه المجموعة النجمية قطع من الكون المادي تعرف باسم السدم . وقد كانت من قبل تعرف باسم «السدم البيض» تمييزاً لها عن بعض سدم داخلة في بناء المجرّة نفسها ، ولكن لون الضوء المنبعث منها ليس أبيض . وكان هرشل نفسهُ قد تبيّن بعض هذه السدم ، فدعاها باسم لا يزال يطلق عليها الى الآن — أي «الاكوان الجزرية» — لانهُ حسبها نظماً متفرقة من النجوم منثورة في

وحاب الفضاء كالجزائر في المحيط ، فكان في ذلك مصيباً . ولكنهُ حسبها اتباعاً لمجرتنا وفي هذا أخطأ ، او أن رأيهُ هذا يخالف على الاقل الرأي السائد الآن

ومما لا ريب فيهِ ان هذه الاكوان ، وعددها ألوف الالوف ، نظم مؤلفة من نجوم او هي سائرة في طريقها الى ان تكون كذلك . ودرس ضوئها بالمطياف ( السبكتوسكوب ) يدلُّ على أنها شبيهة بمجرتنا ، فهي خليط من النجوم والقطع السحابية ( استعمال البتّاني )

ونحن مدينون بجلّ ما نعرفهُ عن هذه السدم الخارجة عن نطاق مجرتنا للتصوير الشمسي . فهي بعيدة عنا بعداً شاسعاً والضوء الواصل الينا من معظمها ضئيل لا يمكن تبيّنهُ الاّ بواسطة لوح التصوير الشمسي بعد تعريضهِ لضوئها مدة طويلة . ولذلك لم يستطع العلماء المحدثون ان يدرسوا درساً تفصيليًّا الاّ ما كان قريباً منها . ولكننا نستطيع على كل حال ان نرتبها بحسب أشكالها ترتيباً متدرجاً يدل على اتجاه تطوّرها . فمنها كتل غازية كروية الشكل ، ومنها ما هو مسطّح بعض التسطيح ، ومنها ما هو شبيه بحبوب العدس . وهذا التدرّج في التسطيح يشبهُ الادوار التي تمرُّ فيها كتلة كروية من الغاز كلما زادت سرعة دورانها على محورها . ولكن أغرب هذه السدم شكلاً هي السدم التي انطلقت من كل منها ذراعان في جهتين متقابلتين من النواة المركزية ، فأصبحت لولبية الشكل . وفي بعض السدم التي بلغت أقصى مراتب التطور تلاحظ كتل نجمية منفصل بعضها عن بعض شبيهة بعناقيد Clusters النجوم التي تشاهد في مجرتنا . وفي طائفة يسيرة منها ، تشاهد نقط فردة من الضوء هي في الراجح نجوم مستقلة ، مما يدل على ان تلك السدم التي ظهرت فيها هذه النجوم قد بلغت من مراتب التطور ما بلغتهُ مجرتنا

وقد كان الظنُّ في البدء متجهاً الى حسبان السدم الخارجة عن نطاق مجرتنا ، أصغر حجماً من مجرتنا ، أو هي على الاكثر تماثلها حجماً ، وان كتلة كل سديم منها يبلغ على وجه التقريب الكتلة اللازمة لبناء ألفي مليون او ثلاثة آلاف مليون نجم . ولكن البحوث الحديثة اثبتت ان هذا الرأي في حاجة الى التنقيح وان تلك السدم اكبر جدًّا مما كان يُظنّ

***

هنا يخطر للباحث سؤال وجيه : هل مجرتنا سديم لولبي ؟ كان الفلكي إستُن Easton اول من ذهب هذا المذهب . وجارتهُ ثلّة العلماء في ذلك . ولكننا في الواقع لا نستطيع ان نتثبت من ذلك لاننا لا نستطيع ان نشاهد المجرّة الاّ من نقطة في داخلها قريبة قرباً نسبيًّا من مركزها . وقد بيّن اورت Oort وغيره من البحاث ان هذا السديم يدور حول مركز واقع في ناحية « الراعي » دوراناً شبيهاً بدوران السيارات حول الشمس ، وان اجزاء السديم القريبة من المركز أسرع دوراناً من الاجزاء البعيدة عنهُ ، وان الاجزاء التي تبعد عن المركز بُعدَ شمسنا لا تتم دورتها الاّ في نحو ٢٠٠ مليون سنة

فلنلتفت الآن الى ما يعرف عن ابعاد هذه السدم . فقد اشرنا في ما تقدم الى ظهور نجوم

فردة في صور بعض السدم اللولبية . ومن هذه النجوم ما يشرق اشراقاً عظيماً في اوقات دورية نظيمة . وهذا يذكرنا طبعاً باشراق المنائر المشيدة على الشواطئ الصخرية ، اشراقاً دورياً كل بضع دقائق ثوان لهدي السفن . ونحن نعلم ان في مجرتنا نجوماً تشرق هذا الاشراق الدوري المتقطع . وهي تعرف بالنجوم القيفاوية Cepheids[1] . والذي يهمنا في هذا الشبه ، ان العلماء قد تبينوا علاقة وطيدة مطردة بين الفترة المنقضية بين اشراق واشراق ، ولمعان النجم الحقيقي . فكلما زادت الفترة بين اشراق واشراق ، دل ذلك على زيادة لمعان النجم . فاذا صح لنا ان نفرض وجود هذه العلاقة في النجوم المتغيرة في السدم الخارجية تمكنا بالمقابلة بين لمعان النجم الحقيقي ولمعانه البادي لنا ، من معرفة بُعد النجم . ثم ان علماء الفلك يستعينون بالنجوم الجديدة على تحديد بُعد السدم التي تظهر فيها . فاذا حددوا بُعد بعض السدم استطاعوا ان يحددوا بعد الباقي ، لأن النظرية السائدة الآن هي ان هذه السدم متماثلة حجماً ، فالفرق في احجامها البادية لنا سببهُ اختلاف بُعدها عنا . ويؤخذ من البحوث الحديثة القائمة على هذه الاسس ان اقرب السدم الخارجية الينا ، سديم المرأة المسلسلة Andromeda وسديم المثلث Triangle ، وكل منها يبعد عن مجرتنا نحو مليون سنة ضوئية ( السنة الضوئية هي المسافة التي يجتازها الضوء في خلال سنة سائراً بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية ) . وابعد ما عرف من هذه السدم حتى الآن يبعد ١٥٠ مليون سنة ضوئية . اي ١٥٠ ضعف بعد سديم المرأة المسلسلة عنا . والمتوقع انهُ متى تمَّ صنع التلسكوب الجديد الذي قطر مرآته ٢٠٠ بوصة ( قطر مرآة أكبر تلسكوب بني حتى الآن ١٠٠ بوصة وهو في مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا ) تمكن الباحثون من الكشف عن سدم تبعد عنا نحو ٣٠٠ مليون سنة ضوئية

***

يجدر بنا الآن ان نلتفت الى ناحية تبعث على الدهشة في طبيعة البناء الكوني . ذلك ان العلماء المحدثين وجدوا ان السدم الخارجة عن نطاق مجرتنا آخذة في الابتعاد عنا ، وفي الابتعاد بعضها عن بعض كذلك بسرعات عظيمة . وان أبعدها عنا اسرعها ابتعاداً . أما الحقيقة المشاهدة التي بني عليها هذا الرأي ، فهي جيود الخطوط في طيوف هذه السدم نحو اللون الاحمر . وهذا الجيود يشبهُ بصفير قطار آخذ في الابتعاد عنا ونحن وقوف في المحطة . فأمواج صفيره ، وهو آخذ في الابتعاد تميل الى الطول . كذلك جيود الخطوط في الطيف نحو الاحمر يدلُّ على أن امواج الضوء الواصلة الينا من هذه السدم يميل الى الطول لان أمواج اللون الاحمر أطول من امواج الالوان التي قبله في الطيف اي البرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي . ولكن سرعة ابتعاد هذه السدم ، التي يثبت على هذه الحقيقة المشاهدة — حقيقة جيود الخطوط الطيفية نحو الأحمر — عظيمة جداً

(١) دعيت كذلك لانها شبيهة بالنجم المعروف باسم « دلتا قيفاي » وهو اشهر هذا الطراز من النجوم

وتبلغ الوف الاميال في الثانية . وهـذا يعني ان الكون آخذ في التمدُّد والاتساع بسرعة عظيمة . فاذا مضى على ذلك نحو ١٣٠٠ مليون سنة تضاعف قطره

لا يهمنا هنا ان ننظر في أقوال مؤيدي هـذا الرأي واقوال معارضيهِ . فالكون في نظرية اينشتين الاصلية متصف بالاستقرار وبالتحدُّب فهو كالكرة غير محدودٍ ولكن لهُ نهاية ، فتحدب الكون يمكن تشبيههُ بتحدب فقاعة من الصابون

ولكن ثمة من العلماء من لا يسلّم بأن التحدُّب صفة الكون ، وان ما نعرفهُ الآن لا يسوّغ لنا ان نحكم حكماً فاصلاً في الموضوع . فقد يكون الكون اقليدسيًّا بعد كل ما قيل . وفي طليعة هؤلاء العلماء الاستاذ ملن Milne الانكليزي وقد بنى على هذا الرأي نظرية جديدة . ولكن يظهر ان تفرّق السدم أمر لا شكَّ فيهِ وقد أثبت الاب لمتر ان كوناً مليئًا بحسب قواعد النظرية النسبية ، يقتضي هـذا التفرُّق . وعليهِ فالكون سائر الآن في سبيل التفتت من حالتهِ الاولى اذ كان حافلاً بالمادة الكثيفة الى حالة جديدة تلطف فيها المادة المائلة الفضاء بتشتتها حتى يصبح كأنه والفراغ سواء . وهذا ما بيَّنهُ العالم ده ستر الهولندي قبل وفاتهِ من عهدٍ قريب

فلننظر الآن في بعض الآراء الجديدة التي تقوم عليها نظرتنا الكونية الحديثة . ففي منتصف القرن الماضي أخرجت نظرية التطوّر وتأيدت اجمالاً بالبحث تأييداً قاطعاً للريب في صحتها ، وقد أصابها بعض التعديل ككل نظرية جديدة ، وكان معظم هـذا التعديل في ميدان الفلك . فنظرية لابلاس السديمية لم تثبت على البحث مع ان السر جيمز جينز قد بيَّن ان النظرية السديمية هذه قد تصدق على تطوّر السدم الخارجية في بعض مراتبهِ . ولكن ثمة وجوهٌ اخرى في التطوّر الكوني ، فاما التغيير . فالتطوُّر بحسب قول الفيلسوف سبنسر هو التحوُّل من البسيط الى المركب ، ومن المتماثل غير المستقرّ الى المختلف المستقرّ

ولكن هذا لا يتفق على ما يظهر اتفاقاً دقيقاً مع الحقائق المعروفة اليوم . فلا يمكن ان يقال ان التطور الكوني سائر في اتجاه واحد ، كسير قافلة السيارات في شارع وحيد الاتجاه ، لان كثيراً من الافعال الكونية له وجهان . فالشموس تبنى من المادة الغازية المشتتة التي تتألف منها السدم . والعناصر الثقيلة تبنى في الراجح من ذرات أبسط العناصر نعني الايدروجين . ولكن يقابل ذلك انحلال العناصر المشعة الثقيلة الى ذرات عنصر أبسط منها ، وثمة كذلك انطلاق مقادير عظيمة من الطاقة من الشموس لا بدَّ ان يكون لهُ أثر في تغيير بناء الكون كما نعرفهُ

خذ مثلاً على ذلك شمسنا . فقد انقضت عليها عصور متطاولة وهي تسكب الحرارة والضوء في الفضاء . ولنصيب الارض منهما لا يزيد على جزء من الف مليون جزء من مقدارهما الاصلي . فكيف نعلل مقدرتها على المضي في هذا العمل مدى هذه العصور الطويلة ، وكيف تستطيع ان تمضي فيهِ في العصور المقبلة . قد يكون بعض الطاقة في الكون ناشئاً من بناء ذرات العناصر الثقيلة من

ذرات الايدروجين ، وبعضها من انحلال العناصر المشعة الثقيلة الى عناصر أبسط منها . وبعضها ناشيء من تقلّص أقطار الشموس على أثر انطلاق مقادير كبيرة من طاقتها . ولكنّ السر جيمز جينز يذهب الى ان معظم الطاقة المنطلقة ناشيء من فناء المادة بتحوّلها الى إشعاع . والمعروف ان شمسنا تفقد ٤ ملايين طن من كتلتها كلّ ثانية بالاشعاع . فلعلّ هذا الفعل كما تشاء فلا يسعنا الاّ أن نقول بأن الشمس لا تستطيع ان تمضي في هذا الى الابد

***

وهذا يفضي بنا الى الناموس الثاني في علم الحركة الحرارية ( الترموديناميكس ) ومؤدّى هذا الناموس ان كل عمل ( بالمعنى الطبيعي ) يقتضي انفاق قدر من الطاقة فتعود هذه الطاقة غير صالحة لاحداث عملٍ جديد . او بكلمة اخرى أن مقدار الطاقة في الكون لا يتغيّر ولكن الطاقة الصالحة للعمل تتحوّل الى طاقة غير صالحة للعمل . فحين يتحول آخر قدر من الطاقة الصالحة للعمل الى طاقة غير صالحة لهُ تحين نهاية الكون

واذن فنحن لا نعدو الحقيقة اذا شبّهنا اتجاه التطوّر الكوني بسير قافلة السيارات في شارع وحيد الاتجاه . ولكن الاتجاه في التطور الكوني هو عكس ما كنا نعتقد . اما فكرة سير الكون الى نهايةٍ تعجز فيها طاقتهُ على احداث الافعال الكونية فليست جديدة . ففي كتاب وضعهُ الدكتور فيسنّ سنة ١٨٩٩ ودعاهُ « التقدم الحديث في علم الفلك » قال في فصل « حياة النجم » : « واذ تتوالى العصور يضعف ما في الكون من الطاقة الفعّالة . فاذا تمثّلنا ما يقوله العلم الطبيعي في افعال الطبيعة لم نجد فلسفة عن تصوّر الكون في نهايته مجموعة من المادة الهامدة تذكاراً لعوالم الشموس »

نعم ان نهاية الكون على هذا الوجه لا يتوقعها العلماء قبل انقضاء الوف الملايين من السنين . ولكنها مع ذلك ليست مما يستسيغهُ طائفة من العلماء والفلاسفة . لذلك ترى ملكن يذهب الى ان الاشعة الكونية تدلُّ على تولّد العناصر الثقيلة في رحاب الفضاء من ذرّات العناصر الخفيفة وخاصة الايدروجين وان الايدروجين يتولد من الطاقة ، فالكون في نظره يبتدىء حيث ينتهي او يولد ولادة جديدة . ولكن هذا الرأي لم يفز بتأييد علماء الطبيعة حتى الآن

والقى الدكتور طولمن Tolman خطبة امام الجمعيتين الرياضية والطبيعية باميركا في دسمبر سنة ١٩٣٢ ذهب فيها الى ان علم الترموديناميكس من الناحية النسبية يبيح لنا ان نتصور الكون يتمدّد ثم يتقلّص في ادوار طويلة متعاقبة وانهُ في تمدُّده تضعف طاقتهُ ، وفي تقلّصه تعود فتقوى . ولكن الدكتور طولمن حذّر سامعيه من خطإ التسليم بهذا الرأي النظري على انهُ وصف للواقع

## بعض مقتضياتها الفلسفية

نقف الآن عن المضي في وصف المكتشفات الفلكية الحديثة ، لنحاول تبيان تأثير المعارف الفلكية الجديدة في التفكير الحديث . وقد يتردّد الكاتب في الاقدام على هذا العمل . ولكن

التقارب بين العلم والفلسفة من اظهر المميزات التي يتصف بها العهد الحديث . فقد كان من المحتوم ان ينفصل العلم عن الفلسفة في البدء . ولولا انفصاله لما اتيح لهُ ان يسير في معارج الرقي . لان خضوع الفلسفة لاقوال الائمة يضيق الخناق على العلم . وكان لا بدَّ للعلم من التجربة والامتحان رائدين لهُ في طريقهِ الجديدة . لذلك نحن نجلُّ اولئك الروَّاد من العلماء الذين اقدموا اولاً على تنكب السبيل المطروق فاوذي بعضهم وعذّب ، ولكنهم تعاقبوا ابطالاً في الكفاح فاحرزوا حق تحرر العلم من قيودهِ . ومع اننا نعترف ببعض نقائص الفلسفة في العصور المتوسطة يجب ان نعترف كذلك بأن رجالها وضعوا قواعد التفكير السليم واصولهُ . فالمنطق والترتيب المنطقي دم العلم وعصبهُ . واذا كان فلاسفة العصور المتوسطة قد حالوا دون تقدم العلوم ، فانهم ولا ريب ابدعوا الشرائط الفكرية التي جعلت ذلك التقدم مستطاعاً . وها نحن أولاء نرى العلم يقترب من الفلسفة في عهدنا . وغدت الفلسفة تؤاخي العلم . ففلاسفتنا علماء ، وبعض علمائنا فلاسفة . وعلى عناق العلم بالفلسفة يعلّق أملنا في الوصول الى الحقيقة

فلننظر الآن في ناحية أو ناحيتين من نواحي التفكير الحديث ، محاولين ان نتبين تأثير المكتشفات الفلكية والطبيعية الحديث فيها

كانت عقيدة العلماء حتى أواخر القرن الماضي ، متسمة بسمة « المادية » . فالمادة كانت مؤلفة من دقائق صغيرة صلبة ، قائمة في كونٍ جميع صلاتهِ وقواه مطلقة تسيطر عليها نواميس طبيعية لا تحيد يمنةً ولا يسرةً . ولكن نظريتي « النسبية » و « المقدار » ( الكوانتم ) قد عدّلتا معتقداتنا تعديلاً أساسيًّا . حتى الاثير الذي كان في نظر علماء القرن الماضي ، متخللاً جميع الاجسام والرحاب ، قد أصبح صورة ذهنية مجرّدة او هو ليس شيئاً على الاطلاق . وعادت ذرات ديمقريطس ودلتن الصلبة ، كتلاً او مجموعات من الشحنات الكهربائية ، وغدت هذه الشحنات لا تعدو كونها تشويهات أو تجمدات في « الفضاء — الزمن » . ثم ان مقاييس الطول والزمن التي كنّا نحسبها مطلقة لا تتغير أمست تختلف باختلاف المشاهد وحركتهِ . فالمادية بمعناها القديم قد انهارت ، ولا وجهى لها كفلسفة للطبيعة الآ اذا بدّلنا معنى لفظها تبديلاً أساسيًّا . واذا قيل ان المادة لا تزال مادة ، مهما يختلف نظرنا اليها ، قلنا ان المادة نفسها قد أصبحت بعد قيام المذهب الكهربائي في بنائها ، غير ما كنّا نحسبها . فالذرات المادية ليست الاّ شحنات كهربائية دقيقة بينها فراغ عظيم

ومن الآراء القديمة التي لا تزال تكافح في سبيل البقاء ، الرأي القائل بان الكون آلة حرّكت في العصور المتغلغلة في القدم وانها سائرة الى خاتمتها المحتومة . لذلك حاول علماء القرن التاسع عشر ان يعلّلوا الطبيعة وافعالها بنواميس الميكانيكا . وقد قال احد امرائهم لورد كلفن في ذلك : « انني لا اكتفي حتى استطيع ان اصنع مثالاً ميكانيكيًّا لرأي ما . فاذا استطعت ان افعل ذلك استطعت ان افهمهُ » . ولكن الاعتقاد في الجبرية المطلقة rigid determinism قد ضعف بعد المكتشفات

الحديثة في الاشعاع وتصرُّف الكهارب داخل الذرّات . وهذا حمل الاستاذ هيزنبرج على اخراج مبدإ «عدم التثبت» ومؤداهُ انهُ يستحيل تعيين موقع كهرب وسرعتهِ في آنٍ واحد . هذه المكتشفات والمبادىء الجديدة ، يراها العلماء المحدثون مما يتعذر التوفيق بينهُ وبين الرأي الميكانيكي او السببية المطلقة . وهذا افضى الى تغيير في نظرتنا الى النواميس . فاننا عدنا لا نحسبها مطلقة ، وانها تصف وصفاً مطلقاً نواحي الطبيعة ، بل هي في نظرنا الآن لا تعدو كونها ، احتمالات كبيرة او نتائج احصائية غالبة . وانما يجب ان نقول في هذا الصدد ان اينشتين وبلانك لا يسعان بهذا الرأي كل التسليم . ويذهبان الى ان رأينا في السببية المطلقة مبعثهُ جهلنا . ولبعض كبار العلماء اقوال مأثورة في هذا الصدد منها قول السر جيمس جينز : « ان تيّار المعرفة متجه الى حقيقة غير ميكانيكية »

وقد افضت هذه المكتشفات والآراء الى نشوء فلسفة جديدة تعرف بالفلسفة « الكلية » Holism زعيمها الاستاذ هوايتهد والجنرال سمطس وفكرتها الاساسية ان الكلّ ليس مجموعة اجزائهِ فقط بل ان لتنظيم organisation هذه الاجزاء شأناً كلّ الشأن في الصفات التي يتصف بها « الكل »

***

ولا يسعنا ان نختم هذا البحث من دون ان نشير ، الى تحسُّن العلاقة بين العلم والدين . فرجال الدين اليوم ارحب صدراً واكثر استعداداً لدراسة الآراء والحقائق الجديدة ، ورجال العلم غدوا اقل تحكماً واضعف ثقة بأحكامهم الشاملة . ان مفكري العصر الحديث يعترفون بان العلم والدين يمثلان ناحيتين مختلفتين ، غير متناقضتين من نواحي العقل البشري ، ويذهبون الى ان الواجب يقضي على العلم ورجالهِ بوجوب المضي في البحث عن الحقيقة غير مقيدين بالمذاهب الفلسفية والعقائد الدينية

بيد انهُ في الحياة اعتبارات روحية لا يستطيع العلم ان يزنها ويقيسها بموازينهِ ومقاييسهِ ، تحملنا على التشوق الى المثل العليا ، والنزوع الى الجمال والحق والصلاح ، فنتصل عن طريقها بذلك العقل المبدع . قال الاستاذ اينشتين : « يرتفع بعض الافراد الممتازين في الامم التي بلغت مرتبة سامية من الحضارة بفكرتهم الدينية . الى مرتبة عالية من الشعور الديني ادعوه «الشعور الديني الكوني» . وليس باليسير تفسيره لمن لا يحسُّ بهِ . لانهُ لا يشتمل على صورة قد صنعت على مثال الانسان . ولكن من يحسُّ بهِ يدرك بطلان الرغبات الزائلة والاغراض الانسانية الصغيرة ، ونبل النظام العجيب الذي يكشف عنهُ في عالم الطبيعة وعالم الفكر

« فكيف نستطيع ان ننقل هذا الشعور الديني من إنسان الى آخر اذا كان لا يمكننا ان نصوّر قد صورةً حسية ما ولا يأذن بطبيعتهِ في بناء فقهٍ دينيٍّ عليهِ ؟ ان أسمى وظائف العلم والفن في نظري هي ان تثير هذا الشعور وتغذيهُ وتحفظهُ متقداً في صدور الناس

« ومن هنا نصل الى نظر جديد في علاقة العلم بالدين يختلف كلّ الاختلاف عن النظر المألوف . ولقد صدق من قال بأن الناس المتدينين حقاً في هذا العصر هم رجال البحث العلمي . . . . »

شخصية شهر فبراير — ٢

# ميجيل دي أونامونو

## Miguel de Unamuno

بقلم « م »

في أبريل ١٩٢٥ بباريس اصدر الكاتب الاسباني المرحوم ثيثنتي بلاسكو ايبانييث كتابهُ عن الجمهورية الاسبانية المرجوَّة الذي احدث زلزالاً في دوائر الادب والسياسة . تختمهُ بهذه الجملة التي تحيل ان ابناء وطنهِ سيتخذونها للحكم عليه في المستقبل . قال :

« بلا وجل انظر الى المستقبل لانهُ سيقول عني : كان في وسعه ان يظلَّ على الهامش ولكنهُ خاض المعركة رغم اقتناعهِ بأنهُ لن يربح شيئاً بل يخسر كثيراً . انضمَّ غير متردد الى ميجيل دي اونامونو وادواردو اورتيجا المجاهدين ببسالة في سبيل الكرامة الاسبانية قبل تحقيقها ودون تبصر في هل كان صحبه في الجهاد قليلين او كثيرين . اعطى البقية الباقية من حياته لاحياء اسبانيا ، لنصرة الجمهورية ، ولم يكن لهُ الاَّ طمع واحد : ان يشغل المكان الاول المتطرف البارز في خط الهجوم حيث يتلقى الضربات الاشدَّ هولاً اذ تنقضُّ عليهِ مُحكمة قاضية ... » (١)

***

مجرد ذكر اونامونو في مستند خطير كهذا يلخص تاريخ نشاطهِ في سياسة اسبانيا خلال الاعوام العشرة الاخيرة . وهو تاريخ كنتُ اود تجاوزه لاهتمامي بالشخصيات الادبية والفنية والفكرية وحدها في هذه الدراسات ولإغفالي الحركات السياسية عموماً ، على اهميتها . غير ان العمل السياسي كان من التمازج بحياة اونامونو الادبية — ومن الانفصال عنها في آن واحد — بحيث يتحتم تسجيله لتكشف لنا ناحية جدَّ جوهرية من تلك الشخصية الفذة

(١) كتاب Vicente Blasco Ibañez "Por España y contra el Rey"

ان هذا الرجل صاحب المكانة الرفيعة جداً في العالم الادبي الدولي ، ظلّ اعواماً طويلة مديراً لجامعة سلامنكا الشهيرة باسبانيا يدرّس فيها اللغة اليونانية القديمة وعلم المقارنة بين اصول اللغتين اللاتينية والاسبانية ، ويصدر الى جانب ذلك الكتب والابحاث والدراسات والتآليف في شتى الموضوعات. الاّ انهُ ، من عزلته العلمية والادبية ، انبرى يعارض ديكتاتورية بريمو دي ريفيرا وزعم حركة سياسية عنيفة ضد ذلك النظام مما عرّضهُ لغضب اولي الشأن يومئذٍ فأخرج من وطنه الى المنفى ... المنفى القريب الجميل في جزر كناريا وفي هانداي الفرنسية عند تخوم اسبانيا، يقول خصومهُ السياسيون

وفي المنفى ارتبط بإيفانييث بروابط الصداقة ، على ما بين المزاجين من شديد تغاير واختلاف . فأوناموثو كله روح وعواطف وانفعال نبيل ، في حين ايفانييث كله جسد وحواس وشهوة مضطرمة . اولها الفكر الفلسفي الادبي الشعري جميعاً تعفّفي وتكرّر وتلطف في شذوذ منطقي (ان صح الوصف) خاص وعمق بعيد وعلوّ خارق . والآخر هو عاصفة المغامرة في معامع الارتباك والجلبة وفي مشاكل العشق الذي يتقد جمراً ويقطر دماً وسط ملاعب مصارعة الثيران والمشاهد الدموية العنيفة المحببة الى الجماهير . وقد كتب ايفانييث كثيراً — وكان كاتباً قديراً خلاّباً — على ان روايته المعروفة عن مصارعة الثيران وعن حياة أحد المصارعين وغرامياته ، انما هي وصف بليغ لمزاج الكاتب نفسه [1] . بيد ان الفوارق بين مزاجيّ الرجلين اختفت حيناً في النضال السياسي لغاية واحدة

وما انهارت الديكتاتورية خرج دي ريفيرا يلتمس طريقه الى المنفى حتى انقلب اوناموثو يلتمس طريقه من المنفى الى الوطن . فغادر هانداي سيراً على الاقدام مع بعض صحبه السياسيين وطافه حاكم المدينة مودعاً باسم الحكومة الفرنسية . ومشى في مظاهرة عظيمة لتتلقاه بلاده بحفاوة اعظم وسط الالوية الحمر وصدح الموسيقات ودويّ الخطب والاناشيد الملتهبة وهرج الجموع الزاخرة وتصفيقها . «الكرنفال الديمقراطي بحذافيره هجّ حول فيلسوف سلامنكا» — على نحو وصف بعض الكتّاب الاوربيين الذين لا يختلفون لاوناموثو آراءه الديمقراطية الجمهورية

***

اعلنت الجمهورية في اسبانيا سنة ١٩٣١ فاذا بأوناموثو يصبح عضواً بمجلس النواب ويتولى الاشراف على تنظيم المعارف العمومية . وارتفع صوته عالياً في عديد المسائل الوطنية وبخاصة ضد الحركات الانفصالية في الاقاليم مقاوماً مطالبة قطالونيا بنظام اللامركزية ، للاحتفاظ بمبدإ الوحدة القومية. وشاع في الغرب ان الثورة الاسبانية « فولتيرها » الذي يناضل ويحارب بضربات لفظية متفرقة تتغذى بالحكم العلميّ البريء والنكتة الفلسفية الساذجة في الظاهر وانهُ لا يجامل في نكتته احداً حتى

(١) رواية "Sangre y Arena" وقد ترجمت الى الفرنسية بعنوان « Les Arènes Sanglantes »

ولا المذهب السياسي الذي يؤيده وهو فيه احد الذين يمثلون الشعب . ومن ذلك انه يوم اجتماع الكورتس الجمهوري لأول مرة وصف النواب بأنهم « أطفال باحذية جديدة »...

اما المقالات التي ما فتىء ينشرها في صحيفة إلسول (الشمس El-Sol) بمدريد ، وقد طالعت بعضها منذ ايام ، فهي تحفٌ في فن الانشاء وفي تنسيق الافكار المفاجئة ، ويصفونها بالشاذة الحيّرة لأنها لا تستقر على اساس من الاسس التي ينعتها اهل السياسة بالوطيدة ، ففيها يبدو اونامونو جمهوريًّا ومونوقراطيًّا ، ديمقراطيًّا وارستقراطيًّا ، متديّناً وعلمانيًّا ، متعبداً وملحداً في آن واحد . ولو اراد هذا الرجل لكيّف بلاده كالعجينة بيده . ولكنهُ اصدق نزعة فنية وأعرف بالطبيعة الانسانية واوفر حرية روحية من ان يريد . واونامونو الشيخ الذي يناهز الآن السبعين ، طفل في تعرضه لجميع المؤثرات الروحية وكله معارضات ومناقضات ومغالطات في نظر الذين يسجنون الحياة على ورقة في بنود التشريع

أثورة اسبانيا فولتيرها ؟ ان اونامونو اصدق موهبة من فولتير وأبعد حكمة واوجع شعوراً واسنى جوهراً لانه اكثر طهارة واقل خبثاً . لاينقصهُ من فولتير سخريته وتهكمه ودعابته ، ولكن ليس فيه شيء من مراوغته وتلونه ودهائه

انهُ رجل قلق يتعذب . وايمانه الحيُّ بالحياة لا يعصمهُ من آلام الارتياب ، وحبه للروح وللجمال لا يحول دون اعترافه بأن المثل العليا تنهار احياناً فاذا بها اجزاء محطمة تتعفر في الثرى عند موطىء القدم...

بعد قيام النظام السياسي الذي أيدهُ على انقاض النظام الذي دحرهُ وسط مظاهر الحماسة والاكبار من مواطنيه ومن الغرباء المؤيدين ، كتب كلمة ... فقال : «يالجوعي الى الانفراد !» ( Oho hombre de soliturd ) . وهذه الكلمة وحدها تصف الرجل كله . اية علاقة يمكن ان توجد بين الروح المعاني الذي يسبق عصره الى الادراك ويتجوهر فيه نكالُ جميع الازمان وجميع الاجيال ، وبين صخب الفرح في الجماهير وتغلب نظام سياسي على نظام سياسي ؟ ان صاحب الفلسفة العلمية الكبرى في جامعة سلامنكا ، الاديب السجين في برج من البلور ، الحكيم المنفي عن بهجات الحياة اليومية العادية ، الشاعر الذي يعرف كيف يبدع من العدم عوالم واكواناً — انه لأكثر عند الحياة مطالب وأعسر رغبات وأبعد مقتضيات من ان يتعزّى بالشهرة الرخيصة ويتغذّى بمظاهر النجاح في طغيان العاطفة الوطنية . أهو يغالط ضميره وينكر وجدانه ويسمم فنه باستسلامه لما لا يتفق واقتناعه السليم — كما يتهمه منافسوه ؟ ولكن اين هو اقتناعه السليم ؟ أهو يمشق الشذوذ للشذوذ نفسه — كما يتهمونه — لاعباً بالآراء والافكار لعب القطمع الفأر فيقبض عليها بقوة ليفرطها في سهولة ثم يعود يجري وراءها يداعبها وعندما لا ينتظر ذلك احد ، يرمي بها ليأخذ بما يناقضها على خطٍ مستقيم ؟

يلوح لي من كتابات اونامونو انهُ يعالج شتيت التجارب والاختبارات علّه يهتدي الى الناحية التي يجد عندها الراحة لنفسه والمنفعة المضمونة للشعوب وللأفراد. هنيئاً للذين يتشبثون بمذهب أو نظام فيعلنونه الأمثل والأصلح لسعادة العالمين! اما اونامونو فأرحب من ذلك فكراً او اكثر اخلاصاً، او اقل نفاقاً، او اصدق تمكناً من صميم الحياة . . . وقلق روحه الرحيبة انما هو قلق الاجيال الجديدة في هذا العصر وفي جميع العصور. انهُ يدرك استحالة التوفيق بين المبادىء المحبوبة الموروثة وبين الوقائع والمقتضيات المفروضة. اكثر من اي أحد سواه هو يدرك ان تطبيق الحوادث على المبادىء غير ميسور وهو مع ذلك لا يدري كيف يتفلّت من ربقة الحوادث ليتحصّن في استقامة المبادىء. والنفاق الذي يسري بين جميع الأمور معلناً اشياء بينما هو يحقّقُ أشياء أخرى ليس من شيمته ولا هو يحذق فنهُ وهو، بلهجة الدعابة، يعلن احتقاره للآخذين به

***

وهو بعد ذو رأي آخر في الرقيّ. إنهُ يحقت الكلمات التي يذيعها هذا العصر عنواناً للتقدم ويصارح بمقته دون مواربة أو مداورة. فيقول:

«عليَّ قبل كل شيء ان أعلن اني كلّما أمعنت في التفكير اكتشفتُ في نفسي كراهة عميقة لما يعتبرونهُ مبدأً قائداً للروح الأوربي الحديث ورائداً للرشاد العلمي الذي يفرضون اليوم علينا نزعاته وأنظمته. وثمت أمران يذكرانني كثيراً، هما العلم والحياة. وعليَّ ان اعترف بأن هذه وذاك إليَّ بغيضان (Antipáticos). ليس من الضروري تعريف العلم الذي ينشرونهُ ليلينا فكرة منطقية واكثر انطباقاً على الكون. عندما كنت من أنصار سبنسر كنت أظن نفسي شغوفاً بالعلم ولكني اكتشفت خطأي، خطأ الذين يظنون انهم سعداء وهم ليسوا بسعداء. لم أشغف يوماً بالعلم، بل كنتُ أبحثُ دائماً عن شيء وراء العلم. وعندما حاولتُ تقطيع خيوط النسبية في العلم لأجتلي حقيقتهُ لم انتهِ إلاّ إلى منطقة «إني اجهل». وعندئذٍ أدركتُ ان العلم يعث فيَّ دائماً الملل. قد يسألني سائل بماذا أنت تعارض العلم؟ وقد أجيب: أعارضهُ بالجهل، ولكن هذا غير مؤكد. وقد أقول مع ملك أورشليم ابن داود ان الذي يجني علماً يجني ألماً وان النهاية الواحدة تنتظر العالم كما تنتظر الجاهل، ولكن الامر ليس هو هذا. لستُ في حاجةٍ إلى ابتكار لفظةٍ لأقول ما هي الحكمة (Sabiduria)، ولكن هل هي تعارض العلم؟ إني بدافع الاخلاص لخيالي الشارد تقودني شهوتي الروحية ويستحثني نفوري العميق وانجذابي الصميم، أجيب: أجل، الحكمة تعارض العلم. أجل، العلم ينتزع الحكمة من البشر ليتركهم مادةً اشباحاً مثقلة بالمعارف والمحفوظات...

«أما الشيء الآخر الذي يذكرونهُ في كل حين فهو الحياة. وهذه يسهل الاهتداء الى ما يعارضها، وهو الموت. غاية العلم الحياة، وغاية الحكمة الموت. العلم يقول «لا بدَّ من الحياة»، فيبحث عن

الوسائل لإطالة الحياة وإمتاعها وتيسيرها وترصيعها وتحقيقها وتلطيفها . والحكمة تقول «لابدّ من الموت» ، فتبحث عن جميع الوسائل التي تهيىء للموت كما ينبغي . يقول اسبينوزا « الانسان الحرّ هو الذي أقل ما يفكر في الموت ، وحكمته إنما هي تأمّل لا في الموت ولكن في الحياة » . وأنا أقول ان الحكمة في مثل تلك الحال لا تكون حكمة ، بل هي العلم . ويكون صاحبها الانسان الذي تخلّص من الغم المطلق ( suprema angustia ) ، من القلق الدائم ، وتحرّر من نظرة أبي الهول ، أي الانسان الذي ليس بانسان وهو المثل الأعلى للأوربي الحديث ... وها نحن اولاء بلغ الآن فكرة بغيضة الي كفكرة العلم والحياة ، وهي فكرة الحرية . إذ ليس من حرية حقة إلاّ بالموت

«وما هو الغرض من كل ذلك ؟ عن أيّ شيء يبحثون وإلى اي هدف يرمي اولئك المتشبثون بالعلم وبالحياة وبالحرية ؟ فيديرون ظهورهم للحكمة وللموت مدركين أو غير مدركين ؟ إنهم يبحثون عن السعادة . ذاك الذي نسميه الأوربي الجديد يقبل على العالم باحثاً عن السعادة لنفسه وللآخرين فلا منهُ ان على الانسان ان يسعى ليكون سعيداً . وهذا مبدأ لا أستطيع أن أقرّهُ . وسأطرح عليكم في هذه الاعترافات بقضية تعسفية لأني لا أملك اثباتها بالمنطق ولانها تفرضها عليّ عاطفة قلبي لا تفكير عقلي . وهذه القضية هي : إما السعادة واما الحب ! فاذا طلبتَ الواحد فعليك ان تتنازل عن الأخرى . لان الحب يقضي على السعادة والسعادة تقضي على الحب . . . وبيان هذا وتفسيره نجده عند أهل الروحانية منا وعند فلاسفتنا الجديرين بالاعجاب الذين شعروا — ولم يفكروا — بالحب والسعادة فأوجدوا كلمات « الألم اللذيذ » ( dolore saporosso ) و «أموت لاني لا أموت»[1] وغير ذلك مما ينمّ على عمق هذه العواطف . . .»

***

في كل ما كتبهُ وطالما من موضوعات وأقاصيص وابحاث وروايات ومسرحيات وأشعار ، يتجلى أونامونو ذا عبقرية عالية التحليق متعددة الوجوه متوازية القوى في شتيت النواحي . إنه بارع مبدع عالماً ومفكراً وناقداً ومدرّساً ومحاضراً ومؤلفاً وأديباً وشاعراً وراوياً . على ان أهم دراماته هي فيدرا Fedra وأحب كتبه الى جماهير المثقفين في العالم كتابه عن « حاسة التفجع في الحياة » ( Sentimiento tragico en la Vida ) ، وكتاب « الحقائق المتعسفة » الذي اقتطفنا منه نبذة في الصفحات السالفة . أما الكتاب الذي أذاع شهرته منذ سنة ١٩٠٥ فترجم الى اكثر اللغات الحية وفرض أونامونو على عالم الآداب العالمية كشخصية فذة فهو كتابهُ عن « دون كيخوتي وسانتشو »

(١) « Muero porchè no muero » بيت شهير من نشيد ديني للقديسة تريزا الاسبانية

(Vida de Don Quijote y Sancho) ومعلوم ان خالق دون كيخوتي وسانتشو هو الاديب الاسباني العظيم سرفانتس Cervantès

وأما كتابه « اسبانيا ضد اوربا » فهو ذو وطنية بارعة متنظية منطقية في شذوذها ، حمل فيه على الاساليب الاوربية الحديثة و« مكنزتها » للحياة حتى لتجعلها ماكينة عظيمة تدور بمختلف الادوات والآلات فتقضي بنظامها الآلي على كل ما في الانسان من بداهة وذوق وخصوبة وشعور. ودافع عن المزاج الاسباني منكراً على الثقافة الاوربية تسميمه وتشويهه ومسخه لتجعله على صورتها ومثالها ، وطالب للفطرة الاسبانية بالبقاء على ما هي فيه من عيوب ونقائص وجهل حتى وهمجية . فقال فيما قال : « قرأت اخيراً لكاتب مواطن مقالاً حمل فيه على اسبانيا لانها « بلد كئيب » ومضى يشرح . . « جميع منتوجاتنا الادبية والمحسوسة صلبة ، جافة ، مزعجة . البيذ كئيف ، واللحم رديء ، والصحف سخيفة مملة . لست أدري أية مصيبة داهمت أدبنا لتجعله حزيناً كما هو . ومن أكآب الامور في اسبانيا اننا نحن الاسبان لا نستطيع ان نكون أهل زهو ورشاقة . . . »

« هذا ما يقوله بيو باروخا [1]. اما في نظري أنا فأكثر الامور كآبةً ان نصبح اهل طيش وزهو ، إذ نفقد عندئذٍ صفة الاسبانية فينا دون ان نصبح حتى اوربيين . وعندئذٍ يتحتم ان نتنازل عن تعزيتنا الوحيدة وعن مجدنا الوحيد المتلخص في كوننا لا نستطيع ان نكون اهل زهو ورشاقة . قد نتمكن عندئذٍ من ان نروي عن ظهر قلب محفوظات جميع الكتب التي ينشرون بها العلم ، غير اننا نرتدّ الى حالة يستحيل عندها ان نتمكن من الحكمة . عندئذٍ قد يصبح نبيذنا أصفى ، وزيتنا مكرراً ، وعمارنا أجود ولكننا في نفس الوقت نمسي غير جديرين بخلق دون كيخوتي جديد او ايجاد مصوّر مثل فيلاسكيث وغيرهما من الذين لا يوجدون الآ في جوّ كهذا الجوّ

« ويختم باروخا قائلاً : « يا للبلد الكئيب الذي يفكرون فيه في كلّ شيء إلاّ في الحياة ! » . وأنا أعارضه هاتفاً : « يا للبلاد الاوربية الحديثة التاعسة التي لا يكتب أهلها الاّ ليفكروا في الحياة ! وحيث الفكرة السائدة عن الحياة تنسي الناس انهم سيفقدون الحياة يوماً ! »

« ان الغرباء لا يدركون منا إلاّ الشيء الذي لا يجرح مزاجهم ، متفقاً والفكرة التي يكوّنونها عنا ، وهي دائماً سطحية . ونحن التعساء نصدق هذا الغرور المضلّل وننتظر من الخارج تصفيق اولئك الذين لا يدركوننا الاّ قليلاً ، ولو أدركونا تماماً ما استطاعوا ان يفهمونا . وحيال هذا

(١) Pio Baroja كاتب اسباني ومن رجال السياسة

الواقع الذي جهلاً أو عمداً يريد ان مسخ طبيعتنا وتجريدنا مما يجعلنا نحن كما نحن ، ماذا علينا ان نفعل ؟ . . . . . « في روح إسبانيا نحيا ونعمل ليس روحنا فقط نحن الذين نحيا اليوم ، بل كذلك وخصوصاً روح جميع أسلافنا . أما روحنا نحن المعاصرين فأقل الاشياء حياةً ، لأنها لا تندمج في وطننا الا بعد ان تكون غادرناه بموتنا الزمني . . .

« . . . وماذا عسى يجدي التفكير على الطريقة الاوربية العصرية بلغة لا هي عصرية ولا هي اوربية ؟ بينما نحن نرغمها على تبيان معنى ما ، تصرُّ هي على تبيان معنى آخر مساوقة طبيعتها

« . . . لاتين ، لاتين ! انهم لا يفتأون يقذفوننا بحكاية الاخاء اللاتيني . ولست أدري ما اذا كنا نحن ام كانوا هم لاتيناً . اما من ناحيتي انا شخصياً فاني مقتنع بأن لا شيء لاتيني فيَّ . فاذا كنا هجينين فعلام لا نشعر صادقين بأننا كذلك فنعلن عن انفسنا بصفتنا تلك ؟ فاذا اردنا ان نشدو بما يؤلمنا وبما يواسينا شدونا على طريقتنا الهمجية في الفن ؟ ان عقاب الذي يحاول تقليد غيره هو انه يكف عن ان يكون هو نفسه دون ان يفلح في ان يكون ذلك الآخر الذي تمثل به ، وينتهي الى ان يكون لا شيء » . . . « ويقيني ان جعل اسبانيا اوربية لن يبتديء الا عند ما نفرض نحن الاسبان انفسنا على النظام الروحي في اوربا فنندمج فيه ما هو جوهري عندنا تبادلاً لما هو جوهري فيه ، اي عند ما نحاول جعل اوربا اسبانية . . . »

***

نبرات بديعة ، أليس كذلك ؟ يلهبني منها التلظي والأنفة والصدق وخلوها من كل انتحال وكل دخاوة وكل تمثل . هي نبرات اونامونو حقاً . واونامونو الذي تلخصت في فطرته عناصر جميع الشعوب التي اجتاحت اسبانيا منذ بدء التاريخ — من الفينيقيين الى اليونان الى المكدونيين الى اللاتين الى القوط الى الفندال الى العرب الى الفرنسيس والانجليز وما يتخلل هؤلاء من شتيت العناصر — اونامونو اغنى من ان يكون ربيب عنصر واحد ، كائناً غنى ذلك العنصر ما كان

شقيق شكسبير في تفجع « هملت » وشقيق جوته في تفطر « فاوست » ، هو ابن اسخيلوس في سلب « پرومثيس » على جبل القوقاز والنكال . بيد ان اونامونو هو من كل اولئك المؤلف والشخصية التي يخلقها المؤلف في آنٍ واحد . . . .

# الزعامة وصفات الزعيم

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

الزعيم هو الفرد — من الرجال او النساء — الذي يجمع حوله عدداً من المريدين والانصار هم اهل لأن يلتمس بواسطتهم غاية عامة ، وهذه الغاية في نظرهم جميعاً ذات شأن حيوي لهم وللمجتمع الذي يعيشون فيه . وبديهي ان مثل هذا التعريف يقتضي ان يكون ثمة اتصال وثيق بين الزعيم والخاصة من أنصاره في فهم هذه الغاية والاحاطة بجوهرها لان كل تنافر بهذا المعنى يوقف دولاب العمل وينتهي بالاخفاق . فوضع ابن سعود او الامام يحيى على رأس المحافظين او الاحرار في الكاثرة هو من الأمثال المتنافرة مثل وضع المستر ( بلدوين ) او المستر ( لويد جورج ) على رأس الوهابية في نجد او الزيدية في اليمن . وقد يستطيع هذان ان يكيّفا نفسيهما بحسب المحيط فيغيران ويبدلان في مظاهرهما الداخلية والخارجية ليطابقا الهيئة التي انتقلا اليها ولكن تنقصهما حينئذٍ العقيدة وهي من اهم لوازم الزعيم واهم شروط نجاحه . فالمتزعم الذي لا يؤمن بالقضية التي يتظاهر بخدمتها هو مثل المتنبيء الذي لا يؤمن بالدين الذي يدعو اليه واقل ما يتهم به التدجيل — والتدجيل والزعامة الصحيحة ضدان لا يلتقيان . على ان هذا الكلام لا يقتضي ان يكون الزعيم وسواد انصاره سواسية في فهم تلك الغاية بل قد يكون البون بينه وبينهم شاسعاً ، فجميع زعماء الشرق مثلاً ينشدون الاستقلال الناجز لبلادهم والشعوب من ورائهم ظهيرة ولكن نوع هذا الاستقلال والغايات الاجتماعية والسياسية والروحية التي يتمشّونها على الناس تختلف كثيراً باختلاف التربية والمستوى العقلي والتهذيبي ، فكم رأينا من يظن ان مجرد اعلان الاستقلال هو الرجوع الى اوضاع القرون الوسطى بتفرطاتها جميعاً حتى ديوان التفتيش لمحاكمة الناس على عقائدهم الدينية . ويكفي ان يكون ثمة خطر يهدد الجماعة لتلتف حول من تعتقد ان في مقدوره ان يسير بها في طريق النجاة فتؤيده بقدر القوة الشخصية التي يزدان بها وبقدر شأن الخطر المتوقع . فلا غرو ان يظهر الزعيم على المسرح السياسي متى كانت الحاجة اليه ماسة كما تظهر البضاعة في السوق متى كان الطلب عليها حثيثاً

﴿ الوطنية والزعامة ﴾ : الوطنية هي في الاكثر مسألة الزعامة ، والزعيم هو مدره القوم المعبر عن رغبتهم وتتجلى صورتهم بثوبها القشيب في مرآته الصافية ، فلا بدّ ان تكون حلقة الاتصال بينهُ وبينهم وثيقة كما قلنا والاّ لم يعد زعيماً لهم لان الذي يسبق الناس كثيراً او يقصر عنهم كثيراً يقطع اواصر الاتصال بهم ، ولا خطر على الزعيم مثل ان يتنزل في افكاره تنزلاً مفرطاً لاسترضاء الغوغاء واستجلاب الدهماء لانهُ يعرّض بذلك نفسهُ لاستخفاف اهل الحل والعقد من العقلاء . على ان هذا

الكلام لا يمنع الزعيم ان يكبح جماح نظرته تجنباً لاحداث هوّة بينه وبين سواد الشعب بعيدة الغور ، بل رأينا جميع الزعماء السابقين لا بدّ لهم ارتضوا ان يخففوا من علوّهم قليلاً ويقصروا من خطاهم ليسيروا امام الشعب وعلى اتصال به ، وشتان بين من يخفف خطاه للستطيع العامة ان تلحق به فتمشي وراءه وبين من يتقهقر فيمشي وراء العامة ! ولما كان الوطن صلة معنوية قائمة على التجانس فمن اوائل وظيفة الزعيم تقريب الناس بعضهم من بعض وازالة تلك الحواجز المصطنعة التي اقامتها المصالح البالية بينهم من غير ان يفادي بشيء جوهري من شؤون القضية التي رأس الناس من أجلها ، ولن تسمح الوطنية الحقة لمن اتخذوا من تلك الحواجز البالية جدراناً يؤلفون في داخلها الاقليات التي تهدد سلامة الدولة ان ينتظموا حكومة خاصة ضمن الحكومة العامة

وتتكافأ التبعة الملقاة على عاتق الزعيم والخدمة العامة التي في مقدوره ان يسديها لامته . وكم سقطت شعوب وارتقت اخرى بسبب ما زعمائها من الخطايا والمزايا ، وقد تسيرامة من الامم بخطى واسعة الى الامام فتصاب بموت زعيمها فجأة فتتراجع ، ويتحول انتصارها في ساحة الجهاد الى انكسار . ومن اعظم البلاء ان تلقى مقاليد الامور الى اناس قلت مواهبهم فتعوضوا من نقصهم الذاتي نسباً شريفاً يتطنطنون به دائماً ويزعمون انه يغنيهم عن جميع الفضائل النفسية ، ومثل هذا النسب ولا سيما في الملوك يسهل على الطامح تسلم مقاليد الأمور . وقد قابل الاستاذ (بايندر) بهذا المعنى بين الامبراطور غليوم القليل المواهب وما جره على المانيا من النكبات وبين ابرهيم لنكولن رئيس الجمهورية الاميركية المعروف المتحلي بأعظم المزايا وما اسبغهُ على الولايات المتحدة من النعم الضافية . وقد استطاع ذاك على قلة نبوغه ان يستولي على المانيا بانتسابه الى بيت ( هوهنزولرن ) اللامع والتصاقه بالمجد العريق الذي خلفهُ الملوك السابقون والسمعة الطيبة التي تركوها وراءهم فلم يكن عليهِ عسراً مع شيء من الذكاء والتآمر وحسن التنظيم ان يحل هذا المحل اللألاء من قلب الامة الالمانية النجيبة وان يستر عيوبه ويخفي نقائصه الى ان اظهرتها الحرب العالمية . في حين ان ابرهيم لنكولن لم يصل الى المقام الذي حلّه في عين امته الا بمواهبه الذاتية التي ازدان بها فهو الذي رفع عماد البيت الذي نشأ فيه وشرف الاسرة التي نزل من اصلابها . وهكذا نرى انهُ اذا كان على المرء ان يباشر عمله صعوداً من الذيل الى القمة فلا بدّ له ان يكون قويّاً متحلياً بطول النفس الذي يمكنهُ من هذا الصعود ، ولكنهُ اذا باشر عمله بالعكس نزولاً من القمة الى الذيل فهو ليس بحاجة الى مثل هذه المزايا ويكفيه مظهرها فقط . ينظر العظامي دائماً الى الماضي ويتطلع الى الآباء والجدود فيزول منهُ الاستقلال والاعتماد على النفس بينما ينظر العصامي حواليه ليجد الوسائل النافعة والسبل المؤدية الى تحقيق اغراضه فتقوى عزيمته ويشحذ ذهنه . لاجرم ان يكون الزعيم بعد ما قرع دهره وبزّ خصومه مظهر الجهود متحدة ورأس القوة منظمة متجهة وهو المخول برفع الاثقال مستمدّاً طاقته من ارادة الشعب ومستنداً الى طاقته فاذا ما اخفق فقد يكون السبب واحداً من ثلاثة :

شدة العقبة ، او ضعف الارادة العامة ، او سقم المخيل نفسه ، وقد تجتمع هذه الاسباب كلها او بعضها

واذا شبهنا الزعيم بالمخيل فلا نعني ابداً انهُ مجرد آلة بيد الشعب لرفع الاثقال بل هو آلة ممتازة بقوتها الذاتية المتفوقة وآثارها الباهرة في جميع من اتصل بها . وقصارى القول يجب ان يتحلى الزعيم بالخصائص الآتية :

( اولاً ) الايمان المطلق بالقضية التي يعالجها فلا يضمر في شأنها شيئاً ويظهر شيئاً آخر كما يعمل المنافقون ، ولا نعرف وضعاً من الاوضاع المقدسة اتخذه المنافقون مطية مثل وضع الدين ، وتأتي بعده الوطنية ، فبانتشارها وبدخولها في الصميم من قلوب الجماعات المضطهدة والمغلوبة على امرها ظهر على المسرح بعض المتزعمين المنافقين الدجالين ممن اتخذوها مطية فساوموا عليها وملأوا بطونهم من موائدها ومحافظهم من نضارها ، ولكن ليس من الصعب على المتتبع ان يفضح الدجل والنفاق لاننا وجدنا من ألزم لوازم الذي يقف موقف المرشد او المصلح او الزعيم من الناس ان يثير احترام الخلص من المتصلين به مباشرة كزوجه واخوته مثلاً وان لم يعتقدوا بصحة دعوته ، لان الاخلاص للعبد والتفاني فيه يحمل المرء على احترام المتحلي به ولو كان خصماً فالك وهو القريب العزيز . وان رجلاً يعجز عن اكتساب الحرمة من اهل بيته والمتصلين به اتصالاً وثيقاً حين بان لا يكون محترماً في نفسه بالغاً ما بلغ من التظاهر بالخدمة العامة والتفاني في سبيل القوم . ثانياً ) ان يكون رأي الزعيم في المسائل التي تدور عليها قضية الشعب واضحاً كالشمس في رابعة النهار وكل ابهام في موقفه الاساسي يدعو الى اضطراب افكاره وحيرتهم ويتركهم عرضة لتخطيات المناقضة والانحياز الى الآراء المخالفة . ( ثالثاً ) الثبات على المبدأ ، وهذا يقتضي ان يكون الزعيم بعيد النظر متحلياً بقوة العقل ومتسلحاً بالتربية الصحيحة وتحليل ما يطرأ من الطوارىء حتى لا يرتكب من الخطإ ما يضطره الى تغيير رأيه بصورة تلفت الانظار ، ولا يعني هذا الكلام ان الزعيم يجب ألاّ يخطىء في آرائه ابداً ولا فيما يتوصل به من الوسائل فالخطأ يصح حتى على اكبر الزعماء والقواد اذا كان خطأ معقولاً واما الخطأ المنكر فهو البديهي الظاهر الذي لا يجوز ان يقع فيه العقلاء

والزعيم الذي لا يتمسك بعقيدته تمسك المؤمن بعقيدته الدينية المقدسة ويستعدُّ لبذل الغالي والرخيص في سبيلها يحرم من الثابتين على ولائه القائلين بقوله ، ويمكن خصومه من تدبير الحيلات عليه ، ويكون التساهل في العقائد الاساسية التي هي محك النظر ومدار العمل مهلكة له ولمن يلوذ به . فالزعيم الاشتراكي الذي يحاول تمشية الحال مع الرأسمالي المحافظ المتطرف يكون مثله كمثل الداعية الى التنزيه والتوحيد المتساهل مع الشرك وعبادة الاصنام ! على ان التصافي بين المتنازعين والتسوية بين المتخالفين هما من الامور الواجبة في كثير من الاحيان — على شرط ألاّ تتناول الشؤون الجوهرية التي هي اصل المذهب ومبنى العقيدة

وعلى كل حال فاذا جاز للزعيم ان يغير رأيه مرّة في شأن من الشؤون المهمة — ولن يجوز ذلك في عقيدة من العقائد الجوهرية — فمن المحال ان يغيره مرتين اثنتين ويبقى محافظاً

على سمته ، فإن هذا الكلام من بعض المتزعمين الذين يتبعون لكل حالة لونها ويتقلبون في المبادىء الاساسية تقلب الحرباء ويدورون في العقائد الجوهرية دوران دواليب المطاحن مع الهواء!

ومما لاشك فيه ان عوارض تعرض وعقبات تطرأ تحتم على من بيده زمام المركبة ان يتجنب الصدمة ، ولا غبار على الزعيم في مثل هذه الاحوال والظروف والملابسات التي لا شأن لها في الاساسيات أن يتسامح ويتساهل لان الصلابة في الحق لا تعني العناد المقيم والانكسار على الصخر. ثم ان الكياسة شيء والتشدد الاعمى شيء آخر، والتقاطة والفلاطة في الطباع تدعو الى الانقباض من حول الزعماء ولو كانوا في مقام الانبياء ، بل اننا رأينا بعض الانصار من غلاظ الطبع سبب نكبة على الزعيم الذي يوالونه ، وقد يرجع الكثير من الحملات التي تحمل عليه الى الخصومة التي يخلقها في الناس هؤلاء الانصار والاتباع . وتطلق في الانجليزية كلة Drunk على المهووس الذي هو في عقيدته اقرب الى المخولع او المجنون في امر واحد وقد يردد الكلمة الدالة على هوسه كما يردد ذو الجنة الكلمة التي ارتكز عليها جنونه من غير ان يفكر فيها ، وهذا ممنوع على كل رجل متزن دع عنك الزعماء ، لان الجنون حتى في اتمى الامور لا يدل على رجحان عقل ، واذا جاز لبعض المتعوهين من اهل القرون الوسطى ان يضعوا حولهم الانصار بترديد بعض الكلمات الجذابة المقدسة من غير ان يفقهوا معناها فزعامة مثل هذه لا تلم في عصرنا وهو عصر التحليل العقلي غير الحثالة من الناس

وكم رأينا في هذا الشرق من يطمع في الاستيلاء على عقول الناس وليس له من رأس مال سوى الصياح «فليحيى الوطن» ومن خطة سوى «القاء الاعداء بتضهم وقضيضهم في البحر قبل كل عمل» وغني عن البيان ان مثل هذه الخطة تجاه العدو القوي المتمكن لا تعني سوى الفوضوية السياسية وترك كل عمل يرجى من ورائه زحزحة الكابوس والخلاص منه تدريجيًا

وعلى ذكر المخولع والمهووس نقول ان الاستاذ (بايندر) قسم العقول الى ثلاثة نماذج فالنموذج الاول هو العقل الذي ليس في مقدوره ان يرى المسألة المعروضة الا من ناحية واحدة فقط ، وهذا هو عقل الرجل البسيط السخيف الاحمق ، والنموذج الثاني هو العقل الذي في طاقته ان يرى ناحيتي المسألة ولكن بالتناوب والتتابع لا في وقت واحد ، والنموذج الثالث يرى النواحي كلها معاً فيزنها بالميزان ويقابل الواحدة منها بالاخرى قبل ان يصل الى حكم نهائي ثابت ، ويدعى هذا النموذج العقل الاستقرائي التأليفي وهو مما اتصف به جميع الزعماء العظام . قال ( بايندر ) وليس على الزعماء ان يصلوا الى حكم نهائي وثابت فقط بوزن كل وجه من وجوه المسائل ومقارنته بل عليهم ان يطبعوا حكمهم هذا في اهل النموذج الثاني بان يبينوا لهم ان المسألة يجب ان ترى من وجوهها كاملة في آن واحد، وان يقنعوا اهل النموذج الاول بان القضايا لن تحل بالاقتصار على رؤيتها من جانب واحد . وما من امة لم تتعل بهذا النمط من الزعماء استطاعت ان تعمل اعمالاً عظيمة خالدة

ثم لا بد للجماعة في مجموعها من نسبة كبيرة من اهل النموذج الثاني وهم ممن يخاطبون بالعقل

وتـرى عليهم الحجج المنطقية، واما اهل النموذج الاول فانهم يستسلمون عادة من بعد المقاومة والاصرار على وجهة نظرهم ذلك لان براهينهم ليست من مواليد ادمغتهم بل مستعارة غالباً والمرجح انهم يقبلون البرهان الجديد في نهاية الامر على شرط ان يلقى في روعهم ان هذا البرهان انما هو الشيء الذي يدور في خلدهم ويدينون به . ( رابعاً ) ان يتحلى الزعيم بشخصية باهرة لها شيء من السحر العجيب في ما حولها من الانصار، ولن يتأتى ذلك في مثل هذا العصر الذي نعيش فيه الا بالتربية الصحيحة وما تحتاج اليه عادة من فصاحة وبلاغة وحسن بيان . ومقياس هذه التربية البيئة الذهنية التي يعيش فيها الزعيم فاذا كان الصرف والنحو والاعمال الاربعة وشيء من البيان والاصول والفقه كافياً ليتسلح به الرجل في نجد او اليمن فأن هذا السلاح لا يبهر احداً في مصر وسورية والعراق

وعند الاستاذ ( بايندر ) ان التربية المطلوبة في الزعماء تعني كبر العقل والاستعداد العام للتقدم وترك الحسن في سبيل الحصول على الاحسن . ولما كانت بعض الصناعات كالحقوق والكهنوت مثلاً تقاوم كل تغيير عادة لانها نشأت على اعتبار ما يقرره السلف مقدساً وكان معظم الحكام والزعماء الذين ظهروا على المسرح السياسي هم من اهل هاتين الطبقتين من الناس فلا غرو ان يزدعوا في ذهن المجتمع كلاً منشوداً لهواه ألا تغيير ولا تبديل للاوضاع القائمة ، ولما كانوا من اهل الطبقة التي تفردت بالتربيـة والثقافة غالباً لم يتسنّ عليهم ان يطبعوا مقاييسهم الخلقية والاجتماعية في سواد الناس مما ادّى الى شيوع من الخنوع وزوال الابتكار في الافراد . ان هذه المحافظة الضيقة تقتضي من الزعيم في القرن العشرين ان يكون مؤمناً بامكان التغيير قائماً بأن المجتمع الذي فيه قابل للتكامل والارتقاء وان لا شيء في العالم مقدسٌ الا اذا كان نافعاً للناس

( خامساً ) التحلي بالشجاعة الادبية وهي رأس فضائل الزعيم وربما سترت فيه عيوباً كثيرة وعادلت بعض المزايا المهمة الناقصة فيه ، والشجاعة الادبية في الزعيم للدفاع عن الحق هي مثل شجاعة الجندي في ميدان القتال فكما ان هذا لا يكون اهلاً لحمل البندقية ومكافحة الاعداء الا اذا كان صنديداً كذلك ذاك لا يجوز له ان يرفع علم الوطنية ما لم يكن جريئاً في الدفاع عن حقوق الامة في ادق ساعاتها واخطر ازماتها . ولعل الوضوح الجلي الذي طلبنا ان يكون في رأي الزعيم يرجع الى هذه الشجاعة الادبية لان الزعيم متى كان ضعيفاً في نفسه يحاول تجنب النزال والطعان بالتستر وراء الايهام والابهام والالتجاء الى التقيّة والموازبة

على ان امراً واحداً ليس من شأنه الاعلان عنهُ ابداً وهو الخطر المحدق بالامة متى كان ذكره يدعو الى القنوط ، فزرع الامل هو من اوجب الواجبات، وكم من زعيم من اكبر الزعماء كان يضع في ساعة الخطر الشديد وسائل النجاة في ذهن الشعب امراً سهل التناول قابل التطبيق . والرجل الذي لا يؤمن بقوة الارادة العامة على ازالة الموانع والعقبات ينقصهُ عنصر جوهري من عناصر الزعامة ، ولولا الامل بالنجاح لبطلت وسائل الكفاح

# القصص

## في الادب العربي

للدكتور احمد ضيف

الاسلوب القصصي من أشهر أساليب الكتابة الادبية وأوسعها خيالاً وأفسحها مجالاً لوصف الحياة الانسانية والنفوس البشرية واسرار الاجتماع ، وبث شعور الإنسان من سعادة وشقاء وحب وبغض ، ورسم عقائد الانسان من حقائق وأساطير ، وذكر حوادث التاريخ القريبة والبعيدة . ثم هو زيادة على ذلك معرض لفنون الكتّاب ومجال واسع لظهور نبوغهم ، وعبقرياتهم الادبية والفنية وأساليب التفكير لديهم . لهذا كانت القصص من أعظم الانواع الادبية في آداب الأمم ، ونتاج قرائحهم قديماً وحديثاً ، بل أبقى تلك الانواع جميعاً وأشدها جذباً للنفوس وأعمها فائدة ونفعاً في تغذية العقول ، ونشر الفنون الكتابية

ولقد نجد كثيراً من القصص في الادب العربي ، فكتب الادب والتاريخ حافلة بذكر ايام العرب وحروبهم والتحدث عن ملوكهم ، وكبار رجالهم ، وشعرائهم وعشاقهم ، وأخبار الجن وسيرهم . ولكن ذلك ذكر في تلك الكتب على أنهُ أحاديث ومسامرات وروايات يذكرها الكاتب او المؤلف على انها قطعة تاريخية لا قصة أدبية فنية — لانها ليست مكتوبة بقلم كاتب واحد ولا من تأليف كاتب معروف امتازت بأسلوبه وعرفت بصبغته الشخصية وشعوره الخاص ، بل رواها الرواة وغيروا وبدّلوا فيها كما يروي المؤرخ حادثة ثم يرويها مؤرخ آخر بطريقة اخرى ، فلا تحسب هذه الروايات من الكتابة القصصية الادبية المعروفة الآن التي تمتاز كما قلنا بأسلوب الكاتب الفني وطريقته في التفكير وصبغته العقلية الخاصة به ، ولنظم الكلام المعروف في كتابة القصص المحتوي على ذكر اشخاص متصفين بأخلاق خاصة ، وصفات خاصة يتحدثون ويتجادلون فتظهر في أثناء أحاديثهم ومجادلاتهم خفايا النفوس البشرية ، وما تنطوي عليهِ من ميول واهواء وعقائد . ان حوادث التاريخ لا تتغير وطبيعة الانسان واحدة : فالحب والبغض ، والطمع والقناعة ، والاحسان والاساءة ، والتقوى والفسوق ، كلها حالات ثابتة في النفوس وفي طبيعة الانسان لا تختلف في اصولها ، ولكن الذي يتغير ويختلف هو إدراك الشخص لها وفهمها فهماً صحيحاً أو خطأً ، وتصوير الكاتب لها على حسب ما يرى ويفهم ، وعلى حسب ما يلبسها من شخصيته وأسلوبهِ ، فهذه الشخصية

هي التي تظهر في الكتابة القصصية وتميزها من غيرها ، وهي التي تقلب التاريخ الى أسطورة او الى بحث نفسي او اجتماعي ، وقوة الكاتب او براعته هي التي تلبس الحوادث والحكايات لباساً قد يجعلها خالدة باقية ببقاء الايام ، فعلى هـذا لا تحسب الاحاديث التي في الكتب الادبية العربية كالأخبار الخاصة والعامة ، وذكر الملوك والحروب ، وأحاديث المسامرات وغيرها ، من القصص الفنية

وقد جاء الأسلوب القصصي في الاسلوب الفني الى لغة العرب مما نقل اليها من الفارسية أو الهندية أو غيرها ككتاب « كليلة ودمنة » و « الف ليلة وليلة » وغيرها مما ذكره ابن النديم في باب الاسمار والسير ، كتبت على نمط هـذه القصص المترجمة ، وقصص اخرى وحاكى فيها مؤلفوها أساليب التفكير الفارسية أو الهندية — عن ألسنة الحيوان والبهائم — مما أخذه الكتّاب من تاريخ الفرس أو الهنود

قال ابن النديم في كلامه على الكتب التي صنفت في الاسمار والخرافات :

ابتدأ ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم . . . واحضر السامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون . . . واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يطيب له — وكان فاضلاً — فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة وثمانون ليلة وكل ليلة سمر تام . . . وكان قبل محمد يعمل الاسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم : عبد الله بن المقفع وسهل بن هرون ، وعلي ابن داود . فهؤلاء جماعة من الكتّاب كانوا يؤلفون في القصص ويحاكون الفرس وغيرهم في الأساليب القصصية

## انتشار القصص العامية

اما سبب انتشار القصص العامية ولاسيما الاعجمية منها فقد اندسّ بين العرب أيام الدولة العباسية جماعة من الاعاجم وكان من بينهم من يحمل الاخبار الخرافية والأخيلة الغريبة التي ورثوها عن آبائهم واجدادهم الفرس والهنود اصحاب الاخيلة العتيدة في الاساطير وينبوع كل هذه القصص الخرافية . وكان من بينهم جماعة من التجار الذين يترددون على الهند وفارس وبلاد العرب وينشرون هذه الاخبار في المجالس والمجامع بين الخاصة والعامة . فذاع أمر هذه القصص بين عامة الناس حتى امتلأت باللهجة العامية وعني بالكتابة فيها بعض الادباء واضافوا اليها كثيراً من صور حياتهم الاجتماعية والسياسية وادخلوا فيها شيئاً من الاشعار المعروفة والامثال السائرة والعبارات الصحيحة

وأدخل جماعة من الكتّاب في هذه القصص شيئاً من تاريخ العرب وكبار رجالهم وفرسانهم وحروبهم واخبارهم وسيرهم ونقلوا اليها بعض ما في كتب الادب المعروفة من شعر ونثر وامثال وحكم وجاروا العامة في ميولهم واساليب التفكير لديهم فظهرت فيها حكايات هي خليط من الفارسية

والبدية والحياة الاسلامية العربية ولهجات الخاصة والعامة والحوادث المختلفة للخلفاء والامراء والعلماء والجهلاء والرجال والنساء والكبار والصغار . وقد جاروا العامة في اساليبهم وميول التفكير لديهم كما يجد القارىء ذلك في قصة عنترة وبكر وتغلب وسيف بن ذي يزن وغيرها من القصص العامية المشهورة . وكل هذه القصص أو جلها كتب في مصر بأقلام كتّاب من المصريين على ما يظهر من لهجتها العامية المصرية

ومن اشهر القصص العامية قصة عنترة وهي اقرب الى وصف الحياة البدوية منها الى غيرها وقد احتوت على كثير من اخبار العرب واشعارهم واوصاف حروبهم وعاداتهم واخلاقهم من كرم وشهامة وشجاعة وميل الى الانتقام ، كما احتوت على حبهم للشعر وفنونه وجملة احوالهم الاجتماعية والتاريخية قبل الاسلام

ومما يجدر التنبيه عليه ان هذه القصة وامثالها كتبت في مصر بأقلام كتّاب مصريين ويروون في ذلك : « انهُ نشأ في مصر من افضل الرواة رجل يقال له الشيخ يوسف بن اسماعيل وكان يتصل بباب العزيز بالقاهرة فاتفق ان حدثت ريبة في دار العزيز ، ولهج الناس بها في المنازل والاسواق فساء العزيز ذلك ، واشار على الشيخ يوسف بن اسماعيل المتقدم ان يطرق ما ساءه ان يشغلهم عن هذا الحديث ، وكان واسع الرواية في اخبار العرب ، كثير النوادر والاحاديث ، فأخذ يكتب قصة عنترة ويوزعها على الناس ، فاعجبوا بها ، واشتغلوا بها عن سواها ، ومن تلطفه في الحيلة انهُ قسمها الى اثنين وسبعين كتاباً ، والتزم في آخر كل كتاب منها ان يقطع الكلام عند معظم الامر الذي يشتاق القارىء والسامع الى الوقوف على تمامه ، فلا يفتر عن طلب الكتاب الذي يليه ، فاذا وقف عليه انتهى به الى مثل ما انتهى به في الاول وهكذا .. الى نهاية القصة .. وقد اثبت في هذا الكتاب بعض ما ورد في اشعار العرب المذكورين فيها . واضاف الى تلك الاشعار اشعاراً اخرى يعتقد ان تكون صادرة عنهم ، كما اضاف اليها قصصاً واحاديث وحكايات مخترعة قصد بها التسلية والتمثيل »

فعلى هذه الرواية التي وجدت في مقدمة ديوان عنترة تكون هذه القصة كتبت في مصر كما كتب غيرها من القصص الأخرى التي تظهر فيها المسحة المصرية والصبغة العقلية لأهل مصر من فكاهات وغيرها

## نوع القصص العربية

ولقد ظهر في القرن الثالث والرابع وما بعدها أحاديث او حكايات تدخل في باب القصص من جهة انها منسقة مكتوبة كتابة بليغة ، ولكن كثيراً منها مبني على سرد ووصف شيء رآه

الكاتب ، وسطره تسطيراً مثل ما يحكى عن اهل بغداد ومجالس الرشيد والبرامكة وجانب عظيم من هذه القصص منقول عن اللغة الفارسية وغيرها او محاكاة لها او مؤلف تأليفاً هو اقرب الى التاريخ منه الى القصص . وبعضها كتب بلغة ملحونة فاسدة لا تحسب من الادب الصحيح مثل القصص العربية المعروفة التي كتب اكثرها بلهجة عامية مصرية . وهناك نوع من القصص التي اخذ الكتاب موضوعاتها من التاريخ العام او الخاص ومن بعض البلدان التي عاشوا فيها ، او من قصص القرآن كقصص فرعون وموسى وعيسى بن مريم ، واهل الكهف وغيرهم ، او انتزعوها من الف ليلة وليلة ، او اخذوها من تاريخ العرب والاجتماع في بغداد مثل حكاية ابي القاسم احمد البغدادي وحكاية الحداد ، وما جرى له مع هرون الرشيد ، وقصة انيس الجليس وما جرى لها مع علي نور الدين ، وهي مأخوذة من الف ليلة وليلة ، ومثل حديث علاء الدين والقنديل المسحور وكالحكايات المنسوبة الى ابي الحسن احمد بن عبد الله بن محمد البكري المتوفى في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري كغزوة الاحزاب وما جرى للامام علي الفارس الوثاب ، وغزوة الامام علي بن ابي طالب مع اللعين هضام ابن الجحاف ، وكفتوح العين المعروفة بقصة الغول وغير ذلك من القصص الكثيرة التي كتبت في ازمان مختلفة

## المقامات والقصص

وهناك قصص أخرى أدبية مثل رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ومثل التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومثل قصة حي بن يقظان الفلسفية ، وهذه القصص اقرب الى الكتابة العلمية او الفنية الخاصة بالنقد الأدبي او الفلسفي

ومن اسلوب القصص مقامات الهمذاني والحريري وامثالها وهي جارية على غير اسلوب تلك القصص العامية الحافلة بالاخطاء واللحن وليست شبيهة بها من حيث موضوعاتها لان تلك الموضوعات اما فارسية او هندية او عربية مقتبسة من تاريخ الفرسان والابطال ، قد عبث بها الخيال ولعبت بها اهواء العامة

والمقامات ليست على هذا الطراز لأنها كتبت بعبارة عربية صحيحة واخذت حوادثها من مشاهدات الكتاب واحوال الاجتماع والعصور التي كانوا يعيشون فيها

وقد اشتملت على بعض المسائل الاجتماعية وعلى وصف بعض النفوس وكان الغرض من كتابتها اظهار البراعة في اساليب الكتابة المسجعة وانواع الشعر الصناعي وتنميق الاسلوب

# اعلام الطب العربي

## اسماء اشهرهم واخطر آثارهم [1]

للدكتور فيليب حتي

الاستاذ في جامعة برنستن الاميركية

لم يكن عند العرب قبل الاسلام طبٌّ علميٌّ فنيٌّ باصول . والقليل من الطب العلمي الذي كانوا يمارسونه انما كان مبنيًّا على الاختبار متوارثاً بالتقليد تعتوره تعاويذ السحرة وطلسمات الدجّال ضد الاصابة بالعين والارواح الشريرة . أما الوصفات فكانت مقتصرة على المداواة بالعسل والفصد والحجامة . وكثير من هذا الطب الساذج المتناقل من مشائخ الحي وعجائزه نُسب فيما بعد الى النبي دون ان يكون للنبي علاقة به ، على ان ابن خلدون المؤرخ النقدي في الفصل الموسوم «علم الطب» من مقدمته يتعرض لهذا الطب المسمى «طب النبي» ويذكر الفراء « انهُ صلى الله عليهِ وسلم انما بُعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث ليعلمنا الطب ولا غيره من العاديات »

وبعد ان ظهر الاسلام وتغلب ابناء الجزيرة على بلدان الهلال الخصيب موطن المدنية الاشورية والفينيقية القديمة فضلاً عن الفارسية واليونانية المتأخرة تلقّحت عقول ابناء العربية بلقاح علمي جديد اهم مصادره ايران واليونان فأخذوا فيما اخذوه عن الشعوب المغلوبة علم الطب فأتقنوه واضافوا اليهِ نتائج تجاربهم وأبحاثهم وتفنّنوا فيهِ الى درجة لم يبلغوها في سائر العلوم الدخيلة باستثناء الفلك والرياضيات . وفي الحديث المشهور « العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان » دليل على مبلغ الطب من خطر الشأن في نفوس العرب المسلمين

واول طبيب عربي في صدر الاسلام هو الحارث بن كلدة الذي ترجم له ابن ابي أُصيبعة في « طبقات الاطباء » وذكر انهُ تخرّج في مدارس فارس الطبية وهو الذي لقبهُ ابن العبري والقفطي بطبيب العرب . وعملاً بقاعدة تلك الايام نشأ ابن الحارث واسمهُ النَّضر طبيباً كوالده ، والنضر هذا ابن خالة النبي

وبانتقال مركز الخلافة بعد العصر الراشدي من المدينة الى دمشق ازداد اثر الطب اليوناني السرياني في الطب العربي . ومن الملحوظ ان طبيب الخليفة معاوية واسمهُ ابن أُثال كان مسيحيًّا كما كان طبيب الحجاج واسمهُ تياذوق ، وهو اسم يوناني . وفي عهد الخليفة مروان بن عبد الحكم نقل عام ٦٨٣م

(١) مقدمة كتاب « معضلة السرطان » . راجع باب مكتبة المقتطف في وصفه

طبيب يهودي اتحفَ مامرجَويه عن السريانية لأوّل كتاب طبي عامي في اللغة العربية . واصل هذا الكتاب يعود الى اليونانية وهو من وضع قسّ في الاسكندرية . اما اول خليفة عُني بشؤون الصحة العمومية فهو الوليد بن عبد الملك ( المتوفى عام ٧٠٥ م ) الذي على ما روى الطبري وابن العبري سمح المجذومين من السؤال الى الناس وأقام لهم وللمقعدين والعميان مؤسسة خاصة هي على ما يظهر الاولى من نوعها . وفي خلافة عمر بن عبد العزيز انتقلت مدارس الطب اليوناني من الاسكندرية الى انطاكية وحران واخذت بالازدهار في كنف الخلافة العربية

وعقب العصر الاموي العصر العباسي الزاهر . وفي مستهله وبتعضيد الرشيد والمأمون نقلت معظم الكتب الطبية اليونانية بما فيها مؤلفات أبقراط وجالينوس وبولس الايجيني من اليونانية الى السريانية اولاً ومنها الى العربية مما جعل ابن العربية وريث التقاليد اليونانية العلمية . وتلا دور الترجمة دور التصنيف . فأضاف الاطباء المتكلمون بالعربية الى الذخيرة الطبية القديمة أشياء كثيرة هامة . انما تحتّم هذه لم تتعدَّ دائرة الطب العام ولم تتناول علم الجراحة ولا التشريح وذلك لأن الوسائل لدرس تركيب اعضاء البدن لم تكن موفورة في الاسلام . مع ذلك يلذّ لنا ان نقرأ في ابن أبي أصيبعة ( تحرير مولر ج ١ ص ١٧٨ ) ان طبيباً نصرانيًّا اسمه يوحنا بن ماسويه ( ٧٧٧ — ٨٥٧ ) كان يعمد الى تشريح القرود وفي جملتها قرد ارسله احدهم من بلاد النوبة هدية الى الخليفة المعتصم

قلنا ان تقدُّم العرب في فن الجراحة وعلم التشريح لم يكن مذكوراً ولا بدَّ من استثناء تشريح العين وجراحتها . فان كثرة امراض عضو النظر في البلدان العربية الحارة حملت عدداً من الاطباء على الاختصاص في هذا الموضوع والتبريز فيه . وأول تأليف في أمراض العين هو لابن ماسويه المذكور آنفاً ومن كتابه الموسوم « دَغل العين » نسخة خطية في المكتبة التيمورية بالقاهرة وأخرى في لينغراد . وكان لابن ماسويه تلميذ نابغ هو حنين بن اسحق ( ٨٠٩ — ٨٧٧ ) صاحب « العشر مقالات في العين » الذي نشره حديثاً الدكتور ماير هوف ( القاهرة ١٩٢٨ ) ومن الذين لمعوا في القرن الحادي عشر بين الكحالين ( أطباء العيون ) في بغداد علي بن عيسى الذي كان كأسلافه مسيحيًّا

ويجمل بنا ان نذكر ان طبيب الاجيال الوسطى كان اكثر من طبيب . فكان فيلسوفاً وعالماً ، ولقبه العربي « حكيم » يدل على مقامه في نظر معاصريه وكان ولا سيما في بغداد والاندلس في الغالب من ذوي الزعامة الادبية والسياسية . ومن هؤلاء من كانت حرفته تدرُّ عليه المال الوفير . ومن امثلتهم جبرائيل بن بختيشوع النسطوري طبيب الرشيد والمأمون والبرامكة فلقد ذكر القفطي في «اخبار الحكماء» ان ثروته بلغت ٨٨ ٨٠٠ ٠٠٠ درهم (ما يوازي ٥ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه مصري ) وهو رقم لا ريب في مبالغته . ونشأ في عائلة بختيشوع سبعة أجيال متوالية من الأطباء مما يدل ان الصناعة كانت وراثية يتناقلها الولد عن أبيه

ومن الدوائر الطبية التي امتاز العرب بالتقدم فيها دائرة العقاقير ومعرفة خصائصها واستخدامها لمداواة الامراض . فالاطباء المتكلمون بالعربية هم اوّل من أسّس مدارس الصيدلة ووضع التآليف الممتعة في هذا الموضوع ، وذلك ابتداء من جابر بن حيّان الذي زها حوالى سنة ٧٧٦ م والمحسوب بحقّ ابا الكيمياء العربية . ويستنتج من القفطي ( تحرير ليبرت ص ١٨٨ — ٩ ) ان اصحاب الصيدليات في ايام المأمون (٨١٣ — ٨٣٣ م ) كان لا بد لهم من تأدية امتحان والحصول على اجازة قبل معاطاة الحرفة . ثم سرى هذا القانون على ممارسي الطبابة بعد قرن من ذلك التاريخ . فبأمر الخليفة المقتدر تولى الطبيب سنان بن ثابت بن قُرّة فحص ٨٦٠ ممارساً في بغداد ( ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٢٢٢ ) . وسنان هذا نظّم حملة طبية جعلت همها التجوال من بلد الى آخر لمعالجة المصابين وتولى رآسة البيمارستان ( المستشفى ) في العاصمة بغداد . وهو البيمارستان الذي انشأه هارون الرشيد على الانموذج الفارسي كما هو واضح من الاسم الذي أطلق عليه

ومما يستوقف الانتباه ان جلّ الاطباء المصنفين بعد دور الترجمة كانوا من اصل فارسي ولكنهم من متكلمي العربية . وفي طليعتهم علي بن ربّن الطبري وابو بكر الرازي وعلي بن عباس المجوسي ( ٩٩٤ ) وابن سينا . وكان الطبري في الاصل مسيحيًّا كما يُستنتج من اسم والده « ربن » السرياني ولكنهُ اعتنق الاسلام لدى دخوله في خدمة الخليفة المتوكل . والطبري هو صاحب « كتاب فردوس الحكمة » الذي نُشر بالطبع في برلين عام ١٩٢٨ . اما الرازي ( ٨٥٠ — ٩٢٣ م ) فاسمهُ يدل على انهُ من مواليد الرّي في جوار طهران . وهو في نظر مؤرخي الطب اعظم حكيم عربي . ذكر له النديم في « الفهرست » ١٣٣ مؤلفاً منها ١٢ في الكيمياء . واهم مؤلفاته « الحاوي » و« المنصوري » اللذان تُرجما الى اللاتينية في القرون الوسطى وما لبثا ان اصبحا المعوّل عليهما في تلقين علم الطب في كليات اوربا . ومن جواهر التآليف الطبية العربية رسالة للرازي في الحصباء بيّن فيها المؤلف للمرّة الاولى الفروق بين الحصباء والجدري . ولقد تُرجمت هذه الرسالة في اواسط القرن الماضي الى الانكليزية . ومن ابدع ما ذكرهُ ابن أبي أصيبعة عن الرازي انهُ تحقق النقطة الصحية المناسبة لبناء البيمارستان في بغداد بوضعه قطعاً من اللحم في انحاء مختلفة في البلدة ومراقبة سرعة سير النتانة فيها . وبعد الرّازي فابن سينا (٩٨٠ — ١٠٣٧) هو اشهر طبيب عربي . وهو صاحب كتاب «القانون في الطب» المتضمن خلاصة الصناعة الطبية على ما مارسها اليونان والعرب في اوانه . وما لبث « القانون » ان نُقل الى اللاتينية في القرن الثاني عشر حتى اصبح بفضل حسن تبويبه وسهولة مناهج الكتاب التدريسي المعوّل عليه في مختلف الكليات الاوربية حتى القرن السابع عشر . وبذلك ملأ المركز الذي كانت تشغله قبله كتب جالينوس والرازي والمجوسي . اما في العربية فالقانون طُبع في رومة سنة ١٥٩٣ فهو اذن من اقدم الكتب المطبوعة في هذه اللغة . ولقد ترجم بعض « القانون » حديثاً الى الانكليزية

ولنلق الآن نظرة عامة على سير الطب في الاندلس العربية . والذي نلحظه لاول وهلة ان معظم الاطباء المتكلمين بالعربية في اسبانيا كانوا فلاسفة اولاً واطباء ثانياً . ومن امثلتهم ابن رشد شارح ارسطوطاليس وابن ميمون اليهودي طبيب صلاح الدين ودفين طبرية وابن طفيل . وبرغم ذلك فانهم اتحفوا العالم بقسط غير زهيد من العلم الطبي . فابن رشد (١١٢٦—١١٩٨) ذكر في كتابه «الكليات في الطب» ان المصاب بالجدري مرة لا يصاب بها ثانية ومعاصره ومواطنه ابن ميمون (١١٣٥ — ١٢٠٤) واضع كتاب «الوصول في الطب» وجوّد عملية الختان ونسب البواسير الى قبض المعدة واشار بالمأكولات النباتية علاجاً لها

ومن العرب الاندلسيين الذين اشتهروا بالسياسة والادب وقلّ من عرفهم بصفتهم الطبية الوزير الكاتب لسان الدين بن الخطيب (١٣١٣—١٣٧٤) وهو الذي وضع رسالة في الطاعون الذي كان يجتاح اوربا في عصره اثبت فيها ان انتشار هذا المرض المخيف الذي سماه الاوربيون «الموت الاسود» انما هو بواسطة العدوى ، وذلك في عصر لم تكن فيه العدوى ولا الجراثيم معروفة لدى احد

وثمة فرعان طبيان تفوّق فيهما رجال الاندلس اولهما الجراحة وثانيهما علم النبات والعقاقير . ففي الاول لمع الجرّاحيّ الكبير ابو القاسم الزهراوي (* ١٠١٣) طبيب الخليفة عبد الرحمن الثالث . وهو واضع «التصريف لمن عجز عن التأليف» وفيه اشارات الى تفتيت الحصاة داخل المثانة والى وجوب تطهير الجرح بالكيّ . ولقد ترجم الجزء الجراحي من هذا الكتاب الى اللاتينية في قرن الترجمات ، القرن الثاني عشر واصبح الكتاب المدرسي في كليات سلرنو ومنبيليه وغيرها . ومن اطباء الاندلس النابغين ابن زُهر المتوفى باشبيلية عام ١١٦٢ ولقد نسب اليه الكثيرون شرف اكتشاف سؤابة الجَرَب على ان التنقيب الحديث يثبت ان احمد الطبري الذي زها في النصف الثاني من القرن العاشر سبق ابن زُهر الى اكتشاف جرثومة هذا المرض وذكرها في كتابه «المعالجة البقراطية»

أما الخطوات الواسعة في تقدّم علم خصائص النبات الطبية فالذي قام بها انما هو الطبيب القرطبي ابو جعفر الغافقي (* ١١٦٥) صاحب كتاب «الادوية المفردة»[1] . وهو الكتاب الذي بنى عليه مواطنه ابن البيطار (المتوفى بدمشق ١٢٤٨) شهرته الواسعة . فابن البيطار هذا على ما اثبت البحث النقدي الحديث مدين لسلفه الغافقي بالشيء الكثير . ولقد حوى كتاب الغافقي اسماء اهم النباتات في اسبانيا وافريقية الشمالية العربية واللاتينية والبربرية مع وصف علميّ لكل منها . ثم جاء ابن البيطار واضاف اليها في مؤلفه «الجامع في الادوية المفردات» حصة من نباتات مصر والشام وآسيا الصغرى التي ساح فيها . ويجب ان لا ننسى في الختام ان الاندلس كانت المركز الرئيسي لنقل مؤلفات العرب الشرقيين الى اللاتينية بحيث اصبحت مُلكاً لابناء اوربا الغربية وبذلك تمت حلقات سلسلة الاتصال بين الطب البوناني القديم والطب العربي المتوسط والطب الاوربي الحديث

(١) المقتطف شرع في نشره بعنوان جامع المفردات والتعليق عليه الدكتوران مايرهوف وجورجي صبحي بالقاهرة

# ڤيرلين الشاعر

## VERLAINE

لعلي محمود طه

كان فتىً حالماً ، رقيق البدن ، منبسط الجبهة ، عميق النظرة ، مرح النفس . قذفت به الحياة الى معتركها غِمراً ، لم تكشف له تجاربه المحدودة عن طبائع الناس ، ولم يهيئه طبعه الرقيق ، ومزاجه الحاد ، لمكابدة عنف العيش وضنك الحال ، وان هيأته روحه ليكون حيث هو الآن ، من ناهة الذكر ، وسمو المنزلة ، وخلود الأثر

ولو قد عرف « البارناسيّون » ما ناطته السماء بمستقبل هذا الصبي الشاعر ، وهو يختلف اليهم من حين الى حين ، ولو قد تبين جماعة « ميلارمي » ما تنطق به مخايل هذا الشاب العابث في أبهاء الحي اللاتيني لحصوه احداث الزمن ، ولما تركوه غرضاً للفاقة والتشريد والعذاب ، ولضنّوا بصاحب هذه النفس الشاعرة الموهوبة والعبقرية المبدعة الفذة ، ألا يجد وهو في مستهل حياته قوت يومه ، ثم لفزعوا الى القدرة فما صرفت أمه عن العناية به صغيراً ، فشبّ مطلق العنان ، يرتاد المواخير ، ويدمن الخمر ، ثم لما غادر زوجه وأمه وولده هائماً بين باريس ولندن وبروكسل ليعود الى وطنه ضحية أتهام قاس ، ينال من رجولته ، ويلقي على نجمه المتوقد ، سحابة من الزراية والامتهان . ثم لما ارتفعت من حوله صيحات العار ، تلاحقه من مكان الى مكان ، فغلّقت في وجهه أبواب الرزق ، وسدّت على ذلك الهارب المسكين منافذ الرجاء والطمأنينة ، فمضى يستنبت الارض في الريف البعيد ، في كثير من اليأس والعناء ، وهو ذلك الروح المرح ، الذي لم يخلق لغير الشعر والغناء . ثم لما تحالف هذا الشر كله على ذلك الضعيف المكدود ، فاستبدّ به المرض ، فقضى غريباً وحيداً ، منبوذاً الا من امرأة بائسة مثله ، ساهمته حبّهُ الاخير وشقاءه الاخير ، فلفظ في ظل قربها وعطفها انفاسهُ الاخيرة

حقّاً ! ! لقد كانت حياة ڤيرلين فاجعة محزنة ، فمن الحان إلى السجن إلى الماخور الى الحمام في الطرقات ، إلى ملاجيء البر

هذا هو الشاعر الخالد . . . الذي كان ارخم صوت غنائي صدح به الشعر الفرنسيّ في القرن الذي أنجب هيجو ، لامارتين ، جوتيه ، موسيه ، بودلير ، رامبو ، جول لافورج ، ومالارمي وغيرهم

إن في حياة هذا المتشرد الكبير ضروباً من العبث ، وألواناً من الألم ، ولكنهُ العبث الذي تستقيم به حياة الفنان البوهيمي ، والذي يتيح للادب في كل جيل فنوناً شتى من الاجادة والابداع . ولكنهُ الألم الذي يفرض العذاب على القلوب الشاعرة فيتطقها بالنغمات الفريدة الساحرة ، ويصل ما بينها وبين السماء ، فتشرب من روعة اللانهاية وصفائها ، وتمنح البشرية الوضيعة المعذبة ، لحظات من السعادة والسمو

ولد بول فيرلين في مدينة « متز » من ولايات فرنسا الشمالية ، في الثلاثين من شهر مارس عام ١٨٤٤ ، أي بعد مولد بودلير الشاعر بعشرين عاماً تقريباً ، وكان أبوه ضابطاً ممتازاً في الجيش الفرنسي ، وعند ما بلغ السابعة من عمره ، رحلت به عائلته الى باريس ، فأُلحقته بمدرسة خاصة ، ثم بمعهد « ليسي بونابرت » حيث أظهر فيرلين على حداثته ، تفوقاً مشهوداً في اللغتين اليونانية واللاتينية وفي علوم البلاغة والادب ، فمنح جائزتها مع درجة شرف Degree of Honour ثم استمر في دراسته قليلاً من الزمن ، حتى ظفر بوظيفة حاسب في احدى دوائر باريس المالية

ولكن حياة فيرلين الشاعر تبدأ عام ١٨٦٦ ، ففي الثانية والعشرين من عمره ، أخرج اول مجموعة شعرية عنوانها « قصائد حانية » « Poèmes Saturniens » وبعد ثلاث سنوات نشر مجموعته الثانية « أعياد مرحة » « Fêtes Galantes » فأصاب فيرلين من تينك المجموعتين ، حظاً كبيراً من الشهرة والتقدير كشاعر غنائي نابغ ، كما أصاب حظاً من التعاسة والشقاء . وكانت الأيام قد مهدت لهذه المتناقضات ، فقبل نشر ديوانه الأول بعام ، مات والده ، وعاش الشاعر الصغير في رعاية أمه ، فدللته ، وأطلقت على عنان الشباب عرقه ، بما كانت تمده به من المال ، فانغمس الفتى في شهواته ، وانطلق يعب من لذات الحياة كيفما اشتهت نفسه الظامئة ، وشبابه المضطرم

ثم اطلته الاقدار بعد ذلك على الحياة التي بدأ يشغف بها ويستمرئها ، حياة الشرود والهيام ، فصادف جماعة من الشعراء البوهيميين الذين كانوا يجتمعون كل مساء في مطعم « ريفولي » بالحي اللاتيني فما لبث ان مال اليهم واندمج في عشيرتهم . كانوا يجتمعون فيتناولون الادب والفن بالدراسة والنقد ، ويتجادلون في شؤون الشعر ، وكان لفيرلين من هذه الجماعة ، حظ كبير من الخير ، فصقلت محاورتهم طبعه ، وأظهرته على ألوان مختلفة من الجمال والخيال ، ولكن كان لهُ الى جانب هذا الخير حظ كبير من الشر ، فقد حببت اليهِ عشرتهم احتساء الخمر اولاً ، وادمانها ثانياً ، وكان فيرلين رقيق البدن ، عصبي المزاج ، حاد الطبع ، وكان الخمر سمّه القاتل

وصار فيرلين بعد ذلك من المترددين على صالون « لويس كسافير دي ريكارد » فاتصل بالبارناسيين « Parnassians » جماعة « ليكونت دي ليل » ولقيت شاعريته المبدعة ، هوى وتقديراً ، من الشعراء والنقاد النابهين في الاوساط الادبية العالية ، والذين تضمهم هذه الجماعة ، امثال جوزي ماريا ، وسوللي برودوم ، وفرنسوى كوبيه ، وكاتول منبدي وغيرهم

ولعلّ هؤلاء خير ما صادفه الشاعر في حياته الادبية ، فقد اثبت اتصاله بهم شخصيته كشاعر مرموق الحاضر ، مرجوّ المستقبل ، كما اصبح فيهم بعد ذلك ظاهر الشخصية ، نابه الشأن

كان هذا في الفترة ما بين عام ١٨٦٦ وعام ١٨٦٩ أو ما بين ظهور ديوانيه الاول والثاني

وفي ربيع عام ١٨٦٩ قابل فيرلين فتاة تدعى ماتيلد موت Mathilde Mauté اختاحد اصدقائه ، فتعلقت النظرة الاولى ، وزاد شغف فيرلين بفتاته ، كما استرأت ماتيلد مطارحاته الغرامية ، ففكرا

في الزواج ، ولم يكن امره مستطاعاً فقد كانت ماتيلد فتاة صغيرة ، وكانت حداثة سنها تحول دون الزواج ، واخيراً ظفرا بهذه السعادة ، ولم يكن ثمة شيء من سعادة يحلم بها فيرلين بعد ذلك ، فقد كان مُدلَّهاً ، يستغرقه الحب ، وكان يرى في الزواج رابطة مقدسة ، كما كان يرى فيه منقذاً له من نقائصه ، مطهراً لكل آثامه . ولكن هذا الحلم الجميل لم يتحقق

فقد بدأت الحرب السميلية بين فرنسا والمانيا ، وكان البروسيون يطوقون باريس ، فتطوع فيرلين في جيش المواطنين المدافعين عن مدينتهم ، وهكذا فارق فيرلين زوجه ماتيلد بعد شهور قليلة من زواجهما ، وعاشت الشابة الصغيرة في بعض غرف شارع ( الكردينال لموان ) تنتظر زوجها الشاب

ووضعت الحرب اوزارها ، وعاد فيرلين الى باريس ، ولكنه كان قد تغير ، كان لا يزال على عهده من الحب لزوجته ، ولكنه عاد سيرته الاولى ، مستغرقاً ، في حمأة نقائصه ، عاد فيرلين الى باريس ولكنه فقد وظيفته الاولى ، وكان الاسراف قد اودى بأمه الى الفاقة والعوز ، فاضطر فيرلين ان يغادر باريس ، صحبة امه وزوجه الى « شارفيل » لا ليشاركوا والدي ( ماتيلد ) غرفتهم الوحيدة فحسب ، بل ليعيشوا ايضاً عالة عليهما

ولم يكن هذا كل ما اعدّته الاقدار لفيرلين في (شارفيل) فقد بدأت أخطر دقائق حياته من الاقتراب ، وكانت النكبة التي لوثت حياة هذا الشاعر المسكين ، في خطاب تلقاه من شاب شاعر يدعى « آرثر رامبو » Rimbaud ضمنه اعجابه الذي لا حدّ له بأشعار فيرلين كما ضمنه شيئاً من اشعاره هو

وهكذا وجد فيرلين في هذا الخطاب رجلاً يرفعه الى مصاف العبقريين ، كما وجد في هذا الرجل شاعراً مبدعاً ، في شعره قوة جديدة وصوت جديد وخيال جديد

فاندفع فيرلين يدعو صاحبه الى ( شارفيل ) دون روية أو أمعان ، وحل رامبو ضيفاً على هذا الخليط المزدحم ، يشاركهم نومهم ويقظتهم وطعامهم زادهم وشرابهم . وكان رامبو شاباً في السابعة عشرة من عمره ولكنه كان مخلوقاً غريباً حقاً !! ... كان مديد القامة ، قذر الثياب ، وكان عاطلاً ايضاً ، وكان مخبره أحطّ من مظهره ، كان شريراً بكل ما في كلمة الشر من المعاني ، وكان رجلاً سكيراً ، فظاً ، كثير اللجاج ، محبّاً للمشاكسة ، فلم تستطع ماتيلد وأمها صبراً على هذا الضيف وسرعان ما تخلصا منه

ولكن رامبو وجد مأوى آخر ، واستطاع أن يتصل بالكثير من الشعراء اصدقاء فيرلين ، فسرعان ما أثر فيهم وتسلط عليهم ، و من ثمّ وقع فيرلين روحاً وعقلاً تحت سلطان هذا الساحر .

اما ما انتهى اليه أمر هذه العلاقة بين الشاعرين فقد اختلف في اكتناه اسراره الكتّاب والمؤرخون ، وإن أجمعوا على أنها العلاقة الشاذة التي يتأثّم بها اثنان من جنس واحد . وهو انهام لم يفرغ النقاد من تحقيقه حتى اليوم[1] . اما الذي لا سبيل إلى الشك فيه فهي النتائج المحزنة التي انحسرت عنها

(١) [ المقتطف ] علمنا من الاستاذ علي محمود طه صاحب هذا المقال ان لدى الدكتور طه حسين بحثاً طريفاً يقوّم ما تواضع عليه النقاد من امر العلاقة بين رامبو وفيرلين . فلعلنا لو أتاح الدكتور لقراء « المقتطف » الاستمتاع بهذا البحث الجديد . ونغتنم هذه الفرصة لنحيي الاديب الكبير ونهنىء كلية الآداب بعودته الى احضانها

مأساة هذه العلاقة ، ولا ندحة من ان نمسّها مسًّا رقيقاً ، فقد جعلت حياة ماتيلد مع فيرلين أمراً مستحيلاً فدفعتهُ الى هجرها ، ثم سافته وصاحبه رامبو الى انكلترا ، ثم الى بروكسل ثم اورثتهُ إدمان الخمر ، فبالغ في نشوته الى حدٍّ نال من صحته ، وأوهن أعصابه ، واوقعه في مرض « الباسومانيا » Pasomania . ثم استمرّت المأساة في عملها ، فدفعت الشاعرين الى الخصام الشديد ، ثم رفعت يد فيرلين بالنار يطلقها على صاحبه مرات ، فاذا صاحبه جريح ، واذا فيرلين رهين سجن « موز » ثم تخلص المأساة من رامبو ، لتتصل بحياة فيرلين وحده ، فيخرج من السجن بعد عامين ويعود الى فرنسا ثم يحصل على وظيفة مدرس بأحد المعاهد ليفقدها بعد زمن قصير ، ثم يضيق به الحال ، فيذهب بأمه الى ( إردن ) مؤثراً فلاحة الارض ، ولكنهُ لا يصيب حظاً من النجاح ، فيغادر فرنسا كلها ويعود الى انكلترا للمرة الثانية ، ثم يحن الى وطنه فيرجع اليهِ عام ١٨٧٨ ويظفر بمنصب استاذ في كلية « رتل » Rethel ومنها الى باريس ، واذا بالمتشرد الكبير يظهر مرة اخرى في الحي اللاتيني ، ويتصل بأسدقائه القدماء ، من الشعراء الرمزيين ، روّاد هذا الحي . ثم يبسم له الحظ قليلاً فينشر مجموعة جديدة من شعره وكتاباً آخر في تصوير بعض الشخصيات الادبية ، فيصيب من وراءهما بعض المال ، وكثيراً من الشهرة والمجد ، ثم يعبس الحظ له الى الابد ، فيتخطف الموت أمّه عام ١٨٨٦ ويقع فيرلين تحت وطأة المرض هيكلاً محطماً ، ولكنهُ رغم هذا لم يقلع عن إدمانه الخمر ، ثم تذهب بهِ المأساة الكبرى الى نهاية الشوط ، فتأبى ماتيلد الصفح عنهُ ، وترفض لقاءه ، وتستأثر وحدها بطفلهما الوحيد ، وهكذا يقف فيرلين حيال العالم وحده ، ثم تعبر بهِ عشر سنوات أخرى وهو يضرب في هذا التيه الغامر والعذاب المطبق حتى يصادف « اوجيني كرانتس » فيؤلف بينهما البؤس ويصدح بلبل الحبّ فوق ظلال هذا القلب الموحش الحزين ، فينتعش قليلاً ولا يكاد يحقق للحياة الجديدة ، حتى تتألب عليهِ الامراض فيعجز عن مقاومتها ، فيصرعهُ الموت ، وبذلك تنتهي حياته او مأساتهُ المفجعة عام ١٨٩٦

كان فيرلين شاعراً غنائيًّا محبوباً ، وقد ظهر ميله الى الشعر ايام دراسته الاولى فظهر في قرضه مقدرة ونبوغاً لا يتكافأ معهما عمره الصغير . اما ديوانه الاول « قصائد عابسة » فقد كانت عملاً فنيًّا رائعاً ، وكانت كلها شعراً غنائيًّا تضطرد بهِ الموسيقى اضطراداً عجيباً ، تجد في بعضها الاناقة والجمال وفي بعضها الآخر العظمة والرقة . ولعلّ اجلها قصيدته في الخريف ارجحها شعراً وان كانت الترجمة تفقدها اجل ما فيها وهو الموسيقى

تنهدات الرياح
رتيبة النواح
تجرح قلبي بها قيثارةُ الخريف
وثمّ صوت عابرْ

من السنين الغوابر
يهزُّ في أصغي للهاتف المطيف
ويستفيض خيالي
بالذكريات الخوالي
انشدها فأبكي بالمدمع الذريف
وعند ذا تحملني
كورقة من فنن
قد ذبلت وانطلقت في العاصف الشفيف

وما كاد ديوانه الثاني « اعياد مرحة » يظهر في المكاتب ، حتى اقبل عليه الادباء ، وكان حظه عظيماً من الناقد الكبير « سان بيف » فبدأ يكتب عن فيرلين الشاعر ، كما كتشاف جديد ، وذخيرة نفيسة في الشعر الفرنسي ، كما كتب عنهُ الكاتب الكبير فرنسوى كوبيه فوصفه بأنهُ خلق شعراً يمتاز بطابعه الفردي ، ويسترعي ارق اهتزازات العصب الانساني ، وان قوافيه واوزانه تجمع بين الحرية والترسل في اسلوب كله قوة وكله عذوبة واستعارات رائعة وموسيقية فريدة

والحق ان ديوانهُ الثاني « أعياد مرحة » كان لهُ من عنوانه نصيب عظيم ، فكانت قصائده اكثر احتفالاً بالبهجة ، وهكذا تكون روح الشاعر ، فغناؤها يترجم دائماً عن شعوره بالحياة ، وتأثره بأفراحها واتراحها ، فهي في ديوانه الأول تغشاها الكآبة ، وهي في ديوانه الثالث Romances sans Parole الذي نظمه في السجن ، تتجاوب بأصداء الألم الذي تضطرب به روح الطائر الحبيس ، وهي في ديوانه الثاني مرحة تصدح بالفرح ، وتتردد بالأمل الجميل . وكما انطق البؤس فيرلين كذلك الطفتهُ الحبُّ ، ولم يكن غرام ماتيلد عبثاً محضاً ، فقد ألهم فيرلين أرقَّ اشعاره وأعذب أغانيه وكشف عن جوهر روحه الصافية ، وإبداع عقله ، فمن العيون الضاحكة ، ومن الشعر الاشقر المتموّج ، ومن هذا الصوت الرخيم ، استمدَّ فيرلين الوان خياله المتلألئة ، ومرح قوافيه ، وروعة انغامه ، ولعلك تحسُّ هذا كلَّه في هذه القصيدة — :

هذا هو القمر الفضيُّ يملأ الغابة نوراً
ونمَّ صوتٌ ساحر يهتف تحت كل فرع
ومن ذؤابة كل غصن « يا محبوبتي »
هذا هو الغدير الرقراق كصفحة المرآة
يسبح فيه خيال الصفصافة السوداء
حيث تثنُّ الريح
ألا فلنعلم يا حبيبتي فتلك ساعتنا

فالكون يلفه السكون ويهفو به الحنان
كأنما لسلسبيل اللانهاية المشرقة الوانها
ألا انها الساعة المنتظرة

وليست اشعار فيرلين كلها بهذه البساطة ، نعم ان منها ما يعد من الاغاني الشعبية ، ولكنهُ أيضاً كان شاعراً رمزيًّا عميقاً ، ومن الواضح ان فيرلين تأثر في مستهل حياته بالنمط الكلاسيكي ، ايام اتصاله بجماعة « ليكونت دي ليل » ولكنهُ لم يستسغهُ ، ولم يرض عنه وجدانه ، فصدف عنهُ الى طبعه الاصيل . ولكن من الواضح جدًّا ان فيرلين تأثر ببودلير الى حد ما ، فقد أسلفنا القول ان بودلير سبقهُ بنحو عشرين عاماً ، ولعلَّ الجانب الرمزي في بودلير هو الذي استهوى فيرلين ، بيد ان الفرق بين الرجلين كان بعيداً جدًّا ، فهما يختلفان في الطبع وفي النظرة الى المرأة ، فقد كان لفيرلين طبع لين ، ونفس رقيقة رغم مزاجه الحاد ، ثم انهُ كان يحب المرأة حبًّا اقرب الى الروحانية منهُ الى الشهوة المجردة ولم تفسد المرأة حياته ولكنهُ الذي افسد حياتها . ولكن بودلير كان شهوانيًّا الى حد بعيد ، وكان ذا فلسفة خاصة فقد رمى القدر في احضانه بغتة يستمرئ متعة الجسد ، فراح ينشد من وراء فلسفته « حواء » اخرى لا تتصل بطريدة الجنة . لقد كان بودلير ضحية المرأة اما فيرلين فكان ضحية الخمر

ان أهمية شعر فيرلين في موسيقاه ، تلك الموسيقى التي وصفها النقاد بالموسيقى الموزارية نسبةً لموزار الموسيقي الالماني العظيم ، ففيرلين من هذه الناحية من طائفة فيلون وهايني ، وادجار إلن بو ، ولكنه زاد عليهم تلك اللغة البارعة التي استحدثها في شعره ، وهي لغة لها أهمية موسيقاه . لقد سكب فيها كل ما اضطرم به قلبه من الامل والحماسة والحب والقوة ، وكل ما اضطرب بين جوانحه من الاحلام والكآبة والمرح . ويجدر بي القول قبل ان أختم هذه الدراسة ، ان فيرلين لم يعش خامل الذكر في جيله ، ولا منكور الأثر ، فقد رأى بعينه تألق نجمه في عالم الشعر ، وشهد أشعاره مترجمة الى غير لغة واحدة ، وسمع أغاريده تملأ افواه الشعب الفرنسي ، كما سمع الكثير من إعجاب أعظم كتَّاب جيله شأناً وأخطرهم رأياً ، وكان الاعتراف بمكانته من المدرسة الرمزية الحديثة أمراً مسلَّماً ، ولكن املاً واحداً من آماله الكثيرة الضائعة ، لم يتحقق ، فأضاف إلى عذابه الروحي وشقائه المادي ، شقاء آخر وعذاباً جديداً ظلَّ يحزُّ في قلبه حتى وقف عن ضرباته . فقد دفعه بؤسه ، ومرارة علاقته برامبو ، أن يتخلص منها ويمحوها بترشيح نفسه « للاكاديمي فرنسيز » ويشير بعض النقاد إلى أسباب أخرى ترجع إلى غروره في ايامه الاخيرة واعتداده بنفسه ، ولكن من المحقق أنه كان يطمح الى الظفر بقوة الاحترام ، وإلى مكافأة الاكاديمية الضئيلة لينعم بالراحة بين دنان الخمر ، وكان يرى في تحقيق هذا الامل مجداً خطيراً يتوَّج حياته بالخلود . وقد وصف النقاد ذلك بأنهُ « كوميديا خطيرة » كما عابوا عليهِ طموحه « لذلك القبر المزخرف البغيض الذي يشد القريحة ويطفىء النبوغ » . ولكن الزمن حقق بعد مماته ماعجزعنهُ في حياته فرفعهُ الى مصاف العبقريين وكتب اسمه في ثبت الخالدين

# عقيدة عالم كبير

للسر أرثر كيث

احسُّ في قرارة نفسي بإحجامٍ عن بسط عقيدتي في الانسان والحياة وما بعد الحياة وقد يكون الباعث على ذلك ولادتي في اسكتلندا ونشأتي الدينية بحسب طقوس فريق «البرسبيتيريان» من شيعة البروتستانت . وقد يكون لهذا الإحجام صلة بعمري ، فقد تخطيت السنة السادسة والستين وأصبت قسطاً يسيراً من الحكمة العالمية . ولكن الباعث الحقيقي على احجامي انما هو الخشية او الخوف . فانا بحكم الطبع احد الناس . واخشى كما يخشون القطيعة الاجتماعية . ولا ريب في انني اسير في سبيلها يوم افكُّ الختم عن حرم نفسي وأبيح للناس المعتقدات المسيطرة على سلوكي ونظري الى الكون . ولا ريب في ان عملاً كهذا ينطوي على خطر . فهذه المعتقدات موسومة بسمة الشعور العنيف ، لانها اصبحت جزءاً مما ، واننا لنعجز عن المناقشة العلنية فيها من دون ان نتهجم على رجال ونساء نحن في حاجة الى الاحتفاظ بمحبتهم وصداقتهم . لذلك يؤثر معظمنا ان يلتزم جانب الصمت في هذه الناحية

ولكنَّ طلب المحرر حملني على ان اخرج على خطتي هذا . وهانذا اكتب وقد وطّنت العزم على ان اسارح نفسي وقرائي معاً . اقول هذا وأنا اعلم ان بعض قرائي قد يتمعض لما اقول ، ولكنني ارجو ان يكون اعترافي هذا سبيلاً الى تعزية آخرين

## تباين المعتقدات

انا لست وحيداً في هذا العالم . بل ثمة في هذه الدقيقة نحو ١٧٥٠ مليوناً من الناس ، سائرين في طريق الحياة . ومنهم ملايين ، مثلي ، بدأوا الرحلة بارث مجيد من المعتقدات الصالحة ، ولكنهم بعد ان رأوا ما رأوا وسمعوا ما سمعوا وتعلموا ما تعلموا اخذوا يلبذونها معتقداً معتقداً . اما انا فلم يكن الانقلاب الذي وقع لي انقلاباً فجائياً او رؤيا من نوع الرؤيا التي ظهرت لشاول في طرسوس . ولكن توالي اختباراتي ومجاربي اليومية ، اقنعتني رويداً رويداً بأن العقل دون الايمان هو رائدي في الحياة

ولسنا نجد بين الناس اثنين يقطعان رحلة الحياة في طريق واحد . فقد تحدث لاثنين او اكثر منهم الحوادث نفسها ، ولكن اجتماع هذه الحوادث وتفرقها ، يختلفان في حالة كل واحد منهم

عنهما في حالة الآخر . فحياة كل انسان انما هي مغامرة فذة تختلف عن مغامرة الآخر . واذا كانت عقائدنا تختلف باختلاف الطريق التي نقطعها في حداثتنا ، فعقائد الناس يجب ان تختلف اليوم اختلافاً بيّناً او يسيراً ، فلا تماثل منها عقيدتان كل التماثل

وما زال الانسان مطبوعاً بطابع السؤال والبحث ، فمن المتعذّر ، ان نصيب اتفاقاً تاماً في العقائد . وبقدر ما نختلف سبلنا في الحياة تختلف عقائدنا كذلك . ومعظم الناس مقضيٌّ عليهِ بأن يسير في السبيل الممهدة امامهُ . وهم في الغالب لا يملكون من الفراغ او الرغبة ما يمكنهم من دراسة ما يعرض لهم من ضروب الاختبار وتمثيلها . وقليل من الناس من يتاح لهُ ان يختار طريقهُ ويخططها

لا ريب في ان الكنيسة تستميل الى ناحيتها عقول الاحداث الجادّة التواقة الى الكشف عن اسرار الكون والحياة . فهي تمهد لهم الطريق الفذّة الى الحقائق الازلية ، او تبدو كأنها تمهد لهم تلك الطريق . وقد يتاح للكاهن ان يستخلص افضل ما للفكر الانساني عن طرائق الله . بل هو يستطيع ان يتبين في رعيته الطرق التي يسلكها الناس الى الله ، فيقتنع ان قلوب الناس تنطوي على رغبة ملحة في الوصول الى عقيدة راسخة

وقد مضت قرون على الكنيسة وهي تستميل الناس اليها من هذه الناحية . ولكن العلم اخذ ينافسها في ذلك في العصر الحديث ، حتى ليدهش الباحث اذ يرى كثرة الشبان الذين يقفون حياتهم على طلب المعرفة وتوسيع نطاقها . وقد مضوا في كل سبيل يرودون ويستطلعون وعادوا بحصاد غني من الحقائق . ونحن لا يسعنا ان نغضي عن حصادهم هذا لانهم لا يستطيعون ان يتبينوا اسرار الكون والخلق من دون ان يبدعوا نظماً فلسفيةً لتعليل ما شاهدوا وحققوا . ومما لا ريب فيهِ ان التحوُّل في نظر الرجال والنساء الذين ساروا في هذه السبل الجديدة اعظم من التحوُّل الذي اتى على غيرهم ، وهم لذلك لا يستطيعون ان يتمسكوا بالصور الفلسفية القديمة الخاصة بالمادة والعقل

وهذا القول يصدق بوجهٍ خاص على رجال مثلي قضوا الشطر الاكبر من حياتهم في دراسة المادة الحية ، وبوجهٍ خاص اذا كانت تلك المادة مفرغة في قالب الجسم البشري

وقد اتاحت لي الطريق التي سلكتها فرصاً قلّما تتاح لغيري . فقد قادتني الى حيث تمكنت من فحص المكتشفات الخطيرة المرتبطة بنشأة الانسان ومكنتني من دراسة احدث واتمّ ما عرف عن جسم الانسان ودماغهِ . وحقي الوحيد في ان اعرض فلسفتي الخاصة للقراء ، قائم على ما اصبتهُ من الخبرة في هذا السبيل الذي سلكتهُ

ولكن قبل ان ابدأ اعتراضي ، اودُّ ان اشير الى مسألة اخرى على سبيل التمهيد . فقد قلت اننا لسنا نجدُ اثنين من ملايين المواليد ، يقطعان رحلة الحياة في طريق واحدة . ومما لا ينازع فيهِ كذلك اننا لسنا نجد اثنين يستهلان رحلة الحياة بزادٍ واحد من قوى الجسد والعقل . فعلى كلّ وجهٍ صحة شخصية خاصة ، عند انبثاقهِ من الرحم . وكل طفل حين يهلُّ على الارض يهلُّ ببصمةٍ على انامله خاصةٍ بهِ دون

غيره . وما يصدق على وجوه المواليد وبصمات انامليهم يصدق على ادمغتهم كذلك . ففي الدماغ ١٨٠٠٠ مليون خلية عصبية دقيقة لا ترى الا بالمكرسكوب . وهذه الخلايا مقسمة طوائف كل طائفة منها متصلة بالطوائف الاخرى ، وخطوط الاتصال بينها تزري باكبر لوحة تليفون واكثرها تعقيداً . فانت تجد بين هذه الخلايا العصبية خلية واحدة منعزلة عن الاخرى . وجميعها يشترك في تناول الرسائل التي تنهال على الدماغ عن طريق العيون والآذان والاصابع والاقدام وغيرها من اعضاء الجسم

هذا السيل المتدفق من الرسائل يبدأ عند الولادة ولا يقف حتى الموت وهو اساس اختبارنا فاذا تفهمنا هذه الصورة لبناء الدماغ وصلته بخبرة الانسان وتجاربه ، سهل علينا ان نفهم كيف ان هذه الصورة الجديدة تؤثر في تغيير معتقداتنا او في بعضها على الاقل

## هل الدماغ مزدوج التركيب ؟

عُني المشتغلون بالمباحث الطبية عناية خاصة بدماغ الانسان . فوجدوا تركيبهُ معقّداً كل التعقيد وطرق تأديتهِ لعملهِ مبهمة يصعب الكشف عنها . ومع ذلك ثبتت لهم حقيقة عامة ثبوت الشمس في رائعة النهار هي ان تعقيد تركيب الدماغ ومقدرتهُ على تأدية عمله يسيران جنباً الى جنب. فالعقل لهُ اساس مادي . راقب دماغ الطفل من ولادتهِ الى المراهقة تر دماغهُ يكبر حجماً ويزداد تركيبهُ تعقيداً وانهُ كلما نما كذلك اتسع نطاق عمله. فاذا اصيب الدماغ في مرتبة من مراتب النمو بعلّة اوقفتهُ عن النمو فلت مقدرة صاحبهِ العقلية حيث هي لا تنمو ولا ترتقي . كذلك ترى ان مرضاً من الامراض اذا اصاب هذا الجانب من الدماغ او ذاك عطل الملكة العقلية التي مركزها في ذلك الجانب المريض . فالتهاب الدماغ السحائي اذا اصاب دماغ طالب في المدرسة اوقف نموهُ العقلي وترك في خلقهِ اثراً باقياً هو دائماً اثر سيء ولن يكون اثراً صالحاً قط . فانتظام العقل لا يمكن ان يتم الا اذا كان الدماغ صحيحاً في بنائهِ سليماً من الامراض والآفات . وفي امكان الاطباء ان يحذّروا الدماغ فيضعفوا عمل بعض اجزائهِ فتضعف الملكات المتصلة بها وان يحقنوا بعض الاجزاء الاخرى بمواد مختلفة فيغيروا بذلك عقل الرجل وتصرفهُ . وبكلام آخر ان الدماغ آلة حية تحرق الوقود وتحول القوة التي تنجم عن ذلك الى شعور وفكر وذاكرة وغيرها من الملكات العقلية والنفسية . فاذا امسكنا عن الدماغ مصادر الوقود الذي يحرقهُ — اي الاكسجين — وقف الدماغ عن العمل كما تخمد النار اذا حُبس عنها الهواء او نفد الوقود . ولذلك لا يرى المشتغلون بالمباحث الطبية سبيلاً الى الاعتقاد بان الدماغ عضو مزدوج التركيب مؤلف من مادة وروح . لان كل حقيقة تمكنوا من امتحانها واثباتها تحتم عليهم القول بان العقل والروح انما هما مظهران من مظاهر دماغ حي كما ان اللهب مظهر من مظاهر شمعة تحترق . فاذا اصاب الدماغ والشمعة ما حلّهما الى عناصرها المستقلة بطل وجود العقل واللهب وجوداً مستقلاً . ومهما تعارض هذا الرأي مع التقاليد والآراء المنقولة فرجال

الطب لا يستطيعون ان يروا غير هذا الرأي اذا صدقوا ما تثبتهُ حواسهم . ولولا ذلك لما كان في امكانهم ان يشخصوا الامراض العقلية وغيرها ويصفوا لها طرق العلاج والوقاية . فالروح اذاً في نظر رجال الطب تقيم في الدماغ والجهاز العصبي المعقد التركيب ولا يمكن فصلها عنهما . على ان هذا الرأي لا يسلّم بهِ طائفة من رجال العلم الذين اشتهروا ببراعتهم في الكشف عن اسرار المادة وبنائها وعلاقتها بالطاقة . وفي مقدمة هؤلاء السر اوليفر لدج . ان نظره الى دماغ الانسان قائم على الاعتقاد بأن الدماغ اداة مادية لوحدة غير مادية يسميها الروح والروح في رأيهِ متميزة عن الدماغ تميُّز للموسيقي عن القيثار الذي يعزف عليهِ . وهو مسوق الى هذا الاعتقاد لانهُ يستطيع ان يفسر بهِ اكثر المظاهر التي يعتقد في صحتها اصحاب المذهب الروحاني . فالروحانيون يعتقدون ان العقل او الروح يجيء من الفضاء فيأخذ بتلابيب البروتوبلاسمة الحية ويجعل منها جسداً حيًّا ثم يستعمل هذا الجسد أداة لمظاهره ثم لا يلبث ان يتجرد عن هيكلهِ المادي ويرجع الى الفضاء . والفرق بين الرأيين ان البيولوجي العصري يقدم الجسم والشمعة على الروح واللهب والروحاني يعكس الأمر ويقدم الروح على الجسد واللهب على الشمعة

## خلود الحياة

أنا أرى ان الحياة نسيج خالد . وأرى اني والسر اوليفر لدج وجميع المخلوقات البشرية على الارض لسنا سوى دقائق لا ترى لصغرها في هذا النسيج الفسيح . فنسيج الحياة الذي نراه الآن على ثوب الزمان انما هو القطعة الاخيرة من ثوب سابق متصل الاجزاء بدأ في جوف الزمان المتغلغل في القدم وهو كذلك القطعة الاولى في ثوب لاحق متصل بهِ لا نستطيع ان نرى نهايتهُ . اقول هذا ولا اجهل ان علماء الهيئة الذي درسوا الشمس وعمرها يرون انهُ لا بدَّ ان يحلَّ زمن تصبح فيهِ هذه الارض داراً غير صالحة للاحياء امثالنا . ولما كانت هذه الضربة لن تحلَّ فيها قبل انقضاء ملايين من السنين او عشرات ومئات الملايين فيصحُّ القول بان خلود الحياة الانسانية عليها امر مقرَّر بالنسبة الينا . انا اؤمن بالخلود . والسر اوليفر لدج يؤمن بهِ كذلك . ولكني اؤمن بخلود الحياة الانسانية على المنوال الذي قدمت . فاذا خلدنا فانما نحن نخلد في ابنائنا واحفادنا . وكل انسان يولد وفي جسمهِ عناصر الخلود . ولكن السر اوليفر لدج يؤمن بخلود الشخصية المستقلة

على ان السر اوليفر لدج قائد مجرَّب لهُ مقام رفيع بين جنود العلم الطبيعي الذين يحاولون ان يسلبوا الطبيعة اسرارها ويسيطروا على قواها . وانا لست سوى جندي في جيش الاطباء الذي يحاول ان يسيطر على الامراض ويذيل من سطوتها على حياة الانسان . ونحن نرى اننا لن نفلح في حربنا مع الجراثيم الا اذا درسنا الحياة واساليبها في اعضاء الانسان على اختلافها ودقائقها واحدة واحدة . ولا ريب في انهُ فرض واجب علينا ان نستعين باخواننا علماء الطبيعة وما كشفوا عنهُ من اسرار

المادة وتركيبها وخصوصاً بناء المادة الحية. الاّ اننا نرى ان تأليف مجلس علمي للنظر في حياة الانسان لا بدّ انهُ يحتوي بين اعضائهِ على الاطباء ولا بدّ ان يكون لهؤلاء كلمة مسموعة فيهِ

## طبيعة الموت

اذا فحص طبيب قلب مريض ووجد انهُ وقف عن الضرب وان رئتيه توقفتا عن التنفس حتم بان الرجل قد مات . ولكن الحقيقة انهُ لم يمت في نظر العلم . لانهُ اذا استطاع الطبيب ان يبني اداة تمكنهُ من حقن شرايين هذا الرجل الميت بدم جديد فيهِ عنصر الاكسجين عاد الى الرجل رشده وذاكرتهُ وعقلهُ وتمتع بهما ما زال هذا الدم الجديد يحقن في عروقهِ . ولكن اذا وقف الدم بما فيه من الاكسجين عن الدوران عشر دقائق انتقلت ملايين الخلايا التي يتألف منها الجسم الى هوّة الموت السحيقة من غير امل في العودة منها

والقلب يبقى حيًّا بعد موت الدماغ — قد يبقى حيًّا ساعتين او اربع ساعات او اكثر من ذلك حتى بعد صدور الشهادة الشرعية بحصول الوفاة . وقد يؤخذ قلب من جسد ميت وتعاد اليهِ الحياة بوسائل صناعية فيعود ينبض كانهُ في صدر صاحبهِ الحيّ . كذلك تبقى اغشية الشرايين تبدي دلائل الحياة اربعين ساعةً بعد موت صاحبها . والجسم الحيّ مكوّن كما لا يخفى من الوف الخلايا الدقيقة التي لا ترى الاّ بالمكرسكوب وقد ازال علماء الطب بعض هذه الخلايا من فتى ميت وحفظوها حية في معاملهم الطبية زمناً كان فيهِ الجسم الذي اخذت منهُ قد عاد الى التراب

فالموت لا يحدث في لحظة كخطف البرق . والجسم الميت يموت تدريجاً كما يفنى شعب من الجوع في مدينة محصورة ، الضعاف يموتون اولاً ثم يموت الباقون بحسب ضعفهم وقوتهم على مقاومة الجوع . فاذا كان سبب الموت ، كما يعتقد السر الفرنسي ، خروج الروح من الجسد وجب ان يكون هذا الخروج في لحظة واحدة اي من جميع اعضاء الجسد وخلاياه في آن واحد . ولكنهُ كما رأينا فعل تدريجي . واذا كان اساس الحياة في الانسان روحاً غير مادي فكيف يحتاج الى اشياء مادية كالهواء والماء والغذاء لحفظ الحياة . اذا دخل روح الى بيتي في الليل ووجدت في الصباح انه أكل طعامي وكرع خمري وسرق نقودي حكمت ان هذا الروح مادي لا اثيري . هذا هو المبدأ الذي يبني عليهِ البيولوجي نظره الى روح الجسد البشري . انهُ يرى انهُ يحتاج الى غذاء مادي وانهُ يجب ان ينفق المادة ويحول القوة وان الوعي والشعور والذاكرة والارادة وكل المدارك التي تجعلها لفظة العقل تزول من الدماغ الحي اذا حبسنا عنهُ الاكسجين . فالحياة كما نعرفها لها أساس مادي والعالم الفسيولوجي لا يستطيع ان يتصور كيف يمكن وجود الحياة منفصلة عن المادة . فحياة العقل وخلوده لا يمكن ان ينمّا من غير حياة الجسد وخلوده

الجسد الميت شمعة قد طفئت . فاذا نعرف عن الشمعة المشتعلة المضيئة — ماذا نعرف عن الجسم منيراً بشعلة الحياة ؟ اننا نعلم كيف تنار شمعة الجسم الحي اذ يلزم لها نور شمعة اخرى حتى

تغيرها وقد تقدمنا كثيراً في هذا الميدان من ميادين العلم . لقد مرَّ قرن واحد فقط منذ رأى الانسان للمرة الاولى في التاريخ دقيقة من البروتوبلاسمة تدعى البيضة التي منها تنشأ كل حياة انسانية ونحن نستطيع الآن ان نتتبع كل درجة من الدرجات التي تمرُّ بها هذه البيضة حتى تصير رجلاً او امرأة . فقد تتبعنا في رحم المرأة كلَّ تغير يطرأ على جسم الجنين من بنائه البسيط بعيد التلقيح الى هذه الاجسام التي تحير اللب في تعقيد بنائها وغموض الاسرار التي تحتجب وراء افعالها ووظائفها. كلٌّ منا يبدأ خلية من البروتوبلاسمة لا تكاد ترى بالمكرسكوب لصغرها . وكلٌّ منا ينتهي بجسم مؤلف من الوف الوف الخلايا . وفي استطاعتنا ان نرى جماهير من هذه الخلايا مسوقة لتقوم بعمل الجهاز العصبي وجماهير اخرى بنات عم لها تبنى منها الآلات العضلية الحية واخرى تبنى منها العظام واخرى يتركب منها الدم او الجلد او غيرذلك من انسجة الجسم واعضائه . كذلك نستطيع ان نراقب نشوء عضوي الحس الدقيقين في تركيبهما ووظيفتهما أعني العين والاذن . حتى في ساعة الموت تكون بعض الخلايا قد اشرفت على الولادة والبعض قد اشرف على الموت والخلايا الاخرى فيما بين هذين الطرفين في مراحل مختلفة بين الولادة والموت . فكأن جسد الانسان يولد ويموت كل يوم . وفي كل ساعة نرى روح الحياة او قوة الحياة تتحوَّل اعمالاً صالحة او طالحة

فكيف نستطيع ان نعلل هذه التغيرات العجيبة التي تطرأ على خلية واحدة من المادة الحية فتحولها الى رجل عاقل؟ اصحيح ما يذهب اليه السر الثر لدج من ان وحدة ثيرية ، او روحاً بشرية دخلت هذه الذرة من البروتوبلاسمة وحركت دقائقها وجعلتها تمرُّ في ادوار النمو والنشوء المعقدة لكي تبتني لها داراً ارضية زائلة . انها لا تكاد تشرع في تكوين هذه الدار حتى تدخل عناصر الانحلال تفسد عليها عملها عاجلاً او آجلاً . كلاَّ انهُ لأسهل ولأقرب للعقل ان نعلل الحقائق المعروفة عن الحياة بانها افعال وتفاعلات حيوية مادية بدلاً من ان ننسبها الى فعل وحدة خفية غير مادية كالتي يذهب اليها السر الثر لدج

لماذا يبدأ كل من البشر حياتهُ في رحم امرأة ؟ إذا صح ما يذهب اليهِ السر الثر لدج من ان الجسم ليس سوى دار للروح فاننا لا نستطيع ان نعلل التلقيح وتكوين الجنين في رحم الانثى . ولكن اذا قبلنا مذهب النشوء — والادلة على وجوب قبوله كثيرة — استطعنا ان نعلل ابتداء حياة كل انسان في خلية الانثى بعد اتحادها بخلية الذكر وكيف ينمو جسم الجنين ويتطور لان مذهب النشوء يقتفي خطوات الانسان منذ ظهور الحياة على الارض . وتاريخ الانسان الجنيني يلخص هذا التاريخ المديد . فالبيولوجيون يحسبون نوع الانسان جزءاً من نسيج الحياة الذي تفلغلت اوائله في جوف الزمان. فما يصحُّ على الانسان يجب ان يطبق على الاحياء الاخرى التي تتكوَّن منها اجزاء هذا النسيج فاذا قلنا بروح غير مادي لتعليل حياة الانسان لم نستطع ان نمسك عن تطبيق هذا التعليل على حياة الاميبا وهي ادنى الاحياء وابسطها تركيباً

# انشودة الصباح

يا كائنات افسحي ويا دجى تزحزحي
ويا سماء سحي
النجم لاح
ويا بحار انشدي ويا طيور غرّدي
ويا مسافر اهتد
هذا الصباح

سلام على الكائنات سلام يجدّد فيها قواها العظام
ويبعث فيها الهدى والسلام
مناظر الجبال بالنور والظلام
في باذخ الجلال
تعظم
وغورها المريبُ بعيدهُ قريب
وسحره العجيب

يبسم
تبهرج في الافق الوانه وعاد الى القلب ايمانه
وزالت عن الصدر اشجانه
يا نائمين استيقظوا من نومكم واتعظوا
الكون هبَّ يلفظ
شكر الاله
تنفّس الصباحُ وانطلق المراح
واحمد السراح
الى الحياه

فبعداً لليل قضى وامّحى وقرباً لنور زها موضحا
واهلاً وسهلاً بشمس الضحى

# منبر الرسول وتطور المنابر

## المقصورة والمحراب المجوف

بقلم جناب الكبتن كرسويل استاذ العمارة الاسلامية بالجامعة المصرية
ونقله الى العربية السيد محمد رجب بوزارة المعارف

### المنبر (١)

كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يخطب وهو مستند الى جذع نخلة (٢) منبت في الارض ولكنه في سنة ٧ هجرية (٦٢٨/٩ م) كما روى الطبري او في سنة ٨ او ٩ هجرية كما روى آخرون اتخذ منبراً من خشب الاثل الذي كانت تنمو اشجاره بوادي الغابة (٣) ويقال ان الذي صنع هذا المنبر رومي يدعى باقوم او باقول (٤)

وكان هذا المنبر كرسيًّا ذا ثلاث درجات (٥) يجلس النبي على الدرجة الثالثة منهُ وهي العليا واضعاً قدميه على الدرجة الثانية . وكان ابو بكر الخليفة الاول يجلس على الدرجة الثانية ثم لما تولى عمر الخلافة صار يجلس على الدرجة الاولى واضعاً قدميه على الارض . وقد كان هذا المنبر الذي لصادفه

---

(١) رغب الينا اخواننا في ان نردف ابحاث جناب الكبتن كرسويل التي نترجمها عنه ببعض النصوص العربية من المصادر المعترف بها عند المسلمين . فقبولا على رغبتهم قد أضفنا الى هذا البحث بعض النصوص العربية التي وجدنا فائدة في اضافتها . وفي كثير من الاحيان وجدنا هذه النصوص مكررة في كثير من الكتب فآثرنا ان نثبت نصاً او نصين وان نشير الى البعض بذكر الكتاب ومؤلفه ورقم الصفحة والجزء وضربنا صفحاً عن الباقي (المعرب)

(٢) . . . عن ابن عمر « كان النبي ( صلعم ) يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه . . . الخ » صحيح البخاري طبع ١٣١٤ جزء ٤ ص ١٩٥

. . . وعن جابر بن عبد الله قال « كان النبي (صلعم) يخطب الى جذع قبل ان يتخذ المنبر . . . الخ » مسند احمد بن حنبل جزء اول ص ٢٤٩ وايضا سنن الدارمي جزء اول ص ٣٦٧

. . . وعن جابر بن عبد الله قال « كان جذع يقوم اليه النبي (صلعم) فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل اصوات العشار . . . الخ » صحيح البخاري جزء ٣ ص ٩ (المعرب)

(٣) . . . عن سهل بن سعد قال « كان من أثل الغابة بني منبر رسول الله صلعم » مسند احمد بن حنبل جزء خامس ص ٣٣٥ (المعرب)

(٤) يؤكد آخرون ان هذا الرومي هو الذي وضع للكعبة سقفاً عند ما أعادت قريش بناءها وانه لم يصنع المنبر وانما صنعه نجار آخر من المدينة

(٥) . . . عن سهل بن سعد انه سئل عن المنبر من أي عود هو ؟ قال

« أما والله اني لاعرف من عمله واي يوم صنع واي يوم وضع ورأيت النبي (صلعم) يوم جلس عليه . ارسل النبي (صلعم) الى امرأة لها غلام نجار فقال لها مري غلامك النجار ان يعمل لي اعواداً اجلس عليها اذا كلمت الناس فامرته للعمل الى الغابة فتقطع طرفاء فعمل المنبر ثلاث درجات فارسلت به الى النبي (صلعم) فوضع في موضعه هذا الذي ترون يجلس عليه اول يوم وضع . . . . الخ » مسند احمد بن حنبل جزء ٥ ص ٣٣٩ وانظر ايضاً صحيح البخاري جزء ١ ص ٩٣ وجزء ٢ ص ٩ وجزء ٣ ص ٦١ و ص ١٥٤ (المعرب)

الآن لاول مرة في الاسلام موضوع دراسة قام بها بكَر Becker نلخصها فيما يلي

اتخذ محمد المنبر حينما عظم شأنهُ وصار يستقبل الوفود من جميع الانحاء . وكذلك كان ابو بكر الخليفة الاول يأخذ البيعة في محفل عام وهو جالس على منبر . وهكذا كان يفعل الخلفاء من بعده عقب انتخابهم للخلافة مباشرة وولاة الاقاليم في البلاد التي فتحها الله على العرب فكان الوالي عقب توليه منصبه يعتلي المنبر . ويشيرون الى ذلك عادة بقولهم « واعتلى فلان المنبر في جهة كذا » . وكان هذا ضروريًا قبل مباشرته مهام عمله (٦)

ويستنتج «بكَر» من ذلك ان المنبر الذي رأيناه كان في اول امره مقعداً ذا درجتين ولم تكن له معنى او دلالة دينية في الايام الاولى للاسلام. فلم يكن سوى المكان الذي يجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الاولون عند عقدهم المجالس او في ايام الاعياد . فكان بذلك نوعاً من العرش يجلس عليه رئيس المجتمع الاسلامي في ذلك الوقت

وكان المنبر معروفاً في العصر الجاهلي ولم يكن في اول امره سوى المقعد الذي يجلس عليه رؤساء العرب القدماء . فلما جاء الاسلام اتخذ مقعداً يجلس عليه الحكام المسلمون. ولعل هذا ناشيء الى حد ما من تأثرهم بفكرة اتخاذ العروش وهي فكرة شرقية قديمة . فكان يجلس عليه الرسول وخلفاؤه من بعده عند ما ينظرون في الشؤون العامة

وحينما نهى عمرو بن الخطاب عمر بن العاص عن اتخاذ منبر بالفسطاط كان ذلك لما للمنبر في تلك الايام من الدلالة القديمة اذ كان يعتبر العرش المقدس الذي يجلس عليه خليفة رسول الله

وكان المنبر والعصا هما علامتا الشرف اللتان يتميز بهما الوالي او القاضي في صدر الاسلام وربما كان ذلك متبعاً ايضاً في عصور الوثنية السابقة . ثم تطورت العصا حتى صارت صولجاناً وساعد على تطورها ما كان عند الفرس والروم من الصولج وخاصة بعد وفاة الرسول وفي عهد بني امية

ويرى «بكَر» ان تطور المقعد الى منبر قد بدأ حينما أضيف الى المصلي ويعزي ذلك الى معاوية (٦٦١/٦٨٠م) او الى مروان واليه على المدينة . اما عن مصر التي لدينا الكثير من اخبارها وتاريخها فاننا نعلم ان جميع مساجدها في القرى قد اضيفت اليها المنابر في سنة ١٣٢ هجرية (٧٤٩/٥٠ م)(٧)

ومن ذلك يستنتج «بكَر» ان المقعد القديم قد تحول تحولاً تامًّا الى منبر وعم استعماله في المدة الواقعة بين حكم معاوية وسقوط الدولة الاموية ٧٥٠ م

---

(٦) يرى لامنس Lammens انه بعد الفتح كان للكوفة والبصرة وغيرها من مدن العراق منابرها . وكذلك كانت توجد المنابر في اجناد الشام . مثال ذلك انه بعد ان انشأ يزيد الاول جند قنسرين مباشرة سمعنا عن وجود منبر هناك . كما ان عمرو بن العاص كان قد اتخذ منبراً بالفسطاط عقب اتجه مصر ولكن عمر بن الخطاب نهاه عن اتخاذه وانكر عليه ذلك (٧) جاء بالمقريزي جزء ٤ ص ٨ ما يأتي : ولم يكن يخطب في القرى الا على العصا الى ان ولي عبد الملك بن مروان بن نصير اللخمي مصر من قبل مروان بن محمد فامر باتخاذ المنابر في القرى وذلك سنة ١٣٢ هـ ( المترجم )

## اصل كلمة منبر

اما عن اصل كلمة منبر فقد اوضح شوالي Schwally ونولدكه Nöldeke انها من اصل اثيوبي (حبشي) وهذا لا يدهشنا كثيراً لانهُ توجد الفاظ كثيرة في القرآن نفسه من اصل اثيوبي اضف الى ذلك ان بلالاً مولى رسول الله كان عبداً حبشياً وان ام سلمه احدى زوجات النبي كانت ممن هاجروا الى الحبشة قبل هجرة الرسول الى يثرب ببضع سنين وان اهل مكة كانت لهم علاقات تجارية دائمة مع الحبشة وميناؤها مصوع التي كان الوصول اليها بحراً امراً ميسوراً

## تطور المنبر

كان عمرو بن العاص قد اتخذ منبراً فكتب اليهِ عمر بن الخطاب رسالة شديدة اللهجة ينهاه فيها عن اتخاذ المنبر ويعزم عليهِ في كسره[٨] وقد جاء بها (اما يحسبك ان تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبيك) فكسره عمرو وقد سبق ان اشرنا الى هذه الحادثة[٩]. وفي خلافة عثمان بن عفان ظهر المنبر ثانية في مصر وقد روى ابن دقاق والمقريزي وأبو المحاسن ان زكريا بن مرقنى (او مرقنا) ملك النوبة المسيحي اهدى منبراً الى عبد الله بن سعد بن ابي السرح والي مصر من سنة ٢٤ — ٣٦ هـ (٦٤٤ الى ٦٥٦ م) وبعث معهُ نجاراً حتى ركبه بقطر من اهل دندرة وبقي هذا المنبر في مسجد عمرو حتى ازاله قرة بن شريك ونصب منبراً جديداً سواه[١٠]. ويقول ابن دقاق والمقريزي وابو المحاسن انهناك رواية اخرى بأن المنبر الذي ازاله قرة لم يكن قديماً وانهُ منبر عبد العزيز بن مروان (٦٨٥ / ٧٠٥ م) ويضيفون الى ذلك عبارة هامة هي ان هذا المنبر حمل اليهِ من بعض كنائس مصر[١١]

وهذا يدلنا على ان الشكل الذي كان عليهِ المنبر في المساجد الاسلامية مستمد من المنبر المسيحي ويؤيد ذلك المنبر ذو الست الدرجات الذي عثر عليهِ كويبل Quibell في سقارة وهو في رأي كويبل النموذج الذي صنع على مثاله المنبر الاسلامي. وبناء على ذلك فنحن نرجح ان المنبر في الاسلام قد اتخذ الشكل الذي هو عليهِ (عدا منبر محمد) من منبر الكنيسة المسيحية الشرقية

## المقصورة

يقول ابن خلدون في مقدمته ص ٢٣٤: «فأما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيتخذ سياجاً على المحراب فيحوزه وما يليهِ فأول من[١٢] اتخذها معاوية ابن ابي سفيان حين طعنه

---

(٨) مقريزي جزء ٤ ص ٦ (٩) يضيف المغرب انه ورد بمقدمة ابن خلدون ص ٢٣٤ نص هذه الرسالة كما يلي (اما بعد فقد بلغني انك اتخذت منبراً ترق به على رقاب المسلمين او ما يكفيك ان تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك لعزمت عليك الا ما كسرته) (١٠) مقريزي جزء ٤ ص ٨

(١١) نصب المنبر الجديد سنة ٩٤ هجرية وقد اشار الى ذلك السيوطي في كتابه حسن المحاضرة جزء ٢ ص ١٣٤

(١٢) جاء بكتاب خطط المقريزي جزء ٤ ص ٧ ما يأتي: ذكر عمر بن شبة في تاريخ المدينة ان اول من عمل مقصورة بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوى تنظر الناس منها الى الامام . . . . الخ» وعلى ذلك فقد يكون عثمان هو اول من اتخذ المقصورة وليس معاوية بن ابي سفيان ولا مروان بن الحكم

الخارجي والقصة معروفة . او قيل اول من اتخذها مروان بن الحكم[١٣] ( ٦٨٣ م ) حين طعنه الخارجي ثم اتخذها الخلفاء من بعدهم وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة . وانما هي حدثت عند حصول الترف في الدول والاستفحال شأن احوال الابهة كلها . وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند افتراق الدولة العباسية وتعدد الدول بالمشرق وكذا بالاندلس عند انقراض الدولة الاموية وتعدد ملوك الطوائف . واما المغرب فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بفاس وبنو حماد بالقلعة ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ونحوا ذلك الرسم على طريقة البداوة التي كانت شعارهم ولما استفحلت الدولة واخذت بحظها من الترف وجاء ابو يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة وبقيت من بعده سنة لملوك المغرب والاندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عباده » .

هذا هو التفسير المقبول عادة لاتخاذ المقاصير ولكن لامنس Lammens يعارضه وهو يرى ان المقصورة كانت في مبدإ امرها غرفة خاصة بالحاكم في مسجد الجماعة يقصد اليها للمشاورة او للراحة بين اوقات الصلوات وان ما قيل من انها اتخذت رغبة الخلفاء في العزلة والبعد عن العامة او على سبيل الحيطة لسلامتهم الشخصية فكل هذه ليست من الاسباب المقبولة في نظره

اولاً — لان الخليفة بمكانه على المنبر كان مميزاً تمييزاً كافياً عن العامة وجمهور المصلين

ثانياً — لان الامويين كان لهم حرسهم الخاص في المسجد

وقد اوضح ايضاً ان سنة ٤٤ هـ (٦٦٤/م) التي يروي اليعقوبي انه اتخذت فيها المقصورة سابقة في تاريخها لمحاولة الخوارج اغتيال معاوية ولذلك لايكون تفسير ابن خلدون في نظره تفسيراً مقبولاً . هذا سلمنا بقول لامنس هذا ، فانه مع ذلك تبقى امامنا تلك الحقيقة التاريخية الثابتة وهي ان ثلاثة من الخلفاء الراشدين الاربعة قد قتلوا ، وان اثنان منهما كان قتلهما بالمسجد . وعلى ذلك فقد كان لدى معاوية من الاسباب مايسوغ اتخاذه الحيطة وانشاء المقصورة بالمسجد . اما عن قول لامنس انها كانت غرفة خاصة ، فليس بين المقصورات الآن ما ينهض دليلاً على صحة هذا الرأي ، لانها كانت جميعاً حتى النصف الاول من القرن الحادي عشر عبارة عن حاجز مكشوف من المشربيات كما في القيروان . وكذلك كانت المقصورة التي بالقرطبة مكشوفة وكانت تتكون من اعمدة تعلوها حجارة منقوشة بلغت الغاية في جمالها وروعتها

## المحراب المجوف

اعادة بناء مسجد المدينة سنة ٨٨ — ٩٠ هجرية و٧٠٧ — ٩ م

يقول البلاذري [١٤] « كتب الخليفة الوليد الى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة يأمره بهدم

(١٣) جاء بكتاب فتوح البلدان للبلاذري ص ١٢ عند كلامه عن مسجد المدينة ما يأتي : « وكان اول من اتخذ فيه ( مسجد المدينة ) المقصورة مروان بن الحكم بن امية بناها بحجارة منقوشة . . . — الخ المغرب »

(١٤) البلاذري ص ١٢ وما بعدها ( كتاب فتوح البلدان ) (المغرب)

المسجد وبنائه وبعث اليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعاً من الروم والقبط من اهل الشام ومصر فبناه وزاد فيه وولى القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كيسان وذلك سنة ٨٧ ويقال سنة ٨٨»

وروى اليعقوبي ان الوليد امر عمر بن عبد العزيز ان يهدم المسجد فهدمه وهدم كذلك حجرات زوجات النبي ووسع المسجد باضافة ارض هذه الحجرات اليه . وان امبراطور الروم ارسل مائة الف مثقال من الذهب واربعين حملاً من الفسيفساء وانه فرغ من بناء المسجد سنة ٩٠ هجرية

وروى السمهودي (١٤٨٨) نقلاً عن الواقدي المتوفى (٨٢٣) ما يأتي : —

« عن عبد الله بن يزيد قال : بنى القبط مقدم المسجد وبنى الروم جوانبه ومؤخره »

ذكرنا هذه الروايات لما لها من المكانة في تاريخ بناء هذا المسجد واشارتها الى العمال والصناع الذين اشتركوا في بنائه والجزء الذي بنته كل طائفة منهم . ونتقدم بعد ذلك لمعالجة موضوع المحراب المجوّف . فقد استحدث هذا النوع من المحاريب لاول مرة في المساجد الاسلامية في مسجد المدينة في عهد عمر بن عبد العزيز ، وقد روى ابن دقاق والمقريزي[١٥] نقلاً عن الواقدي « ان اول من احدث المحراب المجوّف هو عمر بن عبد العزيز حين اعاد بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم »

وهذه العبارة مع شيوعها وكثرة اقتباسها والاستشهاد بها فمع الاسف فان النص الذي يشير اليه المقريزي ليس هو النص الذي يعزى اليوم الى الواقدي ولذلك لا يمكننا ان نجزم بصحتها . ولكن نظراً لاهمية الموضوع الذي نحن بصدده فانا نميل الى الاخذ بها لورودها في كتاب ابن بطوطه (١٣٢٦) وفي الترجمة الفرنسية لكتاب المرتضى[١٦] الذي كتبه مؤلفه بعد وفاة السلطان الكامل بقليل اي حوالي ١٢٤٠ م . على اننا يمكننا ان نرجع الى مؤلفات ابعد عهداً من هذه في القرن الثاني عشر فقد نقل ابن عساكر المتوفي سنة ١٣٦٢ عن ابن عساكر المتوفي ١١٧٦ م انهُ بعد ان فتح خالد بن الوليد دمشق صلّى فيما يعرف الآن بالمسجد الاموي بدمشق وان اصحاب الرسول كانوا يصلون في المكان الذي يعرف بمحراب الصحابة وان هذا المحراب لم يكن مجوّفاً

وهذا يدل على ان المحاريب المجوفة لم تكن معروفة عند ما فتح المسلمون دمشق

فلما بنى المسجد الاموي بدمشق في عهد الوليد بن عبد الملك جعلت به المحاريب المجوفة وفي هذا المسجد الآن اربعة محاريب مجوفة يعرف احدها وهو الواقع بالنصف الشرقي من الحائط الجنوبي باسم محراب الصحابة تيمناً بذلك الاسم القديم الذي كان يطلق على محراب الصحابة عند فتح العرب دمشق

---

(١٥) خطط المقريزي ص ٥ جزء ٤ وحسن المحاضرة للسيوطي ص ١٣٤ جزء ثان

(١٦) يشير المرتضى الى ذلك بقوله : ان عمر بن عبد العزيز هو اول من احدث المحراب المجوف ولكنه لا يذكر المكان الذي احدثه فيه اذا كان بالمدينة او غيرها . ويلاحظ ان كتاب المرتضى هذا قد ضاع ولا يوجد الآن الا ترجمته الفرنسية التي ترجمها فانيه Vattier من نسخة مخطوطة كانت محفوظة بمكتبة الكردينال مازارين ونشرت بباريس سنة ١٦٦٦ (المعرب)

## محراب جامع عمرو

ولما هدم قرة بن شريك ( ٩٢ — ٩٣ هـ ) جامع عمرو بالفسطاط واعاد بناءه ووسعه جعل به محراباً عجوفاً كان يعرف بمحراب عمرو ولو انه لم يكن من عمله ( لانه كان في سمت محراب المسجد القديم الذي بناه عمرو ) . « وكانت قبلة المسجد القديم عند العمد المذهبة وهي اربعة اثنان منها في مقابلة اثنين وكان قرة اذهب رؤوسها [١٧] » لتكون دلالة على موضع المحراب القديم

ومن ذلك يتضح ان المحراب المجوف لم يكن معروفاً بالمساجد الاسلامية بمصر قبل قرة بن شريك

## اصل المحراب المجوف

ان تلك العبارة التي يرويها السمهودي نقلاً عن الواقدي واشرنا اليها من قبل تعتبر في نظرنا ذات شأن اساسي لحل هذه المسألة لان وقوع المحراب في الجزء الذي قام ببنائه الاقباط بمسجد المدينة يحملنا على الاعتقاد انهُ من اصل قبطي مسيحي وهذه النظرية التي تقررها يسلم بها كثير من الكتّاب والباحثين وقد نقل لامنس Lammens عبارة هامة عن مؤلف للسيوطي ملخصها انهُ في اوائل القرن الثاني الهجري كانت الصلاة في المحراب المجوف محرمة عملاً بالاحاديث والسنة « لانهُ من شأن الكنائس » وان اتخاذه في المساجد هو من علامات اقتراب الساعة . وقد اشار « بكر » Becker الى مؤلف آخر [١٨] من مؤلفي القرن الرابع عشر كان يقول ان المحراب هو اقل اجزاء المسجد قداسة . وكان ينهي الامام عن الصلاة فيهِ . والجزء الوحيد المجوّف في الكنيسة القبطية هو الهيكل . فاذا اخذنا قليلاً من الامثلة القديمة لذلك وليكن مثلاً هيكل دير الانبا ارميا Apa Jeramias بسقارة فان الشبه بينه وبين المحراب القديم واضح جداً حتى اننا لا نتردد في قبول ما رواه هذان المؤلفان المسلمان اللذان اشرنا اليهما من قبل . ويتضح من ذلك ان المحراب المجوّف قد استمدَّ من اصل مسيحي واتخذ في المساجد الاسلامية مع بعض الكراهة وعدم الرضى من المسلمين

## اصل كلمة محراب

وردت هذه الكلمة في أشعار العرب قديماً غير انها لم يكن لها معنى ديني في تلك الايام بل كانت تدل على اشياء دنيوية . ويرى نولدك Nöldeke انها كانت تعني بناء الملك او الامير

وقد حاول رودوكونا كيس Rhodokonakis في تعليقه على كتاب نولدك ان يحدد معنى هذه الكلمة وان يوضح الجزء الذي يطلق عليهِ هذا الاسم من بناء الملك او الامير فذكر انهُ هو المكان الذي يخصص لوضع العرش فيهِ ( كما في قصير عمرة مثلاً )

فاذا كان هذا صحيحاً سهل علينا ان نعرف لماذا اطلقت هذه الكلمة على المحراب المجوّف الذي انشأه الاقباط الذين كانوا يشتغلون بمسجد المدينة على مثال هيكل كنائسهم !!

---

(١٧) مقريزي جزء رابع ص ٩ (١٨) هذا المؤلف هو ابن الحاج وكتابه يسمى المدخل وقد توفي سنة ١٣٣٧ م ( كما اخبرني بذلك جناب المسيو فيت )

# السر سعيد شقير باشا

للحياة في ابنائها مآرب . تعدُّ هذا للعلم ، وذاك للفن ، وتهب ذلك للوطن يخوض ميادين السياسة والاقتصاد او معترك النضال والسيوف في سبيله . ولها في تحقيق مآربها اسرار ، نعجز عن اكتناهها او احاطة اللثام عنها ، فنرى الرجال مسوقين في سُبل اذا حاولنا تبيُّن مداها بعقولنا القاصرة ارتدَّ العقل كليلاً عاجزاً . ولكنها سبل تفضي دائماً الى ما تريد ان تحققهُ الحياة بواسطة ابنائها ، ولو شطَّت الصلة بين الطريق في اولها والغرض في نهايتها . والاَّ فكيف يستطيع ان تفهم مثلاً سيرة رجل كنبوليون وُلدَ في اجاشيو وجزيرة كورسيكا لم تكد تخرج من حكم الطليان ومات منفيًّا في جزيرة القديسة هيلانة، بعد ان دوَّخ اوربا وثلَّ عروش ملوكها ونصب لنفسه عرشاً ناطح النجوم . وكيف يستطيع عقل بشريٌّ ان يتبين في السبيل الاول الذي ظرقه الملازم بونابرت ذلك المجد العريض وتلك النهاية المفجعة ؟ ولكنها الحياة ارادت ان تذيع الاركان التي قامت عليها الثورة الفرنسية فساقت نبوليون الى طولون ومنها الى باريس . ثم لما قضت منهُ لبانتها ، وقام هو يمثِّل تلك المبادىء التي نشرها ، خطت لهُ سبيلاً يسير فيهِ من باريس الى واترلو الى جزيرة القديسة هيلانة . والامثلة على ذلك كثيرة قد يتعذر حصرها

ولعلَّ أحدثها في شرقنا العربي يتجلى في سيرة السر سعيد شقير باشا رحمهُ الله . فمن كان يدري ان فتىً شقيريًّا وُلد في بلدة الشويفات اللبنانية في العقد السابع من القرن الماضي ، تسير بهِ الحياة في سبل مختلفة ليس بينها وبين السودان صلة ما ، الى ان تجعل اسمهُ مقترناً بتاريخ السودان الحديث . ثم تدفعهُ في سبيل القاهرة فينال من خديوي مصر وسلطانها الرتب والاوسمة والنياشين ، في طريق لندن فيمثل بين يدي جلالة الملك جورج فيقلده وساماً كبيراً من أوسمة الامبراطورية ولقباً شريفاً من القابها . ولو لم ترده الحياة لذلك لما حدث ذلك الخلاف بينهُ وبين احد تلاميذه في جامعة بيروت الاميركية ـ الشيخ يوسف الخازن — مما حملهُ على ترك التعليم الى الابد ، بعد ان تنبأ لهُ رؤساؤهُ بمستقبل مجيد فيهِ . ولو لم ترده الحياة لذلك ، لما هيَّأت لهُ أن يدرِّس اللغة العربية للسر ملفر مستشار المالية المصرية (لورد ملنر بعدئذٍ) اذ كان يعمل في قلم التحرير في ادارة المقتطف والمقطم . هذه الصلة بين المستشار الانكليزي ومدرِّسهِ الشويفاتي اللبناني مهَّدت لسعيد شقير دخول السودان . وهنالك وقفت الحياة تنظر من علٍ ، الى خلق سعيد شقير ، وذكائهِ ، وهمتهِ ، وجلده ، تتم الباقي ، في خروجه من منصب مترجم في سواكن ، الى مقام الرجل المسيطر على مالية السودان بعد ان نظمها واقامها على اساس متين

وُلِد الفقيد في الشويفات بلبنان من اسرة عرفت في تلك البلاد بنباهة الشأن وكرم المحتد ونبغ منها افراد في الادارة والسياسة والتجارة والادب . والشويفات معروفة على الساحل اللبناني ، بكثرة المدارس والمعاهد وقد تخرّج فيها طائفة من جلة وحاملات لواء الادب والعلم في الاقطار الشرقية . فترعرع في جوّ يحترم فيه العلم ويرفع مقام الادب ، فكان ذلك حافزاً لما انطوى عليه خليقةُ من ملكات كامنة . فلما كبر طلب العلم في جامعة بيروت الاميركية ، وامتاز في عهد الطلب بالذكاء والنشاط وقوة التحصيل ، وبعد ما نال شهادتها النهائية سنة ١٨٨٦ دعي الى التدريس فيها فقضى في ذلك ثلاث سنوات ألّف في خلالها كتاباً في التصرف بالاشتراك مع صديقه يوسف افتيموس وآخر في النحو وترجم ثالثاً عنوانهُ التقدم الذاتي . وقد وصفهُ احد تلاميذه [1] في ذلك العهد وصفاً بليغاً قال فيه :

« عرفت سعيد شقير لما تتلمذت له وهو شاب في مقتبل العمر ومطلع ربيع الحياة تسيل القوة من عطفيه ويسطع الذكاء في عينيه . ويرى الناظر في اساريع وجهه ما ينمّ على عزم صادق يلطف من حدته ثغر باسم وميل فطري الى بهجة الحياة الصحيحة . فما لبثت هذه الاخلاق ان اخذت تقوى وتعتز وتؤتي ثمرها وصاحبها يتدرج في معارج العمل ويرقى في مدارج النجاح والفلاح فيجد في كل منها مجالا متسعاً لمواهبه الكثيرة فلا يزيده النجاح إلا اقداماً ولا يخلق فيه الفوز سوى توطيد العزم على المشي في هذا الطريق بهمة لا تني ورغبة تدفعها القوة ويذكي نارها الشباب

« كان يدرسنا اللغة العربية وقد احبها حبًّا جمًّا ويسعى ليطبعنا بطابعها فلا يطفي عليها تيار اللغات الاجنبية التي كانت تنافسها في الدروس والفصول فينشىء فينا الميل الى محاسنها وارتياد مجاهلها وكشف مزاياها . . ولطالما استوقفنا ساعات في فناء الجامعة في بيروت يطرح علينا الاسئلة في النحو والاعراب ويذكي فينا نار الحماسة لهذه اللغة وقد ضرب فيها بسهم وافر واصاب منها حظًّا كبيراً وله من كتابه الموسوم باسم « طيب العرف في علم الصرف » وما حبّر من رسائل وما ترجم من كتب وما خطب في ذلك الحين وما بعده دلائل على شدة عنايته واتجاه ميله وعاطفته »

وجاء الى مصر في سنة ١٨٨٩ واشتغل اولاً محرراً في ادارة المقتطف والمقطم وكان إذ ذاك المستر الفرد ملنر (لورد ملنر بعدئذ) مستشاراً ماليًّا للحكومة المصرية فطلب من أصحاب المقتطف والمقطم ان يرشدوه الى من يدرّسه اللغة العربية فبعثوا اليه بسعيد شقير فأعجب ملنر بذكائه وسرعة خاطره ومقدرته وكان أول من تنبأ له بمستقبل باهر حافل بالخدمة والاعمال المجيدة

وحدث في أثناء الثورة المهدية بالسودان أن احتفظت الحكومة المصرية بسواكن وسواحل البحر الاحمر وعينت لها محافظاً عسكريًّا فاحتاجت في سنة ١٨٨٩ الى مترجم بارع ليعمل مع المحافظ فأرشدهم ملنر الى سعيد شقير فعيّن مترجماً للمحافظة في أول سبتمبر سنة ١٨٨٩ فتجلّت

(١) خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم في المقطم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٤

مواهبهُ ومقدرته حالاً فرقي الى منصب سكرتير للمحافظة في سنة ١٨٩٢ وأنعم عليهِ بالرتبة الثالثة سنة ١٨٩٢ وبالثانية سنة ١٨٩٧

وكان بين الذين تقلدوا منصب محافظ البحر الأحمر المرحوم اللورد كتشنر ( قبل ان يصبح سردار اً للجيش المصري ) والسر رجينالد ونجت باشا ( قبل ان يصبح مديراً لقسم المخابرات بالجيش المصري) فأعجب كلاهما بهِ واعترفا بذكائه واجتهاده فوسعا سلطته وجعلاهُ المتصرف المطلق بجميع أمور المحافظة ما عدا العسكرية منها . فلما تم فتح السودان واصبح اللورد كتشنر حاكماً عامًّا لهُ تذكر ذلك الموظف النشيط فاستدعاه لمصر وعهد اليه في الاشتراك في تنظيم مالية البلاد ووضعها على اساس ثابت . قال له اللورد كتشنر اني قد استدعيت خبيراً ماليًّا انكليزيًّا اسمه المستر هرمن ليكون سكرتيراً لمالية السودان انما ارغب في ان يكون معه رجل خبير باحوال البلاد فاذا كنت ترى المقدرة في نفسك والكفاءة لذلك فاني اعينك مساعداً له مع العلم بأني سأتكل عليك انت في نجاح العمل واجعلك مسؤولاً مع المستر هرمن عن تنظيم المالية فاذا وفقت الى ما به خير السودان بنيت لنفسك مستقبلاً باهراً والاَّ . . . قال كتشنر : هذه مهمتك فاما ان ترفعك واما ان تضعك ، فهل انت لها ؟ فاجاب سعيد بك انه مستعد ان يضطلع باعباء العمل وانه واثق بالنجاح

وخلف السر رجينالد ونجت اللورد كتشنر كحاكم عام للسودان واستعفى المستر هرمن من مالية السودان فلم يرَ ونجت باشا ضرورة لاستدعاء خبير مالي جديد لاعتماده على سعيد باشا فعين احد الضباط الانجليز ( المرحوم السر ادجار برنار باشا ) سكرتيراً ماليًّا عالمًا ان الامور ستسير على احسن منوال بمقدرة سعيد باشا وهمتهِ وفعلاً لم تمض بضع سنوات حتى برهن سعيد باشا على نبوغه وكفاءتهِ فنظم ايرادات البلاد الجديدة وضبطها على احسن ما يرام وشهد بذلك كل من كان له اتصال بمالية مصر والسودان . ولما بدأ على تنظيم هذه المالية من دون ملل او كلال متنقلاً بين مصر والخرطوم من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٢ عند ما وجد ان ذهابهُ الى السودان لم يعد ثمت ضروريًّا فبقي مثابراً على عمله بها وهو بفرع المالية في وكالة حكومة السودان بمصر

اما عن نزاهتهِ ونشاطه وثباته على العمل فحدث ولا حرج فانهُ كان اول من يحضر الى دائرة العمل ولا يتركها قبل الساعة الثانية او الثالثة بعد الظهر ثم يعود اليها في نحو الساعة السادسة ولا يغادرها قبل الساعة التاسعة وذلك في ايام العمل العادية اما اذا حان موعد انجاز الميزانية فانهُ كثيراً ما كان يبقى في الديوان الى منتصف الليل او بعده ولم يكن ينقطع عن العمل في يوم عيد او بطالة على الاطلاق. وكان الموظفون يشكون عدم الانتظام في اوقات العمل والراحة وانما كان يحفزهم الى النشاط مشاهدتهم رئيسهم في الطليعة . كما ان عطف سعيد باشا عليهم واهتمامه الدائم بمصلحتهم كانا ينسيانهم ما قد يعانونه من إرهاق في العمل

ولم يكن خافياً على كل من كان له اتصال بحكومة السودان ان جميع المشروعات والتقارير والمذكرات

المالية ذات الشأن بدون استثناء كانت من عمله ولذلك كان رؤساء المصالح والمديرون الانكليز في السودان يتعلون رأساً به في جميع الامور التي كان يهمهم انجازها وكانوا يسعون الى ارضائه بجميع الوسائل فاذا سافر هو او احد افراد اسرته على سكك حديد الحكومة او سفنها كانت تصدر الاوامر من رؤساء هذه المصالح بالاعتناء التام براحتهم . وكان اذا مرض هو او أحد افراد اسرته يبادر رئيس المصلحة الطبية بنفسه الى عيادتهم . وقد حاز بحذقه وباستقامته ونزاهته ومقدرته احترام جميع موظفي حكومة السودان ومحبتهم من انكليز ومصريين ووطنيين . ونال في اثناء خدمته رتبة الممايز في سنة ١٩٠٢ ورتبة الميرميران والباشوية سنة ١٩٠٩ والنيشان المجيدي الثالث سنة ١٩١٣ والنيشان المجيدي الثاني سنة ١٩١٤ ونيشان النيل الثاني سنة ١٩١٧

وكان التقيد مصطافاً في لبنان سنة ١٩١٣ فدعاه متصرف لبنان يوسف قيومجيان باشا الى بيت الدين وطلب اليه ان ينظر في ميزانية لبنان ويضع له تقريراً عنها ، فنزل هو وقرينته الفاضلة ضيفين على المتصرف في سراي الحكومة اياماً تفرغ فيها سعيد باشا للبحث في الموضوع ووضع تقريراً نفيساً فيها . وندب في سنة ١٩١٩ لمراقبة مالية حكومة المرحوم الملك فيصل لان وزارة الحربية الانكليزية في ذلك العهد أمدّت الملك فيصل بمبالغ جسيمة من المال لتساعده على استقرار حكمه في سوريا ولم تجد من يقوم بمهمة مراقبة المصروفات وتنظيمها افضل من سعيد باشا . ولما احيل على المعاش سنة ١٩٢١ انعم عليه بنيشان الامبراطورية البريطانية من درجة فارس مع لقب سر

ورغبت حكومة السودان في الانتفاع بخبرته فجعلته مستشاراً لها بمصر فقضى في القيام بعمله الى اليوم الذي أصيب فيه بالضربة القاضية التي اودت بحياته الثمينة خمسة ايام بعد ذلك (١)

قلنا ان سعيد باشا نشأ نشأة علمية ادبية وقد ظلّ الى آخر حياته الحافلة كلفاً بالادب والشعر واللغة ، حريصاً على الدرس والمطالعة يحفظ من جيد الشعر طائفة من خير ما جادت به قرائح الشعراء المتقدمين والمتأخرين وكان المتنبي اقربهم الى نفسه . وما برح يشجيه الشعر العربي كما يطربه الغناء الشرقي مع انهُ الف العيش في الاوساط الغربية بحكم عمله وصلاته

وقد قرن الصحافة الى الادب فاشتغل في تحرير المقتطف والمقطم قبل انتظامه في خدمة حكومة السودان بسواكن ، وفي اثناء اقامته بسواكن كان يكاتب شركة روتر فيوافيها باخبار الثورة المهدية ، وكان اول من بشّر الى اوربا خبر انتصار الاحباش على الجيش الايطالي في معركة عدوة الشهيرة . فذاع الخبر في اوربا قبل ان يبلغ الحكومة الايطالية رسميًّا ، فاستاءت حكومة ايطاليا وارسلت تطلب من حكومة انكلترا ان تنشر شركة روتر تكذيباً لما نشرتهُ . ولكن في اليوم نفسه ورد على الحكومة الايطالية خبر الهزيمة ، فكان في ذلك الحادث الصحافي مفخرة لروتر ولمكاتبه بسواكن اما بصره في الادب العربي فكان بصر العالم المصقول الطبع النافذ النظر القوي الحجة . وكثيراً

(١) معظم الحقائق عن عمل سعيد باشا في السودان مبني على مذكرة اعدها صاحب العزة صموئيل بك عطية

ما كان يطلب الى كاتب هذه السطور ان يقرأ له شيئاً مما يكتب. فكان يقف في القيشة بعد الغيبة ويقول اظن ان صحة هذا اللفظ كذا وينهض من ساعته الى المعجمات في خزائنه العامرة يراجع مطولاتها، وقد كان دائماً في جانب الصواب. ومما يشهد له بقرب البصر في الادب ان المغفور له شوقي بك كان قد بعث الى المقتطف في ديسمبر سنة ١٩٢٣ بقصيدته الفلسفية البديعة في «النفس» معارضاً فيها قصيدة ابن سينا التي مطلعها «هبطت اليك من المكان الارفع» فقرأ المرحوم الدكتور صروف القصيدة معجباً بمعانيها الفلسفية وصورها الشعرية، ولما عاد ذات يوم الى داره لتناول الغداء اخذ تجربتها معه «ليريها لسعيد». وبعد تناول الغداء صعد الى «بيت سعيد» وراجعا القصيدة معاً معجبين بها كل الاعجاب. الا انهما ما كادا يصلان الى البيت الذي يقول فيه شوقي

ما بال احمد عيّ عنك بيانهُ  بل ما لعيسى لا يقول ويدّعي

حتى توقف سعيد باشا وقال هذا لا يستقيم معنىً لان المقصود نفي القول والادعاء معاً عن عيسى، وهنا يفهم انهُ لا يقول ولكنهُ يدّعي. فاضطرب الدكتور صروف وقال ما العمل الملزمة في المطبعة والوقت ضيق ما العمل لتصحيح الشطر؟ فتناول سعيد باشا التلفون وخاطب شوقي بك في داره مبيناً له رأيهُ فوافق شوقي بك عليهِ وقال بحضور ذهن عجيب: طيب ياسيدي «قول كده»

ما بال احمد عيٌّ عنكِ بيانهُ  بل ما لعيسى لم يقُلْ او يدّعي

وهذا هو النصُّ الذي ظهر بهِ البيت في القصيدة في الصفحة السادسة من مقتطف يناير سنة ١٩٢٤

ولهُ قصيدة عصماء في الانقلاب الدستوري الذي وقع في تركيا سنة ١٩٠٨. فقد كان سعيد باشا من الذين تحمسوا لاعمال جمعية الاتحاد والترقي لانهُ اعتقد حينئذٍ ان عهد الظلم في سوريا قد انقضى وقام على انقاضهِ عهد نورٍ ومساواة، ولما احتفل اللبنانيون بالانقلاب احتفالاً عظيماً في عاليه في صيف تلك السنة نظم هذه القصيدة السياسية فكان لها وقع عظيم في النفوس ومما قاله فيها

اذا دعا الموت فرداً هبَّ كلهم  حتى كأن المنايا الكأس والحببُ
ظنَّ الطغاة سكوناً منهمُ جزعاً  لكنهم سكنوا حيناً لكي يثبوا
ما قدّموا حذراً او ردَّهم خطرٌ  وان يكن في جبين الليث ما طلبوا
ولا اشترتهم وعود ملؤها ذهبٌ  ولا تنالم وعيد ملؤهُ الغضبُ
ولا استمالهمُ مجدٌ يكون بهِ  ظلم العباد ولا غرّتهم الرتبُ
قالوا وقد شهروا الصمصام واندفعوا  كالرعد يقصف في احشائهِ اللهبُ
للشعب حقٌّ اتينا اليوم نطلبهُ  اما نذوق الرّدى او يصدق الطلبُ
عشنا بعصر عجيبٌ ان يعاش بهِ  لو لم نعش فيهِ قلنا انهُ كذبُ
فالجرُّ مضطهد والامن مضطربٌ  والعرض منتهكٌ والرزق منتهبُ
فاستلَّ سيفاً نيازي كلُّهُ لهب  وقال انور قولاً دونهُ الذهبُ

الدين لله دينوا كيف شاكم أما لدين هوى الاوطان فاعتصموا
هذي يدي انا والله اخوتكم وليس يفرقنا دينٌ ولا نسبُ

وقد كان في السنوات الاخيرة يعدُّ المعدّات لشرح ديوان أبي تمام ، ووضع جدول وافٍ بالالفاظ العربية التي استعملت لاغراض جديدة وبيان تطور استعمالها قديماً وحديثاً وتقديمه الى المجمع الملكي للغة العربية. وكان شوقي وفوزي المعلوف أحبّ الشعراء المحدثين اليه . ثم انهُ علاوة على عنايته بالادب العربي، كان يعنى عناية خاصة بالزجل اللبناني ولهُ فيه «مطالع» جيدة، نذكر ما علق بالذاكرة من احدها

يا جفن عيني ليش هالبس مدمعك ويا قلب مالك في خفوق شو بيرجعك
اوعى تكون وقعت في نار الغرام علي بأنك تبت شو عاد وقّعك

اوعى تكون وقعت في نار الغرام قلنيت إنّا نور ما فيها ضرام
ورحت حايم حولها حوم الهوام تحمين نسيت قديش كانت تلذعك

تحمين نسيت يا قلب شو قضّيت سقام تا وقعت وقعه ما بقاش منها قيام
مش كل مرة ترجع الجرّه بسلام وخايف بها المرة تلاقي مصرعك

من مرحي شو بيمنعك تا تنطفي نارِي وعيني من البكا ما تكتفي
ان كان قلبي بحفظو تا تكون فيهِ وان كان عيني بصونها تا تقنعك

ان كان عيني بريدها تا تشوف سناك هي وقلبي وكل شيء علك فداك
انت ماشي وما بهمك في سماك ونفسي على كبرا ذليلة بتتبعك

نفسي على كبرا السبب في ها النفسل حطت بوكدا البدر كيف بدّا تصل
واللي جعل ها الحب شو بيعمل عمل خليه يجي ويشوف شو صار لي معك

خليه يجي ويشوف شو قضيت عذاب ما نالني في محبتك الاّ التعب
وفي اللي بقي في العمر لي عندك طلب انك تحبني بس مرّة تا تقنعك

ولم يحل انهماكه باعماله الرسمية دون الاتصال والالتفات الى كل ما يهم الجالية السورية في مصر والسودان . فكان رئيس شرف للنادي السوري في الخرطوم في خلال اقامته بالسودان . ولما مرّ المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق في الخرطوم سنة ١٩١١ الف وفداً من كبار السوريين فقابلوا المستر روزفلت في قصر الحاكم العام وقدّم له خطاباً شكر فيهِ بلسان السوريين حكومة الولايات وشعبها لما يلقاه السوريون هناك من الحرية والرعاية . وكان رئيساً للنادي الشرقي في القاهرة وأميناً عامّاً لصندوق جمعية متخرجي الجامعة الأميركية ببيروت . ولهُ في الجمعيات والاندية خطب كثيرة جمعت الى الملكة الاجتماعية البلاغة الادبية وحسن المحاضرة . رحمة الله عليهِ

بحث علمي لغوي

# ألوان الخيل وشياتها

لمدير مصطفى الشهابي

يهم هواة الخيل والغواة بسباقها الذين يربونها لهذه الغاية ، او يترددون على ميدان السباق في عين شمس مراهنين على المجلي او المصلي منها ، ان يعرفوا الوان الخيل وشياتها مما تتحلى به الصافنات الجياد ، ومما يكون لها علامات يتميز بها بعضها عن بعض . وكثير من الذين درسوا هذه الموضوعات بلغات اجنبية لا يعرفون الالفاظ العربية المختصة بها ، او لا يعرفون وضع اللفظة العربية مقابل اختها الفرنجية . ولما كانت دراستنا لا تخلو من فرس او اكثر ، كنت حققت هذه الالفاظ تحقيقاً علمياً ونشرت معظمها منذ عشر سنين تماماً في مجلة مجمعنا العلمي العربي بدمشق . وقد رغب اليَّ اليوم أحد الاختصاصيين بالزراعة في مصر ان أنشرها في مجلة المقتطف شيخة مجلاتنا العربية لكثرة تداول الايدي لها بين طبقة المثقفين من الناطقين بالضاد ، ولأن تلك الالفاظ ضرورية لأساتذة مدارس الزراعة والبيطرة وتلامذتها ولكل من يهتم بتربية الخيل من أرباب الزراعة أو من هواة هذا الحيوان الذكي النافع

***

﴿ الالوان ﴾ يراد بالوان الخيل الوان الشعر النامي على جلدها عدا العُرف والسَبَيْب والذَنَب[1] فهي كثيراً ما يكون لونها مخالفاً للون سائر شعرات الجياد . وليس لون الخيل ( اي ثوبها ) من الصفات المرفولوجية الثابتة بل هو يتحوَّل بالانتخاب والبيئة والسن وطرز التربية وغيرها من المؤثرات. ويكون لون المهر خلاف لونه الاساسي بعد ان يكبر . ويندر في المهر الشعر الابيض واذا وجدت فيه شعرات بيض حوالي عينيه وصدغيه دلت على ان لونهُ سيكون مشتقًّا من اللون الابيض . ويكون لون الذكور لزهى من لون الاناث . ولفصول السنة تأثير في الشعر فتراه في الشتاء اطول وألمع منهُ في الصيف

يقسم ثوب الخيل الى قسمين بسيط ومركب . فالاول ما تخلص شعراته بلون واحد والثاني ما تجمع شعراته لونين او اكثر . ومن القسم الاول الشُقْرة والدُهْمة والبياض والكُمْتة . فالشقرة

(١) شعر الرقبة والذنب ومؤخر الافخاذ على الترتيب

حمرة ضاربة الى صفرة . والفرس الاشقر يدعى بالفرنسية Alezan وتكون اطرافهُ شُقْراً . وكذا العرف والذنب . وفي الشُقْر الوان منها الأشقر المذهب Alezan doré والسِلْغَدُ A. clair اي اللي خلصت شقرته والأمغر A. cuivré وهو الذي تعلو شقرته مُغْرة

والدهمة هي السواد يقال إدهامٌ الفرس يدهامُّ ادهيماماً . وتكون اطراف الأدهم وعرفه وذنبه سوداً من لون شعره . والأدهم الغيهب Noir de jais هو الشديد السواد الذي يلمع من فرط سواده. والأدهم الشاحب Noir mat هو الذي لا يلمع . ويسمي بعض العرب البياض شُهبة كما يدعون السواد خضرة . وللفرس الابيض الوان منها الابيض الشاحب والابيض الفضي

وأحب الألوان الى العرب على قول الأصمعي هي الكُمتة ولا ريب انها من أحب الألوان في يومنا هذا . والكُمَيْت Bai أشد حمرة من الأشقر وبينهما الوَرْد ( ج ورَاد ) . ويكون عرف الكميت وذنبه اسودين وكذا القوائم في الغالب . يقال إكماتَ الفرس يكمأتُ اكمأتاً وجمع الكُمَيْت الكُمْت . وفي الكمتة ألوان منها الكميت الأحمّ Bai foncé وهو الذي يعلو حمرته سواد و ـ كميت المُدَمّى B. cerise وهو الذي تشتدُّ حمرته وأشد منهُ الأحمر . والكميت المذهب B. clair وهو الذي تعلوه صفرة

***

وفي القسم الثاني من الألوان شُهْبة وجُوْنة وصُفْرة وبُلْقة

فالأشهب يدعى بالفرنسية Gris وهو الفرس الذي تكون شعراته على لونين ابيض واسود على ان تتفرق فلا تجمع واحداً من اللونين شعراتٌ تخلص بلون واحد كقدر النكتة فما فوقها . ويعرف الاشهب ايضاً بقولهم انهُ الابيض الشعرة ليس بالبياض الصافي وسببه اختلاط الشعرات السود بالبيض. وفي الشُهْب الوان فقد يكون الأشهب قليل الشعر الأسود ضارباً الى البياض Gris clair او على العكس من ذلك G. foncé ويكون حديدي اللون G. de fer او أبرش G. safer وهو الأشهب الذي فيهِ لُذَعٌ بياض أو أرمد G. cendré وهو الذي على لون الرماد . اوأغبر G. rouanné وهو الذي شملت شهبته شقرة

والجُوْنة صفرة الى سواد او شقرة الى سواد Robe louvet يقال فرس أجْوى وفرس جَوْاء . اما الصفرة Robe aubère فهي في الخيل اختلاط شعرات بيض باخرى ضاربة الى الحمرة. وفي المخطوطات القديمة بياض تعلوه حمرة ويقول الاصمعي لايسمى الفرس اصفر حتى يصفرَّ ذنبه وعرفه . والبُلْقة Robe pie هي ان يكون في جسد الفرس بقع كبار مخالفة للونه . او هي اجتماع مختلفين فالفرس أبْلَق او مُلَمَّع او أبْقَع او أشْيَم والبلقة في اللغة مختصة بالسواد والبياض وهي بالفرنسية Pie-noi او Noir-pie حسب قلة السواد او كثرته . واذا كان الفرس احمر او اشقر وعليه بقع بيض فهو احمر أبقع Rouge-pie او اشقر ابقع وهكذا

﴿ الشيات ﴾ — هي كل لون يخالف لون معظم الفرس . وهي على نوعين عامة وخاصة . فالأولى تكون في جزء ما من ثوب الفرس اما الثانية فتكون في اجزاء معلومة

فمن الشيات العامة ان يكون الفرس مُدَنَّراً اي ان يكون في شعره نُكَت تخالف سائر لونه كالاشهب المدنر فهو بالفرنسية Gris pommelé اي الذي يخالط الشهبة فيه نُكَت سود . وهو لون كثير من الخيل العراب في بلاد الشام ولا سيما الاشهب الذي يكثر السواد في اطرافه ( ازرق مبقج) ويقول كثير من علماء الغرب ان هذا اللون هو اللون الاصلي للخيل العربية وهو في نظري اجمل الالوان وان خالفتُ بذلك قول الاصمعي

وقد يكون اللون الابيض او الاشهب ارقط Moucheté اي ذا رقطة وهي نقط سواد مبعثرة في الثوب . واذا ضرب اللون الى السواد وتخلله نكت بيض فاللون ثلجي

وتكون الشيات الخاصة في رأس الفرس وقوائمه وفي غيرها

فبياض الجبهة هي الغُرَّة والفرس أَغَرّ Marqué en tête . واذا صغرت الغرّة فهي قُرْحة والفرس أَقْرَح Légèrement en tête واذا سالت الغرة على قصبة الانف وعرضت في الجبهة فهي سايلة Liste en tête واذا دقت وسالت في الجبهة وعلى قصبة الانف ولم تبلغ الجحفلة فهي شِمراخ Petite liste . واذا سال البياض على قصبة الأنف دون ان يبلغ العينين فهو اليَعسوب Liste incomplète . والرُّسَمة ان يصيب البياض الجحفلة العليا . اما اذا اصاب الجحفلة السفلى فهي اللُّسطة . واذا اسودّ رأس الفرس دون سائر اعضائه فهو أدْرَع Cap de Maure

والبياض في قوائم الفرس هو التحجيل Balzanes قلّ او كثر فالفرس مُحَجَّل . واذا كانت له يد على لون البدن مثلاً فالفرس محجل بثلاث طليق تلك اليد او طَلْقها او مُطْلَقها . اما اذا اصاب البياض القوائم كلها فالفرس محجل الاربع

ووضح القوائم اي تحجيلها على انواع . فاقله الخاتم وهي شُعيرات بيض Principe de Balzanes واذا جاوز ذلك حتى يكون البياض واضحاً فهو إنعال Trace de Balzanes اما اذا جاوز الارساغ فهو تحديم Petite Balzane واذا صعد البياض في القوائم ولم يبلغ الركبتين والعرقوبين فهو التحبيب Grande Balzane والفرس محبَّب فاما اذا بلغ التحبيب الركبتين والعرقوبين فهو مُسَرْوَل B. haut-chaussé حتى اذا خرج من الذراعين والساقين فالفرس أَخْرَج

***

هذا قليل مما وضعه العرب في ألوان الخيل وشياتها مع ما يقابله بالفرنسية وفيه فائدة يستفيدها الذين يعنون بشئون الخيل في البلاد العربية والذين يعنون بالمصطلحات العلمية من فقهاء اللغة

# الفلاحة الفرعونية

## الحرث والبذر

للدكتور حسن كمال
وكيل القومسيون الطبي

﴿ تقسيم الاراضي ﴾ يبدأ الفلاح بعد زوال الفيضان في تنقية حقله من الاعشاب والاحجار المتخلفة عادة من الفيضان السيلي . وكثيراً ما يوسم الفلاح منذ اقدم الأسر قائماً بهذا العمل الجليل الشاق كمقدمة لزراعة الارض . والمعروف ان هذه العناية كانت محصورة بادىء ذي بدء في مساحات تكفي سكان القطر فقط . لكن لما زاد تعداد هؤلاء وبلغ السبعة ملايين نسمة ثم زادت ايضاً صادرات القمح المصري الى بلدان البحر الابيض المتوسط تحتم على اهالي القطر الانتفاع بكل بقعة في وادي النيل تحقيقاً لهاتين الغايتين الهامتين . وهذا هو سر استثمال الغابات في القطر المصري

وقد اخبرنا ميتن ( Meten ) من عهد الاسرة الثالثة [1] انهُ حوّل جميع اراضي والده الى ارض زراعية . والباحث في الآثار يجد ان عملية تطهير الاراضي من الاعشاب وخلافها استمرت حتى عهد الاسرة الثانية عشرة كما يشاهد ذلك في تقوس زاوية المتين التي اوردها لبسيوس ( دنكمار ج ٢ لوحة ١٠٨ — ١٢٦ ) . واستعمل الفلاح في هذه العملية البلطة واستعان على ابادة الاعشاب بالفهم

وتشاهد النباتات المائية مرسومة بوضوح في بعض مقابر طيبة فمقبرة ( نخت ) تمثل نهر النيل والاعشاب نامية على شاطئيه والفلاح المصري يقتلعها بالفأس . قال هيرودوتس ( ج ٢ — ١٤ ) وديودورس ( ج ١ — ٣٦ ) ان الفلاح بعد ما يستأصل الاعشاب والنباتات البرية من ارضه يعمد الى تسميدها باطلاق الخنازير فيها . لكن هذا القول قوبل بالنقد الشديد من الاثريين خصوصاً اذا لاحظنا ان مصاطب المملكة القديمة لم تحو رسوماً لهذه العملية للآن . لكن يوجد في مقبرة بطيبة ( نب امون Rec. de trav. lix pl. 98 ) منظر لقطيع من الخنازير يسبق فلاحاً يقلب الارض بفأسه

﴿ طريقة استعمال الفأس ﴾ سبق ان ألمعنا في مقال آخر الى طريقة استعمال الفأس في العهد السابق لعهد الفراعنة واوردنا رسماً لذلك . ثم تكلمنا في التحسينات التي ادخلت على هذه الآلة العظيمة التي تعتبر بحق رمز مصر والتي حافظت على وجودها مدى التاريخ . واكثر استعمال هذه الآلة كان في الاحوال التي تتطلب تسليق الارض بدقة دائمة . لذلك كثيراً ما نجد رسوم الفلاحين على الآثار تمثلهم قابضين على الفؤوس الواحد تلو الآخر قائمين بعملية الحفر المطلوبة . وذلك

(1) Meyer II. transl. Moret p. 216.

في عهدي المملكة القديمة والامبراطورية . وكثيراً ما يكتب اعلام عبارة معناها « انزل يدك » — اي احفر بالفأس ( مقبرة في سقارة ) وقد اورد ماريت في كتابه عن المصاطب ( ص ٣٤٦ ) رسماً لامرأة تحفر الارض بنشاط وشجاعة

وفي مقبرة (تي) المذكورة حفر الحفار منظراً لثلاثة رجال يستعملون الفأس في حفر الارض بهمة وفوقهم نقشت النشودة كانوا ينشدونها وقت قيامهم بهذا العمل الشاق اليك ترجمتها : « الحفار في المياه وسط الاسماك يناجي سمك الصلور ويتبادل التحية مع سمك العبيدي — ايها الغراب ان حفارك هو حفار الغراب[1] » . والتمثال الصغير الذي عثر عليه جهة مير يفسّر هذه الانشودة اوضح تمثيل . لانهُ يمثل الفلاح يحفر الارض بفأس باخلاص بيّن كما يستدل من غور قدميه في الطين حتى كعبيه ولما كان وقت الحفر بالفؤوس هو في اليوم التالي لزوال الفيضان كان السمك حينذاك يغدو ويروح حول القائمين بهذه العملية على ما يدلُّ نصُّ الانشودة

﴿ استعمال المحراث ﴾ يشاهد استعمال المحراث في فلاحة الاراضي بنسبة تفوق كثيراً استعمال الفأس وذلك منذ عهد الاسر الاولى ، ومنه يستدل على ان الاراضي كانت تزرع بانتظام منذ تلك العصور . وصغار الفلاحين الذين كانوا لا يمتلكون بهائم لجرّ المحاريث كانوا يقومون بذاتهم بهذه العملية ( مقبرة باحرى ) والعادة ان المحراث كان يجرّ بثورين او ببقرتين وذلك بواسطة نافٍ مستعرض مثبت في قواعد القرون بوثاق قوي . لكن هناك مقبرة بمنف تمثل النافَ مثبتاً في اعناق الثيران[2] . وهناك عدة قراطيس ردية تحوي رسوماً تمثل تثبيت النافَ في الاعناق . واورد پريس Prisse[3] رسماً لمحراث يجره جواداد . وهناك مقبرة ببني حسن (لبسيوس ودنكمار ٢ — ١٢٧ ) تحوي نقوشاً يستدل منها على ان ثيران صاحب المقبرة كانت مدربة احسن تدريب حتى انها كانت تقوم بعملية الحرث بمجرد ربطها في المحراث واعطائها الاشارة للبدء بالعمل . والعادة ان هذه البهائم كانت لا تحتاج الى ارشاد وقت الحرث الا ساعة ادارة الآلة وتغيير خطة السير . وبديهي ان محاريث هؤلاء القوم كانت لا تشق الا الطبقة السطحية للحقول كما يستدل من طبيعة محاريث تلك الازمنة وكما هو وارد ايضاً في رواية ديوسقوريدس ( جزء ١ — ٣٦ )

والباحث في صور المحراث الواردة على الآثار يجد ان هذه العملية تمثل برسم محراثين او ثلاثة محاريث الواحد خلف الآخر . والقصد من رسمها بهذه الصورة هو ايضاح طريقة استعمال عدة محاريث على حذاء واحد وفي بقعة واحدة . لكن رسام تلك الصور عسر عليه رسمها رسماً مجسماً فاضطر ان يوضح مراده برسم المحاريث بعضها فوق بعض. وهناك احتمال آخر في تفسير تعدد المحاريث في مناظر حرث الاراضي يتلخص في ان الارض التي كانت تزرع كتاناً او فولاً كانت تحرث مرتين او

(1) Maspero Etude egyptienne t. II p. 74 trad. (2) Descrip. de l'egypte. Ant. V. p. 17
(3) Mon. Egypt. pl. 35

تلاثاً قبل زرعها قمحاً . وهـذه العادة اتبعها اليونانيون في فلاحتهم [1] . فهل كان الحراث يقصد بتعدد رسم المحراث اثبات براعة حرث الارض ؟ هذا السؤال تصعب الاجابة عنهُ اجابة قاطعة

ويلاحظ في بعض المقابر مثل مقبرة ( ثحت ) بالاقصر ان الرسام اوضح طريقة تجزئة الاراضي الى حقول متعددة بالطريقة التي كانت متبعة في عهده . فهناك ترى حقلين تفصلهما شجرة صغيرة كما تشاهد ايضاً المحراث الذي يستعمل في حراثة احد الحقلين مقابلاً لمحراث ثان لحراثة الحقل المجاور والبقرتان الجارتان لكل محراث تتقابلان مع بقرتي المحراث الآخر عند الحدّ الفاصل للحقلين . ويضطر الفريقان بحكم تقابلهما من تولية ظهورهما بعضهما لبعض والرجوع بالتالي الى الجهة المضادة

والمحراث المصري القديم ( وهو لا يزال مستعملاً الى الآن ) يتطلب عناية كبيرة من الفلاح فعلى هـذا الاخير قبل استعمال المحراث ان يضغط عليهِ بكل قواه ليرسل حدهُ في التربة الى أبعد مدى ممكن وان يستمر في ضغطه هذا طول مدة الحرث متكئاً على زاوية المحراث بيديهِ حانياً ظهره طول الوقت . وقد يقوم فلاح واحد بهذه العملية . لكن الغالب ان فلاحين يقومان بهذا العمل احدهما يضغط على المحراث وآخر يسوق البقرة من الامام او الجنب بحسبما تقتضي الاحوال (مقبرة تي) وثمة في مقبرة ( بلحرى ) انشودة كان الفلاحون ينشدونها وقت الحرث ترجمتها : « انهُ ليوم بديع ! ويوم سعيد . فالثيران تجر المحاريث . والجو باق على مرامها ، ونحن نؤدي واجبنا نحو سيدنا ! »

وبعد الفراغ من الحرث يبدأ الفلاح في تكسير الكتل الطينية الناتجة من المحراث . فيعمد بالفاس او المعى الغليظة او القادوم فيفتت هذه الكتل الى قطع صغيرة ممهداً بذلك الحقل لعملية البذر ومسهلا في الوقت نفسه طريقة الري

﴿ السماد ﴾ معلوم ان مياه الفيضان تحمل مقداراً كبيراً من الغرين الذي هو سماد طبيعي . قال بلينيوس (١٩ — ٥) ان قدماء المصريين كانوا يوزعون على اراضي حقولهم مادة آزوتية بقصد التسميد للنباتات المتأخرة النضوج . وروى الاستاذ ولكنسون في كتابه عن عادات المصريين ( جزء ٢ — ٣٩٥) انهم كانوا يضيفون الرمال لتلطيف تربة بعض الحقول وجعلها صالحة لنمو بعض النباتات كالعنب

﴿ طريقة البذر ﴾ وبعد الفراغ من عملية الحرث يبدأ الفلاح في بذر حبوبه ثم تغطيتها بالتراب قال هيرودوتوس ( جزء ٢ — ١٤) ان الأراضي التي كانت تغمرها المياه معظم السنة كانت تبذر فيها الحبوب حال زوال الفيضان منها بدون حرث على الاطلاق بشرط ان تكون هذه الاراضي قد سبق زرعها . وليس هذا بمستبعد لان تحس مصر المحرفة وخصوصاً في صعيدها تجفف الارض بعد زوال الفيضان عنها في مدة لا تتجاوز عدة ساعات

أما الاراضي التي تحرث حرثاً اصولياً بقصد زراعتها قمحاً مثلاً فان الفلاح كان يتتبع ساعتئذ سلاح المحراث واضعاً الحبوب في مجراه كما هو واضح في قصة الاخوين من أن « الارض حالما تخلصت من مياه

(1) Iliade XVIII, 547.

النيصان اخذ الاخ الاكبر قيادة الحراث وكلف اخاه الاصغر الاسراع في الحضور الى الحقل مصحوباً بالحبوب لبذرها » . وتشير هذه القصة ايضاً الى طريقة توزيع اعمال الفلاحة بين افراد العائلة والى الاقتصاد في الحبوب وقت البذر حيث ورد فيها ان الكمية الاولى من الحبوب نفدت فأرسل الاخ الاكبر أخاه الاصغر مرة ثانية الى مخزن الحبوب حيث وجد زوجة أخيه فناداها قائلاً « هيا اسرعي واعطيني الحبوب لأن أخي طلب مني الاسراع في ذلك وقال لي لا تكن كسولاً » فاعتذرت اليه السيدة وقالت « يتعذّر عليّ القيام الآن لأني امشط شعري واخشى ان يتلبك قبل الفراغ منه . فاذهب انت وخذ البذور المطلوبة» . فدخل الصبي الاهراء وملأ زلعة كبيرة من الحبوب لانه كان في نيّته ذلك . وكانت الحبوب قمحاً وشعيراً . وحملها على كتفه . فلما همّ بالخروج بادرته زوجة اخيه سائلة — ما هي كمية الحبوب التي تحملها على كتفك ؟ — فاجابها — ثلاثة مكاييل من الشعير وخمسة مكاييل من القمح فيكون الكل خمسة مكاييل . هذا هو ما أحمله على كتفي » — (راجع قرطاس اوربيني لوحة ٢ — ٩ ، لوحة ٣ سطر ٥ ) . ومنه يستدل على شدة حرص السيدة في معرفة الكميات المأخوذة من الشونة محافظة على المقادير اللازمة للمنزل

ودلتنا النقوش البارزة بمقابر سراة القوم وكبار الموظفين ان الحكومة كانت تحافظ جدّاً على عدم التبذير في الحبوب ومحصولات الاراضي . لأن مرتبات العمال والموظفين كانت تدفع شعيراً او قمحاً وجرت العادة على ان الاهالي كانوا يستدينون بعضهم من بعض ما تتعادل قيمته مع مقادير معينة من الحبوب لان الحبوب وتتذبذر اصبح لها قيمة مالية تضارع قيمة النقود في عصرنا هذا [1] وكانت هناك طائفة كبيرة من الكتّاب تقوم بتسجيل الصادر والوارد في شون الحكومة من الحبوب . واعتاد الرؤساء ان يرسلوا مفتشين لجرد محتويات هذه الشون وذلك لكيل محتوياتها وتسجيلها في سجل خاص تحت اشراف كاتبين . يقوم احدهما بمراقبة عملية الكيل ويقوم الآخر بقيد مقاديرها (راجع مقبرة الشيخ سعيد للاستاذ ديفيز ص ١٩٠ ومقبرة اورارنا لوحة ١٦) . واورد ليسيوس في ( الدنكماير ج٢ لوحة ٥٦ مقبرة نوفر بيوبتاح ) نقوشاً يستدلّ منها على طريقة اخذ الحبوب من الشون بواسطة الفلاحين القائمين بعملية البذر . ومنها يتضح ان هؤلاء كانوا يملأون اكياسهم حبوباً من فتحة الشونة السفلى ويحملونها على اكتافهم تحت اشراف كتبة يقومون بعملية القيد لكل صغيرة وكبيرة . وجاء في عدة قراطيس بردية من العهد الصاوي (٦٦٠ — ٥٢٥ ق . م .) ما يشير الى ان بعض فلاحي ذلك العصر كانوا يقترضون كميات التقاوي اللازمة لهم من متيسريهم على ان يردوها من محصول الارض عند الحصاد

وقد حافظ كيس التقاوي على شكله من عهد الاسرة الاولى (٣٤٠٠ — ق.م)[2] . وكان هذا

(1) Revue egyptologique 1813 3o année, Revillont, Les prêts de blé p 25.

(2) Wilkinson, Manners etc. Vol. II p. 369

الكيس يصنع من الصفصاف (water-willow) ويحمل عادةً فوق الكتف اليسرى ويقف حاملهجوار الحرائين او الحفارين . فاذا ما بدأ الاخيرون عملهم تبعهم الشخص القائم بعملية البذر قابضاً على الكيس بيده اليسرى ومالئاً قبضته التي حبوباً ليبذرها في الشقوق المتخلفة من الفؤوس اوالمحاريث (مقبرة تي لوحة ٣)

وجاء في ميدوم رسمٌ لفلاح يقوم ببذر الحبوب مزين بأوراق النبات وحامل لكيس مربع الشكل تقريباً له يد مجدولة مثبتة بمنطقة الكتفين ومرسل الى خلف الابط الايمن . ويعتبر هذا الرسم الوحيد من نوعه على الآثار للآن

وجاء بمقبرة (باحرى) رسم لعملية البذر يتلخص في شخص تابع لحفّار او حرّاث يبذر الحبوب على طول باعه . ولما كانت العادة عند القوم وقتئذٍ اذا ارادوا ان ينقشوا عملية البذر على مقابرهم ان يرسموا الرجل القائم بهذا العمل ثانياً ذراعه . لذلك استنتج بعضهم ان الحبوب المقصود بذرها بمقبرة (باحرى) المذكورة هي غير حبوب القمح وانها لا يبعد ان تكون حبوب الكتان (راجع كذلك مقبرة (نخت) لديفيز لوحة ١٨)

واهتمّ رسامون كثيراً بتلوين مناظر البذر اهتماماً فاق اهتمام الحفارين في نقش هذه العملية[1]

﴿ تغطية الحبوب ﴾ ولما كانت احوال القطر الطبيعية تحتم على الفلاحين تغطية حبوبهم بعد بذرها منعاً لتعرض احد جانبيها للارض الرطبة والآخر لاشعة الشمس المحرقة ومحافظة عليها من الطيور والحشرات كما يستدل على ذلك من النص الوارد ببرطاس انسطاسي (٥ لوحة ١٥) من « ان الفرانات تأكل اعشاب الحديقة . والحيوانات الاخرى تأتي على بقية الزراعة » . وتعمل التغطية في الارض الرطبة بجذع نخلة يجره ثوران لكن في مقابر المملكة القديمة (في لوحة ٣) كانت هذه العملية تؤدّى بسوق الغنم او الخنازير التي تغرز الحبوب في الوحل مغطيّة اياها في الوقت نفسه . وكان الفلاح يشجع احياناً هذه الحيوانات على هذا العمل بترغيبها بحفنة حبوب في يده وطوراً يرغمها على ذلك بالعصى والسياط (في لوحة ٣ — الشيخ سعيد لوحة ٨) . وقد نسب هيرودوتس هذه الطريقة الى اهالي الوجه البحري (٢ — ٢٦)

اما عملية تغطية التقاوي في الارض الصلبة فكانت تؤدّى بتكرار الحرث (باحرى) كما يستدل ايضاً من نقوش واردة فوق محراث بمقبرة بالجيزة ترجمتها: «اضغط على المحراث لتغرز الحبوب في الارض» (دنكابلز ٢ — ٥١) . وفي عهد الاسرة الثامنة عشرة انتشرت هذه الطريقة بين القوم فكانوا يحرّرون حدّ المحراث على الزيشة القائمة بين كل شقين فيشطرها السلاح شطرين يغطي كل منهما الحبوب في الشق المجاور . ووردت على الآثار رسوم تبين استخدام العبيد في جرّ المحاريث للقيام بهذه العملية (باحرى)

العلم يكشف عن

# ضمائر المجرمين

النفوذ الى ضمير المجرم وحمله على الاعتراف بفعلته كانا ولا يزالان غرض المحاكمات الجنائية في العصور القديمة والعصور الحديثة على السواء . وقد كان المجرم يعرَّض في العصور القديمة لالوان من التعذيب يقشعرُّ لها الجسم لما تنطوي عليهِ من قساوة ووحشية ، ولا يزال بعض هذه الوسائل شائعاً في بعض البلدان بعد تعديله تعديلاً يسيراً . بل ان المجتمع الانساني نفسهُ لايكاد يصدِّق ان هناك وسائل لاستلال سرّ المجرم من بين شفتيهِ ، اشدَّ رأفة بهِ وافعل أثراً من وسائل التعذيب المشهورة . ولكن العلم اختطَّ طريقاً في ميدان ظنَّهُ الناس ممتنعاً على العلم ، فاستنبط العلماء اساليب جديدة ارأف بالمجرمين ، وهم ناس يتألمون ويتعذبون ، واهدى الى الغرض المقصود في أقصر وقت وعلى أيسر حال . ومع ان القوانين الجنائية ، لم تعترف بعدبهذه الاساليب ، نرى رؤساء دوائر التحقيق الجنائي يعتمدون عليها في بعض البلدان ، ويبلغون في الاعتماد عليها نتائج باهرة ، وهذا كفيل بأنهُ لا ينقضي وقت طويل عليها حتى تسبح سلاحاً مشروعاً من أسلحة رجال البوليس والنيابة

ولعلَّ أشهر هذه الاساليب العلمية الجديدة وأفعلها آلة تعرف باسم « بوليغراف كيلر » وهي آلة غرضها الكشف عن كذب المجرم وامترائهِ عند التحقيق . والمبدأ الذي بنيت عليهِ هذه الآلة هو قياس ضغط الدم . فهي لا تختلف في أركانها عن الجهاز الذي يستعمله الطبيب لقياس ضغط الدم عند مريض يخشى تصلُّب الشرايين . ولكن بدلاً من الابرة المتحركة في الجهاز الخاص بضغط الدم ، هناك ريشة ترسم خطًّا على ورقة ملصقة من لفة ورق متحركة . فيجلس المتهم وهذه الآلة ملفوفة على ذراعهِ ، فيوجهُ اليه الباحث الاسئلة في صوت طبيعي لا تجهُّم في وجههِ ولا تهديد في نبراتهِ . فيجيب عنها المتهم بما يراه ، وكلما أجاب كذباً ارتفع ضغط دمه وظهر أثر هذا الارتفاع في الخط الذي ترسمهُ الريشة على الورقة المتحركة

ولكنك قد تسأل : لماذا يرتفع ضغط الدم عند مايقول كذباً . او لماذا يؤخذ ضغط الدم دليلاً على ان المتهم يمتري في جوابهِ ؟ ان سرَّ الجواب عن هذا السؤال في التغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على الجسم عند ما يكون متأثراً او منفعلاً انفعالاً عنيفاً . فالانسان اذا واجه خطراً ما ، استعدَّ جسمهُ من الوجهة الفسيولوجية لدفع الخطر ، فتطلق الكريات الحمر من الطحال الى مجرى الدم حيث تتصل بالمفرزات التي تفرزها الغدد الكلوية وغيرها من الغدد ، وغرضها جميعاً ان تبعث في الجسم

النشاط للكفاح او للفرار . فكأن أعضاء الجسم تبعث في الجسم نشاطاً غريباً عند ما يواجه خطراً يهدده . فينشأ من هذا كله زيادة خفقان القلب وارتفاع ضغط الدم في الشرايين

فاذا واجه الانسان خطراً ، متمثلاً في سؤال موجّه اليه عن جريمة من الجرائم ، كان الأثر الاول الذي يحسّ به الخوف من الكشف عن صلته بتلك الجريمة ، لان هذا الكشف يفضي الى معاقبته بالغرامة او بالسجن او بالتشهير او بالاعدام . فتستعدّ جميع أجهزة جسمه للدفاع عن الجسم وهذا الدفاع يتخذ في هذه الحالة شكل محاولة التستر على فعلته او الكذب في الرد على السؤال

ولكن مهما يبرع المجرم في كبت انفعاله ، حتى لا تبدو آثاره في نظره وكلامه وحركاته ، فانهُ لا يستطيع ان يمنع احتشاد قوى جسمه الداخلية لهذا الدفاع . وهذه الآلة الجديدة تستطيع ان تتبين أثر كل هذا في ضغط دمه ، فترى الريشة ترسم خطًّا متعرجاً شديد التعرّج . عند ذلك يبادر المحقق اليه فيطلب منهُ ان يفسر هذا التقلب الغريب في ضغط دمه كما يبدو في الخط المتعرّج على الورقة المناسبة . وفي ٧٥ في المائة من الحوادث ، يتعرف المتهم عن محاولة الانكار الى الاعتراف عند ما يرى الدليل المادي قائماً على انهُ يخفي شيئاً . فاذا أصرّ على الانكار وجّهت اليه أسئلة اخرى متفرقة ومتنوعة ، ومن أثرها في ضغط دمه يستطيع الباحث ان يهتدي الى بيّنات تقوده الى الحقيقة ، فالآلة تبين صدق المتهم وكذبهُ . وقد جرّبت حتى الآن في ١٥٠٠ حادثة فأصابت فيها جميعاً

لم تدخل هذه الآلة الى الدوائر القضائية رسميًّا ولكنّ طائفة كبيرة من البنوك والمنشآت العامة تستعملها لتتبيّن سفار المختلسين ومن اليهم من عمّالها وموظفيها . فقد استعمل احد بنوك شيكاغو « وليغراف كيلر » هذا في امتحان ستة وخمسين من موظفيه لاستكشاف من اختلس منهم مبلغ خمسة آلاف ريال ، فكشف عن الرجل ، ولما كشف عنهُ اعترف . واهتدى اصحاب البنك الى تسعة من الموظفين كانوا قد اختلسوا مبالغ يسيرة من المال لا علم للمديرين بها ، وهم يمتحنون الآن جميع الموظفين بهذه الآلة مرة كلّ سنة

وثمة طريقة اخرى استنبطها الاب ممرز احد اساتذة جامعة نوردهام الاميركية تدعى « سيكوغلفانومتر » اي المقياس الكهربائي النفسي . وهي مبنية على اساس كهربائي . فيمسك المتهم بقطعة معدنية بيده ثم يسري في جسمه تيّار كهربائي ضعيف مستمدّ من بطرية واحدة . واذ يكون في هذه الحالة توجه اليه الاسئلة المطلوبة ، بعضها لا صلة لهُ بالموضوع المطلوب البحث فيه ، وبعضها لهُ صلة وثيقة به . فاذا سئل سؤالاً لهُ صلة بالموضوع ، وكان على علم بذلك ، يحدث شيء غريب في جسمه . فاذا كانت صلتهُ اجرامية حفزت غدد العرق فيه الى افراز العرق متأثرة باستعداد قواهُ الداخلية لدفع الخطر عن جسمه . وهذا العرق الذي يفرز قليل ، ولكنهُ كاف لتغشية القطعة المعدنية القابض عليها فتقلّ مقاومتهُ للتيار الكهربائي الساري في جسمه ، فيظهر ذلك على جهاز خاص . ومن المستحيل ان تحتال على هذه الآلة لانهُ اذا رفض المتهم ان يجيب عن السؤال الموجّه

اليه ، يعجز عن السيطرة على عدد العرق فيه ، فلا يستطيع ان يمنعها من افراز عرقها ، فكأن افرازها صوت صارخ في وجهه وشاهد على فعلته

وقد ذهب احد الكتّاب العلميين الى الاب ستروز وطلب اليه ان يجرّب آلتهُ هذه فيه فجرّبها بان أتى بمجموعة من ورق اللعب وطلب اليه ان يختار احدى ورقاتها وان يعيد الورقة الى المجموعة. ثم اختيرت تسع ورقات اخرى وضمّت الى هذه الورقة وعرضت على الكاتب، وسئل عن كل ورقة منها هل هي الورقة التي اختارها فاجاب « لا » على الورقات العشر . واعيدت هذه التجربة ثلاث مرات . وهو يجيب « لا » اجابة مطّردة . فدلّت الآلة على الورقة التي كذب في الاجابة عنها ، زيادة سريان التيار الكهربائي في جسمه . واخيراً اعترف الكاتب بكذبه فقال لهُ الاب ستروز : اذا كان هذا مبلغ فعل الآلة ، في حالة الكذب عن ورقة لا شأن لها فكيف بها والمتهم يحاول ان يخفي جريمة او فعلة شنعاء

وهناك طريقة ثالثة استنبطها الاستاذ كروسلاند وهي عبارة عن ساعة دقيقة لقياس اجزاء الثواني ، واسئلة توجه الى المتهم تحتوي على كلمات بعضها لا علاقة لها بموضوع البحث وبعضها لهُ علاقة وثيقة بالموضوع . وهذه الطريقة لا تكشف عن كذب الكاذب ، بل تكشف عن شعوره بالاثم الذي اقترفهُ . وقد جرّب الاستاذ كروسلاند طريقتهُ في سبع حوادث ، فحصل على اعتراف اصحابها جميعاً فاعترف خمسة منهم بالسرقة وواحد بالتزوير والخامس بالغش في الامتحانات

ولنفرض ان الوزير الذي تريد ان تبحثهُ هو سرقة محفظة تحتوي على عشرة جنيهات ؛ من جيب احد الموظفين في مكتب تجاري . فيؤتى بجميع موظفي المكتب وتتلى على كل منهم بحضور الآخرين قائمة من الكلمات فيما يلي : — شارع . لبن . محفظة . عجلة . مكتب . جيب . ثلاثة أمتار . محرر . حاسب . عشرة جنيهات . قلم وهكذا . فبعض هذه الكلمات لا صلة لهُ البتة بسرقة المحفظة . والبعض الآخر له صلة كل الصلة بها . ويطلب الى كل واحد ، ان يذكر اول كلمة تخطر على باله عند ذكر كل كلمة من هذه الكلمات امامهُ على حدة . ولما كان الوقت الذي يجب ان ينقضي على ذكر الكلمة وذكر الكلمة التي تدعوها في ذهن المسؤول ثانيتين ونصف ثانية ، فكل تأخير عن هذه المدة يعني ان المسؤول يحاول ان يختار الكلمة التي يجيب بها ، بدلاً من ان يقول الكلمة التي تخطر لهُ بداهة ، او ان هناك اضطراب نفسي حملهُ على التأخر . وتعين المدد التي يستغرقها كل فرد في الاجابة بواسطة الساعة الدقيقة ، ثم يوضع جدول بها فيطلق سراح الابرياء وتعاد الكرة في سؤال الذين تقوى الشبهة عليهم . وقد استعملها الاستاذ مورتيمر احد اساتذة جامعة كولومبيا في فرقة مؤلفة من خمسين طالباً فلم تخطىء

وثمة طريقة اخرى مبنية على قاعدة بسيكولوجية تعرف باسم طريقة « حجرة المرايا » . تجد ان هذه الحجرة مصنوعة من مرايا يجلس المتهم في وسطها وتوجه اليه الاسئلة من حجرة مجاورة عن طريق ثقب في

الجدار . وفي اثناء توجيه الاسئلة اليه ، تحولُ انوار الحجرة حتى يصير لونها ضارباً الى الخضرة . فينظر المتهم يميناً ويساراً فلا يرى الاّ وجهه في المرايا التي حولهُ وقد علاهُ لون شاحب كأنه ممتقع. فيظنُّ اذا كان مجرماً ، ان لون وجهه قد نمَّ عليهِ فيعترف في الغالب .وقد اصابت هذه الطريقة قسطاً كبيراً في النجاح في سؤال المجرمين العصبيين او الجهّال . اما العصبيون فلأنهم يعجزون عن الصمود لسمة الاجرام تعلو وجوههم فيعترفون ، واما الجهال فلأنهم لايستطيعون ان يفهموا سرّ هذا اللون فيقعون في فخهِ . ومن الآلات التي لم تتقن بعد آلة استنبطت لقياس سرعة التنفس وهي تستعمل في الغالب مع مقياس ضغط الدم المعروف باسم « بوليغراف كيلر »

ذكرنا حتى الآن الاساليب العلمية التي تمكن البحاث من تبيُّن الشعور بالاثم او بالاجرام . ولكن بعض علماء الاجرام يسلّمون بان أتم هذه الوسائل قد لا يكفي لانتزاع الاعتراف بالجريمة من فم المجرم المجرَّب . ولذلك استنبط العلم لهذا الطراز من الجناة مركب « السكوبولامين » المعروف بمسل الحقيقة وهو دواء يفعل فعلاً خفيًّا في الدماغ فيعترف المجرم بالحقيقة

والسكوبولامين هذا عقار مستخرج من السيكران او الشيشة الفارسية اكتشفه الدكتور هوس R. E. House احد اطباء ولاية تكساس في عملية جراحية نسائية .فتبين انهُ انهُ يجدّر او يفعل فعلاً مخدراً في بعض مناطق الدماغ ، ولكنهُ لايضعف ذاكرة من يتناولهُ ولاسمعهُ ولا مقدرتهُ على النطق. وبعد موالاة البحث تبين ان منطقة الدماغ التي تتأثر بهِ هي المنطقة التي تمكننا من اختلاق الاقوال في سبيل الدفاع عن النفس . وكذلك كشف ان الانسان الذي يحقن بالسكوبولامين يظلُّ محتفظاً بجميع حواسهِ ولكنهُ يفقد المقدرة على الاختلاق والكذب

وقد جرَّبهُ العالم الاجرامي الاميركي المشهور — الكولونل كالفن غودرد — فتبين فعله العجيب . ذلك ان الكولونل غودرد طلب الى احد زملائهِ ان يردَّ على عشرين سؤالاً بسيطاً وجهها اليه. مثلاً : هل تلعب البردج ؟ هل تتكلم الفرنسية ؟ ثم حقن هذا الزميل حقنة تحت الجلد بجرعة من السكوبولامين ، فلما فعل العقار فعله في الجسم ،وجهت الاسئلة نفسها الى الرجل . فتبين انهُ كان صادقاً في ١٩ سؤالاً منها . واما السؤال العشرون فكان «هل قبض عليك لمخالفة ارتكبتها بسيارتك» ؟ فكان جواب اليقظة التامة عليه « لا » واما الجواب والرجل تحت فعل العقار فكان : « نعم لما كنت طالباً في المدرسة التجهيزية في فرجينيا » . ولما استيقظ وسئل عن هذا التناقض صرح انهُ كان قد نسي كل النسيان تلك الحادثة ، الى ان نبشها السكوبولامين من خبايا الذاكرة ، وقد استعمل وكيل نيابة برمنغهام بولاية ألاباما هذه الحقنة في التوصل الى سر سلسلة من جنايات الاغتيال بلغ عددها خمساً وعشرين . فضبط عصابة مؤلفة من اثني عشر رجلاً واستعمل هذا العقار في الاهتداء الى حقيقتهم . ولما كانت المحكمة لا تسلّم بدليل من هذا القبيل اعتمد على الحقائق التي انتزعها منهم وهم تحت فعل العقار في الفوز باعتراف صريح منهم

# فردريك وهلر

Friedrich Woehler

الكيماوي يباري الحياة

من نحو مائة سنة حدث حادث خطير ، في معمل كيماويّ ألماني ، كان لا يزال في العقد الثالث من عمره . ذلك ان فردريك وهلر كان قد عاد حديثاً من استوكهلم عاصمة السويد حيث تتلمذ للكيماوي السويدي العظيم برزيليوس[1] . وفي خلال طلبه للعلم في المانيا والسويد كان قد سمع في الدوائر العلمية التي زارها ، بحديث قوة حيوية خفية تتخلّل الاجسام الحية ، فخلصَ ذلك على التفكير . وها هوذا في منصبه الجديد ، يدرّس في مدرسة التجارة الجديدة ببرلين ، وفي ثنايا ذهنه فكرة ، كأنها بذرة في تربة خصبة تستعدُّ للانتاش

كان الرأي السائد حينئذٍ ، ان في اجسام النبات والحيوان ، شعلة قوة حيوية خفية ، تمكن هذه الاجسام من بناء مركّبات معقّدة كاصناف السكّر والنشاء والزلال ، من مواد بسيطة التركيب ، وان هذه القوة الخفية لا اثر لها في الجوامد . وكان الناس يعتقدون ان المواد التي تتركب منها النباتات تختلف عن المواد التي تتركب منها الاجسام المعدنية في ان الاولى لا يمكن تركيبها تركيباً صناعيًّا في معامل الكيماويين . واذن كان من المستحيل في رأي ذلك العصر ، على الانسان ان يجاري هذه القوة الحيوية في ابداعها . حتى لقد ظنّ بعضهم ان هذه المركبات العضوية ، لا تخضع لنواميس الكيمياء . ذلك كان رأي الدوائر العلمية في سنة ١٨٢٨

بل كان برزيليوس نفسهُ ، قد اشار في بعض ما كتب وحاضر ، الى الهوة التي لا يمكن ردمها بين المواد العضوية والموادّ غير العضوية . وكان ليوبولد جلين[2] ، استاذ وهلر في جامعة هيدلبرج ، ثابت اليقين في ان المواد العضوية لا يمكن تركيبها تركيباً صناعيًّا . ولكنّ وهلر كان شابًّا وفي اندفاع الشباب شكٌّ في مايقال . ولذلك فضّل ان يجاري قول الكيماوي الفرنسي شفرول[3] في ان القول بوجود فارق مطلق غير قابل للتغيُّر مناقض لروح العلم . بل كان في قرارة ذهنه يعتقد ان عبارة « القوة الحيوية » ليست الاّ ستاراً لما نجهل ، وان التسليم بها تسليماً مطلقاً يعيق الكيمياء عن الارتقاء

(١) جونز جاكوب برزيليوس كيماوي سويدي Berzelius ( ١٧٧٩ — ١٨٤٨ ) (٢) ليوبولد جلين فرد من اسرة المانية كبيرة اشتهر رجالها بالكيمياء والطب . وكان هذا استاذ الكيمياء في جامعة هيدلبرج ( ١٧٨٨ — ١٨٥٣ ) (٣) كيماوي فرنسي ( ١٧٨٦ — ١٨٨٩ )

فبقي وهلر يبحث ويجرّب في معمله ، وهو لا يكلّ ولا يملّ . وكأنهُ كان يقول في نفسهِ : آه لو تمكنت من تركيب احدى هذه المواد التي لم يؤثر تركيبها قبلاً الاّ في الجسم الحيّ ! انهُ لو استطاع ذلك لضرب الفكرة السائدة ضربة قاضية ، اقوى من الضربة التي دكها لافوازيه[1] لفكرة الفلوجستون !

***

كان فردريك وهلر قد طالع مؤلفاً جديداً لشفرول اثبت فيهِ ان كثيراً من الادهان التي تتكوّن في أجسام النبات تماثل الادهان التي في أجسام الحيوان . وكذلك أزال الحاجز الفاصل بين النبات والحيوان من هذا القبيل . وكان ملمّاً بمباحث رول Rouelle[2] معلم لافوازيه في كيمياء أجسام الحيوان

كان الغرض الذي وضعهُ نصب عينيه جليلاً أخّاذاً يستهوي الافئدة . فمضى يجرب تجربةً أثر تجربةٍ وهو لا يبلغ منها لبانةً ما . ولكنهُ مضى في تجاربهِ اربع سنوات متوالية . وفي ذات مساء حدثت الاعجوبة !

تصوّر دهش هذا الباحث القتي ، وقد وقع بصره على مركّب صنعهُ في انبيقٍ من مواد غير عضوية . هاهوذا يرى في انبيقهِ ما وزنهُ غرام من بلورات بيض ، مستطيلة كالابر ، كان رول معلم لافوازيه قد وجدها قبل خمسين سنة في البول ودعاها فوركروي « يوريا »[3] .. لم يعرف من قبل ان هذا الملح الابيض يمكن ان يركّب خارج الجسم الحيّ !

ولم يكن غريباً ان يتبين وهلر طبيعة هذه البلورات عند مشاهدتها . ذلك انهُ كان قد بدأ دراستهُ العلمية طالباً للطبّ . واذ كان يكتب رسالة عن نقاوة الجسم في البول اتصل علمهُ «باليوريا» فتحسس لما شاهد . بل أنهُ رأى نفسه بعين خياله واقفاً على عتبة عصر جديد في الكيمياء وقد قضى بتجربتهِ على نظرية جميلة ولكنها لا تقوم على أساس . انهُ ادرك في الحال ، انهُ كان أول من صنع مادة عضوية خارج الجسم الحي . فتمثل لنفسهِ الميادين الواسعة والآفاق الجديدة التي يمهّد السبيل اليها هذا المركّب الصناعي . ولكنهُ ظلّ محتفظاً برباطة جأشهِ لان معلمهُ برزيليوس كان قد حذّره من التعجل . فحلل المادة التي بين يديهِ ليتثبت من انها وبلورات اليوريا التي ركّبها « القوة الحيوية الخفية » في الجسم ، شيءٌ واحد

فلما تثبت من ذلك كتب الى برزيليوس فقال : يجب عليّ ان انهي اليك انني استطيع ان اركب «اليوريا» من دون ان احتاج الى كليتي انسانٍ او كلب» . فتحسس السويدي لهذا النبأ الخطير وأخذ يذيعهُ في الدوائر العلمية ؛ فسرّت رعشة كهربائية فيها . ولما تناهى النبأ الى شفرول رحّب بهِ أعظم ترحيب . ها هو ذا وهلر قد ركّب «اليوريا» من مواد غير عضوية . فاذا يمنعهُ او يمنع غيره من العلماء ان يركبوا السكّر او الزلال او حتى البروتوبلاسمة نفسها أساس الحياة الغروي ؟ ولكن دعاة

(١) كيماوي فرنسي قتل في الثورة الفرنسية (١٧٤٣ — ١٧٩٤) (٢) كيماوي فرنسي (١٧٠٣ — ١٧٧٠) (٣) مادة بيضاء يمكن بلورتها توجد في البول والدم والطمث .. وهي المادة النتروجينية الرئيسية في البول

المذهب «الحيوي» اعترضوا على كل ذلك ، فقالوا لعلَّ «اليوريا» مادة متوسطة بين المواد العضوية والمواد غير العضوية . ثم ان تركيب اليوريا يقتضي استعمال الامونيا . والامونيا من أصل حيوي. فانكار القوة الحيوية خطأ ، لانها كامنة في الأمونيا التي صنعت « اليوريا » منها . ولكن همس الحيويين ضاع بين صيحات التهليل المرتفعة من كل حدب وصوب ، بأن عصراً جديداً قد أهلَّ على عالم الكيمياء

نشر وهلر مذكرتهُ عن تركيب اليوريا سنة ١٨٢٨ وبعد انقضاء قرن كامل عليها ، فاز الاستاذ بيكته Pictet وهانز ڤوغل من اساتذة جامعة جنيف بتركيب سكر القصب . فأخذ بيكته الأيدروجين وثاني اكسيد الكربون وصنع منهما الكحول الخشب ثم حوَّل هذا الالكحول الى مادة الفورملدهيد [١] ، ومن هذه المادة استخرج الغلوكوز ومن الغلوكوز [٢] استخرج الكروز وهو قصب السكر . فلما تمَّ لهُ ذلك كان قد انقضى نصف قرن والعلماء يبحثون عن اسلوب لصنع قصب السكر بالتركيب الصناعي

كان السر جيمز كولوهون ارڤين وكيل جامعة سانت اندروز الاسكتلندية قد قضى عشرين سنة يعالج هذا الموضوع وكاد يفوز ببغيته . فلما اتاهُ نبأ فوز بيكته قال لتلاميذه . « يؤسفني ان لا يكون هذا التركيب قد تمَّ في معامل جامعتنا . ولكن يسرّني ان يحوز بيكته هذا الفخر . انهُ لنصرٌ عظيم ، وانهُ لخطوة كبيرة في الكيمياء العضوية والكيمياء الحيوية»

ما احفل القرن الذي انقضى بين « يوريا » وهلر « وسكروز » بيكته ، بالعجائب ! لقد تمَّ تركيب ٤٠٠ الف مركب جديد في هذا الفرع من الكيمياء ، والعلماء يضيفون اليها ما متوسطه ٤٠٠٠ مركب جديد كل سنة !

***

ولد فردريك وهلر في مستهل القرن التاسع عشر على مقربة من مدينة «فرنكفورت اون ماين» وكان والدهُ اوغست متفقهاً في العلم والفلسفة . فتلقى فردريك مبادىء العلم من والده ، فحبب اليهِ درس الطبيعة ونشَّأهُ على الميل الى الرسم وجمع نماذج من المعادن . فكان فردريك يتبادل مع رفاق صباه نماذج المعادن كما يتبادل بعضهم طوابع البريد . وحافظ على هذه الخطة مدى حياتهِ . وقد لقي بفضلها غوته في شيخوختهِ اذ كان الشاعر العظيم يفحص بعض حجارة معدنية في دكان بفرنكفورت يختلف اليهِ وهلر

ثم ما لبث ان اضاف الكيمياء الى الامور التي يهوى متابعتها . واتصل عن طريق ابيهِ بصديق للاسرة يملك خزانة كتب غنية ومعملاً كيماويًّا خاصًّا ، فاذن لهُ في ان يختلف الى الخزانة للمطالعة

(١) فاز مركب من الكربون الايدروجين والاكسجين ( كـ يد٢ اك ) يصلح للتطهير محلوله سائل طيار لا لون له

(٢) سكر العنب ويوجد في الدم والبيض وفي بول المصابين بداء السكر

وال المعمل لتجربة التجارب . فبنى اعمدة كهربائية فولطائية من انواع من الخارصيني ( الزنك ) وبعض النقود الروسية النحاسية التي جمعها . واهدى اليهِ مدير ادارة سك النقود بالمانيا ، فرنكاً ليستعمله في تجاربهِ فحرق اصابعهُ بالقصفور مرة ، وكاد يقضي نحبهِ مرة اخرى لما تحطم بين يديه وعاء زجاجي يحتوي على غاز الكلور السام

بعد ذلك ذهب الى جامعة ماربورغ حيث تلقى ابوهُ العلم. فانتظم في سلك طلاب الطب ونال جائزة على رسالة وضعها في «نفايا البول» . ومما يؤثر عنهُ انهُ جرب تجارب خطيرة في كليهِ وفي نفسه وهو معنيٌّ باعداد تلك الرسالة . ولكن الكيمياء كانت لا تزال الموضوع الذي فتن لبَّهُ . فابتنى معملاً كيمائيًّا صغيراً خاصًّا بهِ ، وحضَّر فيهِ «يودور السيانوجن» فكان اول من حضَّرهُ . فلما جاء بهذا المركَّب الى استاذه ڤرزر أنَّبهُ لانهُ يضيع وقته في التجارب الكهربائية بدلاً من الانصراف الى دروسهِ الطبية . فامتعض الفتى لهذا التأنيب ولم يحضر بعد ذلك محاضرات استاذهِ

وكان في جامعة هيدلبرج عالم مشهور يدعى ليوبولد جملين Gmelin فرغب في ان يتلقى العلم عليهِ ، فانتظم في جامعة هيدلبرج حيث اتمَّ دروسهُ الطبية ونال شهادتهُ فيها ، واعدَّ معداتهِ لزيارة اشهر المستشفيات في عواصم اوربا قبل ممارسة صناعة الطب . ولكن جملين كان قد راقبهُ يجرِّب التجارب في المعمل الكيمائي . فقال لهُ في احد الايام انهُ من العبث ان يحضر دروسهُ لان البحث في المعمل الكيمائي اجدى عليهِ . ولما قدَّم التلميذ لمعلمهِ رسالتهُ في تحضير « الحامض السيانيك » قرأها هذا مبتهجاً بها ولكنهُ لم يخطر لهُ حينئذٍ ان هذه الرسالة ستفضي بعد بضع سنوات الى تركيب اليوريا فتفتح عهداً جديداً في علم الكيمياء . بيد ان جملين عزم حينئذٍ ان ينظم وهلر في سلك خدمة الكيمياء . فحدَّثهُ في الموضوع باسطاً ما في عمل الكيماوي من اللذة . وكان وهلر لا يحتاج الى بلاغة للاقتناع بذلك لانهُ كثيراً ما أغرى بترك الطب لكي يتفرغ لدراسة اسرارها . وذكر لهُ استاذهُ اسم برزيليوس وما احرزهُ من شهرة في دوائر اوربا العلمية . فتحمَّس وهلر ، على امل ان يقبلهُ برزيليوس في عداد تلاميذه ومساعديه . فكتب الالماني الى السويدي في ذلك فردَّ برزيليوس وفي ردِّه تتجلى وداعة العلماء الحقيقية فقال : « ان من درس الكيمياء على جملين قلما يستطيع ان يتعلم مني شيئاً . ولكنني ارغب في معرفتك فتعال متى شئت» . فطرب وهلر لذلك . وخفَّ الى استاذه ليطلعهُ على كتاب برزيليوس وشرع لدقيقته يعدُّ المعدات للسفر الى عاصمة السويد

فلما وصل الى ثغر لوبك على بحر البلطيق قيل لهُ ان لابد من الانتظار ستة اسابيع قبل اقلاع السفينة الى استوكهلم فضاق صدرهُ بذلك ، ولكنهُ تمكن بواسطة صديق له كان يتبادل واياه نماذج المعادن، من الاتصال بمعمل كيمائي هناك حيث حاول ان يكشف اسلوباً متقناً لتحضير مقادير كبيرة من البوتاسيوم وهو العنصر الذي كان السر همفري دايفي[1] قد استفردهُ قبيل ذلك

(١) كيماوي بريطاني (١٧٧٨ — ١٨٢٩)

ولما نزل من الباخرة الى البر السويدي ، وعرف مأمور الجوازات انهُ قادم من المانيا لتلقي العلم على برزيليوس رفض ان يأخذ منهُ الرسم المألوف وقال : «ان احترامي للعلم ولمواطني الممتاز يأبى عليَّ ان آخذ مالاً من رجل حمله حبهُ للعلم ان يرحل هذه الرحلة الشاقة للدرس عليهِ »

وصل الى استوكهلم ليلاً ، فما سدَّق ان طلع الصباح حتى هرع الى بيت برزيليوس . قال : «وفي الصباح وقفت وقفتي خافق امام بابه اقرع جرسه ، ففتح لي الباب رجل سمينٌ قوي البنية ، وكان الفاتح برزيليوس نفسهُ فما تقدمني الى معملهِ تصورت انني في حلم »

وفي الحال اعطى الاستاذ تلميذه الجديد بوتقة من البلاتين ، وزجاجة ، وميزاناً ، وعهد اليهِ في دراسة بعض المعادن . فلما تعجل وهلر في العودة الى استاذه ليطلعه على النتائج التي حصل عليها قال لهُ الاستاذ محذراً « اسرعت يا دكتور ولكنك لم تُجِد ». فلم ينسَ وهلر هذا التحذير طول حياتهِ. وبعد تحليل المعادن عاد فعني بالحامض السيانيك فحضر منهُ « سيانات الفضة »

كان في خلال ذلك الوقت شابٌّ المانيٌّ آخر يدعى ليبغ ، منتظمٌ في معمل غاي لوساك[1] الكيائي بباريس ، ومنصرفاً الى البحث في المفرقعات الكيائية

وفي خلال بحثهِ ركّب مادة كيماوية غريبة كانت العناصر التي ركبت منها هذه المادة نفس العناصر التي ركبت منها مادة « سيانات الفضة » التي ركّبها وهلر وفي نفس المقادير . ولكن مركّب ليبغ كان يختلف في خواصهِ الطبيعية والكيائية عن مركّب وهلر . فظنَّ اولاً ان وهلر على خطإٍ في ما قال ، ولكنهُ بعد الامتحان الدقيق ثبت لهُ انهُ ووهلر على صواب . فكتب اليهِ في ذلك مستطلعاً رأيهُ ، فسأل وهلر استاذهُ برزيليوس ، فكان هذا السؤال مهداً للكشف عن ظاهرة «الايسومتري» في الكيمياء وهي ما يمكن ترجمتهُ «بظاهرة النظائر» اي المواد الكيماوية التي تتشابه تركيباً كيماوياً ولكنها تختلف في خواصها

وقد اجتمع وهلر وليبغ بعد عودتهما الى المانيا وتوثقت اواصر الصداقة بينهما ، وكثيراً ما كانا يجتمعان ويتناقشان في الموضوعات الكيائية التي تدور عليها بحوثهما ، واشتركا في بحث بعض المسائل واصدرا مذكرات علمية باسميهما معاً . وبلغ الاخاء العلمي بينهما اعلى ما يمكن ان يبلغهُ الاخاء الحقيقي ، فلم يضنَّ ليبغ على صديقهِ باسناد كل الفضل اليهِ في جميع بحوثهما المشتركة . قال : « يعود الفضل في بحثنا الحامض البوليك وزيت اللوز المرّ اليهِ . سرنا معاً يدي بيده ، لا غيرة ولا حسد . وكثير من الرسائل التي حملت اسمينا معاً كانت من عمله وحده »

وفي ١٨٣٠ توفيت زوجة وهلر ، بعد انقضاء سنتين على زواجهما . فحزن حزناً شديداً حتى ظنَّ اصدقاؤهُ انهُ قد يحول دون مضيهِ في بحوثهِ . ولكنهُ ما لبث ان وجد في معمل صديقهِ ليبغ بلسماً لجرحه . فاكبّا معاً على بحث زيت اللوز المرّ ، وبعض المركّبات المؤلفة من كربون وايدروجين

(١) كيماوي فرنسي ( ١٧٧٨ — ١٨٥٠ )

واكسجين ، واتجها خاصة الى درس خاصتها الغريبة وهي انها لا تتغيَّر بتغيُّر المواد التي تدخل هي في تركيبها . فأطلقا عليها اسم «بنزويلات» ( جمع بنزويل Benzoyl ) فلما قرأ برزيليوس بحثهما هذا رأى انهُ فجر يوم جديد في علم الكيمياء فأطلق على هذه الطائفة من المواد اسم بروينات ( جمع بروين Proin ) ومعنى اللفظ المفرد « الفجر »

بعد ذلك عاد وهلر الى مسقط رأسهِ ، حيث تزوَّج ثانياً ، ولكن شهرته كانت قد ذاعت فلما توفي الاستاذ « شترومير » كاشف عنصر الكدميوم ، اختير وهلر ليحلَّ محلَّهُ استاذاً للكيمياء في جامعة غوتنجن . وكان ليبغ من الذين ذكروا لهذا المنصب ، فلما عيّن صديقهُ فيهِ بعث اليهِ بتهنئة حارَّة

وشيَّد وهلر في غوتنجن معملاً كيميائيًّا كبيراً ، فطارت شهرته في جميع الآفاق ، وهرع طلاَّب الكيمياء الى تلقي العلم عليهِ . ومن هؤلاء اميركيٌّ يدعى جوت Jewitt استاذ الكيمياء في كلية اوبرلين الاميركية . فلما عاد جوت الى اميركا حمل معهُ نبأ الكشف عن معدن الالومنيوم الفضيّ الخفيف الوزن . وكان جوت يميل الى التحدُّث مع طلاَّبهِ عن هذا العنصر العجيب ، والمقادير الكبيرة منهُ في صخور الارض ، والثروة العظيمة التي يمكن جنيها من استنباط وسيلة رخيصة لتحضيره . واذ كان يقول هذا القول في أحد الايام ، لفز أحد الطلاَّب رفيقهُ وقال : «سوف يكون تحضير الالومنيوم بغتي» . كان هذا الطالب تشارلز مارتن هول . وفي ٢٣ فبراير سنة ١٨٨٦ أتى الفتى هول الى استاذهِ بحبةٍ من معدن الالومنيوم المحضر بطريقة كهربائية رخيصة كان قد استنبطها . فكان ذلك مفتتح استعمال معدن الالومنيوم في مئات الاغراض الصناعية ، وجنى هول الثروة العظيمة التي تنبأ بها استاذه جوت ووهب مليوني جنيه منها في وصيتهِ ، للمعاهد الاميركية في الشرق الادنى

وكذلك ربط سلك العلم بين وهلر الألماني وطلاَّب العلم في الشرق الادنى ، عن طريق جوت وهول الاميركيين !

ومن الغريب ان ليبغ ووهلر انصرفا عن ميدان العلم الجديد الذي فتحاه ، بعد ان أحرزا انتصاراتهما العظيمة الاولى . فاتجه ليبغ الى كيمياء الزراعة وتبعهُ في ذلك السر جون لوز الكيماوي الزراعي البريطاني ، واسس محطة روثامستد للتجارب الزراعية ، وهي اشهر محطة في العالم من هذا القبيل . وانصرف وهلر الى دراسة المعادن التي اشتهرتهُ في حداثتهِ فاستفرد البريليوم والاتريوم بعد استفراده الالومنيوم في صباه . وكاد يكشف الثناديوم ولكن الباحث سفستروم سبقه اليهِ فكتب اليهِ برزيليوس في هذا الصدد « . . . ان الكيماوي الذي استنبط طريقة لصنع مادة عضوية لم تصنع قبلاً الاَّ في جسم حيّ ، يسهل عليهِ ان يتنازل عن شرف السبق الى كشف عنصر جديد . فمن المستطاع كشف مئة عناصر جديدة من دون الاحتياج الى ذرة من العبقرية »

وفي خلال ذلك كانت الكيمياء العضوية تسير بخطوات الجبَّار الى الامام . فذهب مرسيلان

برتيلو الفرنسي الى النملة وتعأيم سرها ، اذ ركب في معمله الحامض النمليك formic acid وهو من المواد العضوية . وحضر كولب[1] Kolbe الحامض النمليك من دون الاستعانة بالبكتيريا التي تحدث التخمير الحلي . وصنع بركن[2] الانكليزي صبغ « الموف » فكان الاول في سلسلة من الاصباغ العجيبة المستخرجة من قطران الفحم الحجري . وكشف كيكوله[3] عن تركيب البنزين . وتبعه فون بايز الالماني الى سر الصبغ النيلي فركبهُ تركيباً صناعيًّا ولما شرعت شركة البادیش في صنعهِ صنعاً تجاريًّا قضت على زراعة النيلة في الهند

واطرد هذا التقدُّم واتسع بعد وفاة وهلر في سنة ١٨٨٢ . بل ان وهلر عاش حتى شاهد بام عينيهِ بعض العجائب في تركيب المواد العضوية التي تلت التركيب « اليوريا » . وحديث هذا التقدم شبيه بصفحات منتزعة من غرائب الف ليلة وليلة . ففي المانيا قام اميل فشر ، بعد ان رفض العمل في تجارة الخطب بحسب طلب ابيهِ ، وركب عشرات من المواد العضوية المعقدة في معملهِ الكيماوي . وقد كتب فشر عند ما فاز بجائزة نوبل الكيمائية ، معبراً عن اسفهِ ان والدهُ لم يعش ليرى ابنهُ الخيالي ، فائزاً بهذه الجائزة

وفي سنة ١٩١٠ عرض كيماوي الماني في نيويورك نموذجاً من « مطاط » ركبهُ تركيباً صناعيًّا ولكن صنع المطاط صنعاً تجاريًّا لم يتمَّ بعد . ولا تزال الجائزة التي عرضتها حكومة السوفيت في سنة ١٩٢٨ لمن يستنبط طريقة تجارية لصنع « المطاط » بالتركيب الصناعي ، محفوظةً في خزينتها

ولم يحجم الكيماويون العضويون عن التقدُّم الى مجاراة الاعضاء الحية في تركيب مفرزاتها . فدرسوا مفرزات بعض الغدد الصم وركبوا الابينفرين ( الادرينالين ) سنة ١٩٠٦ والثيروكسين ( افراز الغدة الدرقية ) من قطران الفحم الحجري ، والانسولين (افراز الغدة الحلوة البنكرياس ) الذي كشفهُ بانتنغ ومكلود في جامعة تورنتو سنة ١٩٢٢ وعشرات بل مئات من العقاقير الجديدة التي كان صنعها وقفاً على اجسام الحيوان والنبات

ان العقل ليقف حائراً امام مبدعات الكيمياء العضوية . فقد كانت الكيمياء قبل وهلر وخلال حياتهِ وبعيدها وصيفة الصناعة ، فاصبحت سيدة الطب ، وقد تكون سبيلنا النفوذ الى سر النمو بل وسر الحياة نفسها

وقد توفي وهلر في السنة الثالثة والثمانين من عمرهِ ، بعد مرض دام ثلاثة ايام فدفن في غوتنجن ، ونقش على قبرهِ ، وفقاً لرغبته هذه الكلمات : « فردريك وهلر : ولد في ٣١ يوليو سنة ١٨٠٠ وتوفي في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ » . وقد كان مصاب العلم في تلك السنة مزدوجاً لان تشارلز دارون صاحب مذهب النشوء والتطوُّر كان قد سبق وهلر الى دار البقاء قبل ستة اشهر

(١) كيماوي الماني (١٨١٨ — ١٨٩٤)
(٢) كيماوي انكليزي (١٨٣٨ — ١٩٠٧)
(٣) كيماوي الماني (١٨٢٩ — ١٨٩٦)

# محاكمة ماتا هاري

## الجاسوسة الكبيرة توجه المحكمة العسكرية الفرنسية

### فصل من تاريخ التجسس في الحرب الكبرى

لعل « ماتا هاري » أشهر جواسيس الحرب الكبرى على الاطلاق . بل هي حتما أشهر الجواسيس الذين كشف أمرهم وحوكموا واعدموا . ولدت في هولندا سنة ١٨٧٦ وبدأت حياتها العملية راقصة في باريس . وكانت ترقص في احد مسارح برلين قبل الحرب الكبرى لما انتظمت في سلك التجسس الالماني ووسمت برقم ( H 21 ) والراجح ان أشهر فاطة تذكرها بياض ممرضة في الصليب الاحمر وذهابها الى ليل حيث اتصلت بطيارى الحلفاء واغتزمت منهم أنباء عن الطرق التي كانوا يعمدون اليها في انزال جواسيس الحلفاء وراء خطوط الالمان . ثم أصبحت عظية بعض الضباط الفرنسيين في باريس فاطلعت بواسطتهم على المعدات التي يعدها الحلفاء لهجوم كبير على الجبهة الغربية . فكشف الجواسيس الفرنسيون انها استعملت بريد السفارة الهولندية الدبلوماسي لارسال معلومات الى رؤسائها الالمان . وبعد ذلك طلب اليها ان تكشف اسماء جواسيس الحلفاء في البلجيك فاقدمت بجرأة نادرة على ان تنتظم في سلك التجسس الفرنسي وطلبت الى تتصل بجواسيس فرنسا في البلجيك ، فاعطيت ثلثة فيها اثنا عشر اسماً لم يكن الا واحد منهم جاسوسا فرنسياً . فلم تنقض الا ثلاثة أسابيع حتى قبض على هذا الرجل واعدم رمياً بالرصاص . وفي خلال ذلك كانت قد قامت فرنسا على انكلترا فاوعز ان تذهب الى هولندا ولكن البوليس الانكليزي وضعها على بلخرة مسافرة الى اسبانيا فاصبحت في مدريد عظية الملازم فون كرول رئيس الجواسيس الالمان في عاصمة اسبانيا . ولكن رؤساءها أمروها بالعودة الى باريس . ولما كانت في حاجة الى المال بعث فون كرون برقية لاسلكية الى استوكهلم يطلب اليها ان يرسل الى (H 21) مبلغ ٥٠ الف فرنك بواسطة السفارة الهولندية في باريس . فالتقطت هذه البرقية وحلت رموزها ولما وصلت ماتا هاري الى باريس قبض عليها وحوكمت وحكم عليها بالاعدام . وفيما يلي وصف المحاكمة . وقد اوردت بعض حوادث حياتها قبلاً مثلثة جريدة جارديو

... واخيراً ازف الوقت لتقديم ماتا هاري للمحكمة العسكرية لمحاسبتها على فعالها . وكانت المحكمة مؤلفة من ضباط فرنسيين كانوا اخوان الضباط والجنود الذين ساقتهم الى الموت الرؤام بما افشت من اسرار حركاتهم العسكرية لقيادة الجيش الالماني . في هذه المحاكمة كشفت ماتا هاري عن عقلها وروحها كما كانت تكشف عن جسدها في ابهاء الرقص في الحواضر الاوربية . وكان لا بدحة عن ان تسبقها شهرتها الى منصة القضاء ، لان بعض قضاتها سمع بها حتماً اذ كانت كوكباً متألقاً على مسارح الرقص حيث اشتهرت بانها امرأة لا تقيم وزناً لاحكام الشرف والفضيلة . ولا ريب في انهم احسّوا بسحر انوثتها كما احسّ به غيرهم من الرجال الذين انقادوا لها ، والراجح ان كلاً منهم تعجّب في ما بينهُ وبين ذات نفسهِ ، سائلاً اي المقادير ساقت هذه المرأة الفتانة الى الانتظام في سلك التجسس . بيدَ ان

خلال التفكير التي تقيم وزناً للاعتبارات الادبية في سلوك الانسان لم يُقدَّم لها وزن في محاكمتها . فاعضاء هذه المحكمة كان يهمهم ان يصلوا الى حقائق حياتها وصلة تلك الحقائق بمتابعة الحرب واحراز النصر فكان هذا ديدنهم في استطلاع خفاياها

ولا يظنّ احد ان قضاتها وقفوا منها موقف الظالم المستبد ، لما تناهى اليهم من انباء فعالها في التجسّس على فرنسا لحساب المانيا ، فعاملوها في خلال المحاكمة معاملة قائمة على كرم النفس وادب السلوك . فاذا رأيت في خلال وصف المحاكمة انهم وجّهوا اليها اسئلة تتعلّق بحياتها الخاصة وعلاقتها بالرجال الذين فتنوا بها ، فاذكر انها اختارت ان تبني دفاعها على كونها امرأة حظيّة . ولكن القائمين بالبحث لم يسمحوا لحائل ما ان يحول بينهم وبين الحقيقة ، وانا لسنا نجد فيما كتب عنها ، قولاً واحداً يؤخذ منهُ ، ان ماتا هاري او المحامي عنها ، احتجّا في خلال المحاكمة على ان القضاة والمحقّقين حادوا عن جادّة العدل . نعم انها توسّلت الى قضاتها في بعض ادوار المحاكمة ، ولكنهُ كان توسل سيّدة تطلب ان تعامل كسيدة لا كجاسوسة . وقد أثار مورنيه Mornay — السيف المصلت في خلال الحرب فوق رؤوس الجواسيس — غضبها احياناً ولكن ثورتها جاءت من ادراكها انهُ استروح الحقيقة التي حاولت اخفاءها في كلام فاضح فاهت بهِ ، لا من اتّهام اساليبهِ بروح الظلم والعدوان

وكان قد تقدم للدفاع عنها الاستاذ كلونه Clunet وهو من كبار المحامين الفرنسيين وقد تعدّت شهرته حدود بلادهِ . طلب الاستاذ كلونه ان يعهد اليه في الدفاع عنها . وكان هذا غير مألوف في محاكمات الجواسيس . اذ قلما فاز جاسوس بمحام كبير من طبقة كلونه في الدفاع عنه . ولكن لاسباب خاصة قبل طلبه . فقد كان كلونه رجلاً كيساً على اساريره جلال الشيخوخة ، ويعلو رأسه شيبة صالحة ، وعلى صدره وسام الحرب السبعينية . فكان كل ذلك من البواعث التي تحمل المحكمة العسكرية على احترامهِ . ثم ان كلونه كان قد عشق ماتا هاري ، لما كانت في اوج عزها وجمالها . ونلت الصلة بينهما صلة وثيقة بضع سنوات متوالية ، فهذه الصلة القديمة بين المحامي وموكلتهِ ومقام الرجل في سلك المحاماة يضمنان لموكلته ابرع دفاع يستطيعهُ محامٍ على الاطلاق

جلست المحكمة العسكرية الثالثة ، في دار محكمة الجنايات . وكان الرئيس جنديًّا قديماً محترماً ، يدعى الكولونل سيرون ، رئيس الحرس الجمهوري سابقاً . وعقدت الجلسات في غرفة مقفلة الابواب لان طبيعة الاقوال التي قيلت في الاتهام والدفاع ، كانت تقتضي بقاءها في طي الكتمان . حتى حراس حجرة المحكمة لم يسمح لهم بالدنو منها . ولم تحتو الحجرة الا على اعضاء المحكمة وممثل الاتهام والمحامي كلونه وضابط آخر وحارس المنهمة ، وهذا بحكم الطبع علاوة على الشهود الذين دخلوا الى حرم المحكمة لسماع اقوالهم

اما ذلك « الضابط الآخر » ، فكان الكولونل ماسار Massard من ضباط اركان الحرب . ومعظم الحقائق عن محاكمة ماتا هاري منتزعة من كتابه الذي عنوانه « جواسيس باريس »

هنا في حجرة بعيد عن صخب الحياة الباريسية ، وقفت ماتا هاري تواجه التهم الموجهة اليها بأنها كانت على «صلة اجبارية بالعدو» : وهذه العبارة هي العبارة الرسمية التي يراد بها «التجسس». ويقول الكولونل ماسار ، انها وقفت هناك طويلة القامة نحيفتها ، زرقاء العينين نحيلاويهما ، انيقة الثوب والقبعة ، ولكن شفتيها كانت تعلوهما بسمة ترفع وسخرية وفي عينيها قساوة لا تحد . على ان الكولونل ماسار لم يأخذ بقولهم انها امرأة فاتنة ، بل وصفها بقوله انها كانت المانية قلباً وقالباً

بيد ان كلاً من رآها ، اعجب بالحزم والثبات اللذين قابلت بهما قضاتها ، والذكاء الخارق الذي كشفت عنهُ في اقوالها وردودها . فقد كانت تملك جواباً جاهزاً لكل سؤال . فكانت تسلم بكل ما تتهم بهِ من افعال ، ولا تنكر الا ما تتهم بهِ من البواعث التي حملتها عليها . ولما شبهت «بمساليا»[1] لم تثر ثائرتها ، بل باهت باستسلامها للشهوة . سلمت بانها خطية . ولكنها انكرت انها جاسوسة . ذلك كان خطة دفاعها . وتمسكت بهذه الخطة الى نهاية المحاكمة . اما تصرفها تصرفاً يحيط بهِ الغموض ويثير الريب في بعض الاحيان فسببهُ — بحسب قولها — انهُ كان محتوماً عليها اخفاء شخصيات الرجال الذين كانوا من عشاقها . ماتا هاري لم تكن صريحة وحسب . بل كانت تفاخر بان عشاقها من اصحاب اكبر المقامات في فرنسا ، وانهم كانوا كراماً واسخياء في معاملتها

— قال رئيس المحكمة : في اليوم الذي شهرت فيهِ الحرب الكبرى تناولتِ طعام الغداء مع مدير بوليس برلين وبعد ذلك صحبتهِ في جولة في المدينة حيث حيتكما الجماهير

— فقالت ماتا هاري: هذا صحيح . وفسرتهُ بقولها ان مدير البوليس كان قد جاء الى المسرح لشأن خاص بثوب الرقص لان ثوبها هذا كان يكشف من الجسد اكثر مما تسمح بهِ القوانين

— فاستأنف الرئيس : وبعيد ذلك انتظمتِ في قلم الاستخبارات الالماني . فارسلك رئيس ذلك القلم في مهمة سرية الى باريس واعطاك ٣٠ الف مارك ووسمك بالرمز (H21)

— فقالت: الواقع انهُ اعطيت اسماً رمزيًّا لاستعملهُ في مراسلاتي مع صديقي . ولكن الثلاثين الفاً من الماركات لم تكن اجري كجاسوسة ، بل هدية لي كخطية رئيس قلم الاستخبارات الذي تشير اليهِ

— نحن نعلم ذلك . ولكن يظهر ان سخاء هذا الضابط كان فوق ما يتوقع

— ثلاثون الف مارك ! أهذا ما تدعونهُ سخاء ؟ ان عشاقي قلما اهدوا اليَّ مبلغاً اقلَّ من ذلك

ولكنها ناقضت نفسها بنفسها حين سئلت في موضوع تراسلها مع الاعداء . وغرضها من ذلك ان تستفيد من اقوالها المختلفة في تطبيقها على الاحوال المختلفة التي تعرض لها . ثم شدد الرئيس الوطأة عليها عند ما اتهمها ، بانها تنكرت بلباس ممرضة وانتزعت من الضباط الفرنسيين كيف ينزلون الجواسيس الفرنسيين وراء الخطوط الالمانية

— الواقع انني كنت أتراسل مع عشيقي الذي كان قد انتقل من برلين الى استردام . وليس

(١) الزوجة الثالثة للامبراطور كلوديوس اشتهرت بالفسق والطموح والتسلط على زوجها وقد أعدمت

الذنب ذنبي في انهُ كان رئيس قلم الاستخبارات الالماني . اما أنا فلم أبعث اليهِ شيوء ما تقول

— لما كنتِ في جبهة الحرب : اتصل بعلمك نبأ معدات تعدُّ لهجوم كبير

— علمت من بعض الضباط أصدقائي ان معدات تعد . ولكن لو أردتُ إنباء الالمان بذلك لما استطعت . فأنا لم أتصرف عما كان واقعاً لانني لم استطع الى ذلك سبيلاً

وقد كان قولها غريباً في بابهِ ، بعد ان صرّحت قبيل ذلك بأنها كانت متصلة بالمراسلة بمدير قلم الاستخبارات الالماني . ولكن الواجب والكذب في نظرها كانا مترادفين . فهذا التناقض لم يكن ذا خطر في نظرها ، ولعلها ظنت انهُ لم يكن ذا خطر في نظر قضاتها ، فأخطأها الظنُّ . بعد ذلك نظر اليها الرئيس ، وهو يعلم انهُ اوشك ان يصل في التحقيق الى الادلة القاطعة فسألها في شيء كثير من الاهتمام عن تراسلها مع ابنتها عن طريق البريد الدبلوماسي الخاص بسفارة دولة محايدة في باريس

فقالت : اسلّم بأني كتبت . ولكنني لم اتضمن كتبي انباءً ما عن شؤون عسكرية

الرئيس : ولكن عندنا الدليل على انك ضمنتها تلك الانباء : بل ولعلم الى من بعثت بها

كان في هذه العبارة أول اشارة الى مدى ما يعلمه البوليس الفرنسي عن فعالها . فتعجب لونها ولم تحاول ان تفيض في تراهة البواعث التي حملتها على ذلك . ثم سئلت عن البواعث التي بعثتها على التطوع في خدمة قلم الاستخبارات الفرنسي ، فدلت أجوبتها على انها لم تجد رادعاً من نفسها لخيانة أصدقائها سواء أكانوا ألماناً او فرنسيين . قالت : لست أجد ما يستغرب في عرضي ان اخدم فرنسا . وقد كانت سلافي الخاصة مما يمكنني من هذه الخدمة . وعلاوة على ذلك كنت في حاجة الى المال . فقال الملازم مورنيي : ولكن أصدقاءك بعثوا اليك بعشرة آلاف مارك عن طريق سفارة دولة محايدة . فقالت : كان ذلك المال من صديقي

ومما يجدر ذكره هنا التناقض في اقوالها عن اتصالها بصديقها . فهي تستطيع ان تراسله او لا تستطيع ان تراسله بحسب مقتضيات الحال . ولكنها لما أجابت الملازم مورنيه بقولها « كان هذا المال من صديقي » بدت في كلامها امارات الغضب ، ولعلَّ ذلك نشأ من كونها قالت قبل لحظة من الزمان مباهية بأن صديقها لم يهبها مبلغاً ما اقل من ٣٠ الف مارك . فرد مورنيه ردًّا جافياً : من صديقك رئيس قلم الاستخبارات السرية في الجيش الالماني . ثم اصبحتِ جاسوسة في خدمة فرنسا . فماذا فعلتِ ؟

— اعطيت رئيس المكتب الثاني من قلم الاستخبارات السرية الفرنسية اسماء الاماكن التي تلجأ اليها الغواصات الالمانية على شواطىء مراكش وقد كان للمعلومات التي قدمتها فائدة كبيرة

— ومن اين حصلت على هذه المعلومات — قال رئيس المحكمة — فاذا كانت صحيحة ، دلَّ ذلك على انك كنت على صلة مباشرة بالعدو . واذا كانت كاذبة دلَّ ذلك على انك تخدعيننا

هنا تضعضعت ماتا هاري وطاش صوابها . فلما حاولت ان تعلل ما لا يعلَّل فاهت بأقوال لا تستقيم على معنى . قالت انها سمعت اسماء هذه الاماكن في مأدبة دبلوماسية كانت قد دعيت

للرقص فيها . ولكنها لا تذكر أين كان ذلك ولا متى سمعته . ولما ادركت ماتا هاري ان ارتباكها وتلجلجها اخذا يؤثران تأثيراً سيئاً في نفوس قضاتها ، استشاطت غضباً وقالت مخاطبة الكولونل سمبرون :

— على كل بذلت لفرنسا ما استطيعه . وقد كانت للانباء التي افضيت بها قيمة تذكر . لست فرنسية . ولست مدينة لفرنسا بشيء . انني امرأة مسكينة ، وانتم كضباط يعوزكم كثير من الكرم والشهامة . فانحنى مورنيه امام ماتا هاري المحتاجة الاجلال يشوبه شيء من السخر وقال : — لتصفح عنا سيدتي . فنحن ندافع عن بلادنا ليس الا . ومما لا ريب فيه ان الجاسوسة اضطربت لهذا الهجوم ولكن بعد هنيهة من التأمل رأت ان تخفي اضطرابها ، تحت ستار قولها الآتي وقد فاهت به بلهجة المتكبر : لست فرنسية ولا المانية بل انا من بنات دولة محايدة . انتم تضطهدونني . وفي صنيعكم ظلم . بل اعيد ما قلته وهو انهُ يعوزكم كثير من الكرم والشهامة . ثم نظرت الى مورنيه دقيقة بنفثة مقلوبة اعربت بها عن احتقارها له ثم قالت متمرمرة : — ان هذا الرجل كريه

فقال الكولونل سمبرون : هدئي روعك يا سيدتي . وبعد فترة قصيرة جمعت فيها امرها المتفرق قال لها : — اعطاك انكابتن ليدو وثيقة عهد اليك في ايصالها الى مندوبينا في البلجيك . فما فعلت بتلك الوثيقة . فلم تجب

فأعاد السؤال مشدداً في وجوب الحصول على جواب قائلاً : اتذكرين ماذا فعلت بالورقة التي عهد اليك في نقلها الى وكيلنا ؟ فقالت لا . وكان جوابها جافياً

ويقول احد اعضاء المحكمة العسكرية ، ان ماتا هاري لم تكن قد تحققت مدى الخطر المحدق بها حتى انتزعت من بين شفتيها تلك اللفظة النافية ، ولو انها قالت انها تذكر ما فعلت بها ، لانهالت عليها الاسئلة الخاصة بها . ولكن المحقق — وكان هذا معروفاً عند المحكمة العسكرية الفرنسية — انها كانت قد بعثت بها الى الالمان في استردام قبل ان غادرت فرنسا . وفي هذه الحالة ، كان النسيان اقوم عذر تعتذر به . ولكن الرئيس لم يقف عند هذا الحد ، بل شرع في اسئلته يهدي ذاكرتها الى الحوادث التي غابت — او ادعت — انها غابت عنها . قال : ان وكيلنا الذي أمرت بالذهاب اليه في البلجيك قبض عليه الالمان في بروكسل بعد ما انقضت ثلاثة اسابيع على مغادرتك باريس ، ثم اعدم رمياً بالرصاص

ومن الواضح ان القضاة كانوا عند بلوغهم هذه المرتبة من المحاكمة ، قد اصبحوا مقتنعين بصحة التهمة الموجهة اليها . ولتأييد اعتقادهم هذا رأوا السيدة المتكبرة الواثقة من نفسها ، وقد تضعضع صوابها ، فصارت تتعثر وتتردد وتتلعثم ، كلما حاول الرئيس او مورنيه ، ان ينتزعا الحقيقة من شفتيها بالاسئلة الموجهة اليها المنطوية على ما يعلمانه . ولكنهما مع ذلك عجزا عن ان ينتزعا منها اعترافاً صريحاً

ثم وجهت اليها المحكمة الاسئلة عن مقامها في مدريد عاصمة اسبانيا : قال احدهم : —

— نزلت في الفندق بمدريد في غرفة مجاورة لغرفة رئيس التجسس الالماني في تلك المدينة

— هذا صحيح

— هذا المندوب البرليني نقدك مالاً وزيارات كثيرة متوالية — وهذا صحيح كذلك

— وتلقيت هدايا منهُ — بكل تأكيد. لانهُ كان عشيقي. قالت هذا وفي كلامها شعور بالثقة

— انت تعلمين ونحن نعلم ان رسائلك الى عشيقك في استردام كانت ممضاة بامضاء ( H 21 )

— فكان جوابها السريع : ليس هذا القول صحيحاً

ويذكر القراء ان ماتا هاري كانت قد سلّمت قبلاً بانها استعملت رمزاً لمراسلة حبيبها : الذي اتفق انهُ كان مدير قسم التجسس الالماني ، وان ذلك ليس ذنبها

— أستميح سيدتي عذراً، ولكن ما تنفيهُ صحيح . والدليل على ذلك هذه الرسالة البرقية التي بعث بها المندوب الالماني في مدريد الى زميله في استردام طالباً مبلغاً من المال لـ( H 21 ) عن طريق سفارة دولة محايدة . عند ذلك كاد يغمى عليها . فانها لما أدركت ان الفرنسيين يملكون نص هذه البرقية ، انهار دفاعها من أساسهِ . ولكنها تمالكت نفسها ثم صاحت : أقول لكم . . . أقول لكم . . . ان ذلك كان ثمن .... ثمن التصالي الوثيق بهِ . هذا هو ثمني . . . . آه يا أسياد فرنسا ... صدقوني . . . كونوا كراماً . فذعر الاستاذ كلونه لاضطراب موكلتهِ وارتجافها ، فنسي عمله كمدافع عن جاسوسة ، واصبح الرجل الكريم الذي يحبُّ ان يدفع عن امرأة جميلة ما يهدّدها ، فقدّم لها زجاجة من الأملاح العطرة وصندوقاً من الشكولاته

فصاحت ماتا هاري في وجههِ : لا حاجة بي الى هذا . لست طفلة . . . سأعتصم بالشجاعة

ثم التفتت الى المحكمة وفي عينيها وانفها المرفوع معاني التحدّي

فقال الرئيس : ولا تستطيعين ان تنكري انك ذهبت الى السفارة وقبضت المال الذي كان الملازم فون كرون (رئيس التجسس الالماني في مدريد ) قد وعد بهِ

— واية فائدة من انكار ذلك ؟ فالملازم فون كرون لم يشأ ان يوفّي ثمن هذا التقرّب بماله الخاص مفضلاً ان يوفّيهُ بمال حكومتهِ

— المحكمة تقبل تفسيرك هذا . فانت تعترفين بان المال جاء من رئيس قسم التجسس الالماني في هولندا ؟

— لا ريب في ان المال جاء من عشيقي في هولندا الذي سدّد من دون ان يعلم دين عشيقي في اسبانيا

فاضطرب الاستاذ كلونه لهذه الاجوبة المضطربة . كيف يستطيع ان يوفق بين قولها ان فون كرون وفّى دينهُ لها بمال الحكومة ، وقولها ان عشيقها الالماني كان يسدّد دين زميله في اسبانيا

عند هذا الحدّ رفعت الجلسة . وفي خلال فترة الاستراحة ، طاف المحامي الشيخ مستطلعاً موقف موكلتهِ في رأي القضاة . فلم يسمع ما يحملهُ على التفاؤل . ولكنهُ لم يقنط . ولما سأل الماجور ماسار قال هذا انها مقضيٌّ عليها . ولكن المحامي ردَّ عليهِ : تريَّث قليلاً حتى تسمع اقوال الشهود . او تريث حتى تسمع دفاعي

فلما اعيدت الجلسة لسماع الدفاع وعرفت ماتا هاري ان بعض اصدقائها من ذوي المقام قد قبلوا ان يدلوا باقوالهم دفاعاً عنها ، استعادت ثقتها بنفسها واخذت تمارس فنون فتنتها . فاخرجت من كيسها القلم الاحمر ودهنت به شفتيها ، واخذت من محاميها ظاقة من الزهر قدمها اليها . ها هي ذي تبسم كأنها تغذي في قرارة نفسها رجاء خفيًا . وها هي ذي تفتح صندوق الشكولاته وتأكل منها بشهية

والشهود اكان في مقدمتهم جول كامبون اول عشاقها عند قدومها الى فرنسا ورئيس الموظفين الدائمين بوزارة الخارجية الفرنسية . كان دبلوماسيًا محنكاً ممتازاً في سلوكه واثقاً من اقواله بارعاً في الاخذ والرد

فقال الرئيس : ولماذا دعوتم هذا الشاهد

فقالت ماتا هاري ، من دون ان تنظر اليه ، ولكن بلهجة كلها اغراء : انهُ يشغل منصباً من اكبر المناصب في الحكومة الفرنسية . انهُ على اتصال بجميع اغراض الحكومة واعمالها الحربية المتوقعة . لقد قابلتهُ بعد عودتي من مدريد . وقد كان اول عشاقي بعد طلاقي . فكان من الطبيعي ان اقابلهُ وان اغتبط لهذه المقابلة . ولقد صرفنا معاً ثلاثة ايام بلياليها قبل القاء القبض عليَّ . وليس عندي اليوم الاَّ سؤال واحد اوجههُ اليه : هل طلبتُ منهُ في حالة من الحالات ، او وقت من الاوقات ، ان يطلعني على شيء مما يعرف . هل توسلت اليه بالصلة الوثيقة بيننا الى اعطائي سرًّا يمكنهُ فردٌ كامبون قائلاً : ان السيدة لم توجه اليَّ اي سؤال من هذا القبيل

فقال المحامي : ترون اذن انها ليست جاسوسة . ولو انها شاءت ان تستطلع الاسرار فما كان عليها الاَّ ان تمدَّ يدها ، فتميط عنها اللثام . فقال الرئيس : ولكن ما كان موضوع حديثكما خلال ثلاثة ايام ، والبلاد في حرب الموت والحياة ؟ ان ذلك لا يكاد يصدق

فقالت : لا يكاد يصدق ! ولكنهُ مع ذلك هو الواقع . لقد تحدثنا في موضوع الفنِّ الهندي

فقال مورنيه : للسلم بذلك . ولكن يجب ان تعترفوا بان المتهمة كانت على جانب وافر من الذكاء مكَّنها من ان تفهم انهُ يتعذر انتزاع المعلومات السرية من الساسة المجرَّبين ، انتزاعها من صغار الضباط الكاري بخمر الحرب ونشوة الحب . ويجب ان تعترفوا كذلك بان صلتها بكبار الموظفين مما يرفع مقامها في اعين الالمان . وقد قيل ان بعض الاوراق التي كتبت ماتا هاري رسائلها عليها لاصدقائها في مدريد واستردام كان من ورق « وزارة الخارجية — مكتب الوزير » . ولا ريب في ان هذه الصلة كانت سبيلها للحصول على الاجر العالي الذي فازت بهِ . ومجرد ظهورها في صحبة السياسي الممتاز الماثل امام المحكمة احاطها بهالة من السلطة والنفوذ مكَّنتها من الشدَّة في مطالبها

ولما سئل الشاهد هل عنده ما يضيفهُ الى اقواله قال : لم يحدث ما يحملني على تغيير رأيي في هذه السيدة . بيد ان امارات الارتياح بَدَتْ على وجههِ لما توقف مورنيه عن الكلام ، كأنهُ كان يخشى ان يتوسع في حديث ليس متصلاً كل الاتصال بعلاقة الصداقة التي كانت تربط بينهما . ومع ذلك ظلَّ السيد الكريم لائهُ عند نزوله من موقف الشهود انحنى لها باحترام وخرج

وكان الشاهد الثاني الجنرال مسيمي وزير الحربية سابقاً . وقد كان واحداً من ضحايا فتنتها وجمالها. ولما كانت تبعاتهُ العسكرية تقضي ببقائهِ في مقرّه العسكري ، بعث بشهادته مكتوبة بعد ما اقسم امام قاضي الجلسة التي كان فيها بصحتها ، وفيها صرّح ان المتهمة لم تسأله مطلقاً اي سؤال لهُ صلة باعمال الحرب ، او يثير ايَّ شبهة في نفسها

ومن المتعذّر ان نسوق الى القراء هنا كلّ ما جاء في اقوال الشهود . بل ان بعض ما قيل سوف يظل مجهولاً الى الابد لانهُ لم يدوَّن لاتصاله بمقام كثيرين من اصحاب المقام

بيد ان المجمع عليه ان جميع الشهود الكبار الذي دعوا للشهادة ، لم يؤخذ عليهم مطلقاً افشاء اسرار الدولة . ولكن صداقتهم كانت على كل حال — كما قال مورنيه — ذات اثر عظيم في مقام ماتا هاري كجاسوسة المانية ومقدار المال الذي تقتدهُ جزاء لها على عملها

وبعد ما سمع الشهود شرع الاستاذ كلونه في دفاعه . فالادلة التي تجمعت ضد المتهمة في خلال المحاكمة كانت مما لا يمكن تفنيده . والاستاذ كلونه لم يحاول ان ينقضه . بل اقتصر في دفاعه ، على التوسل الى القضاء ان يرأفوا بامرأة بارعة الجمال سيقت الى التضحية بجمالها ومواهبها في سبيل الاجرام . فصوَّرها اولاً ، ببلاغته الخلاَّبة ، زوجاً شقية ، وكيف كان زوجها يضطهدها ويسيء معاملتها ان تكسب رزقها من طريق الرقص . ولكن معرفة احوالها الخاصة لم تكن سبيلاً الى الغفران في نظر اعضاء المحكمة . فلما اتم المحامي دفاعهُ اتجه رئيس المحكمة الى المتهمة وسألها هل عندها ما تضيفه الى ما قيل فأجابت سلباً وقالت : — ان محاميَّ قد قال لكم الحقيقة . لست فرنسية . وليس لي حق ان اتصل بصلة الصداقة بأحد من ابناء البلاد الخائضة غمار الحرب ضد فرنسا . ولذلك بقيت على الحياد . ولذلك انا اعتمد على طيبة قلوبكم ايها الضباط الفرنسيون

واختلت المحكمة عشر دقائق فقط . ولما كانت العادة في المحاكم الفرنسية ان لا تقرأ المحكمة الحكم على المتهم ، خرجت ماتا هاري من حرم المحكمة ، عند ما عادت الى الاجتماع . عندئذ اتجه الرئيس الى اصغر الضباط سنًّا وسأله رأيه ، لئلاَّ يتأثر برأي الاعضاء الذين يتقدمونهُ . قال : في قرارة نفسك وخفايا ضميرك ، هل انت مقتنع ان هذه المرأة ارتكبت اثم نقل الاخبار والوثائق الى العدو ، وانها كانت سبباً في موت كثير من جنودنا . فأجاب كلّ من اعضاء المحكمة بدوره « نعم »

ولما اتم الاعضاء توقيع الحكم ، رمى احدهم الريشة من يده وقال : كريه عليَّ الحكم بالاعدام على من كان يملك هذا الجمال ، على مخلوقة على هذا الجانب من الفتنة والذكاء ، ولكن لو اتيح لي لأعدمتها رمياً بالرصاص عشرين مرة . وفي اثناء ذلك كان المحامي الشيخ قد ادرك حقيقة الموقف فقال لموكلتهِ ان تعتصم برباطة الجأش . ولما قرىء الحكم بكى الشيخ من دون خجل . وماتا هاري اهل بكت او اغمي عليها ؟ كلاَّ . بل وقفت هناك هادئة الروح وعلى ثغرها بسمة . فصاح احد ضباط الحرس : يا الهي. انها تعرف كيف تموت !

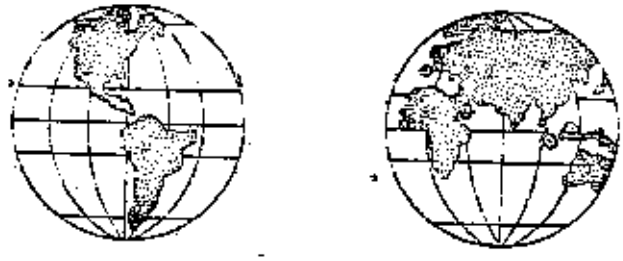

# سير الزمان

## مشكلة وادي النار

تاريخها وملابساتها السياسية والاقتصادية

## الدولة المندمجة

الدولة الفاشية وعلاقة المال بالعمل

الدكتور شاخت

دعامة الرخ الاقتصادية

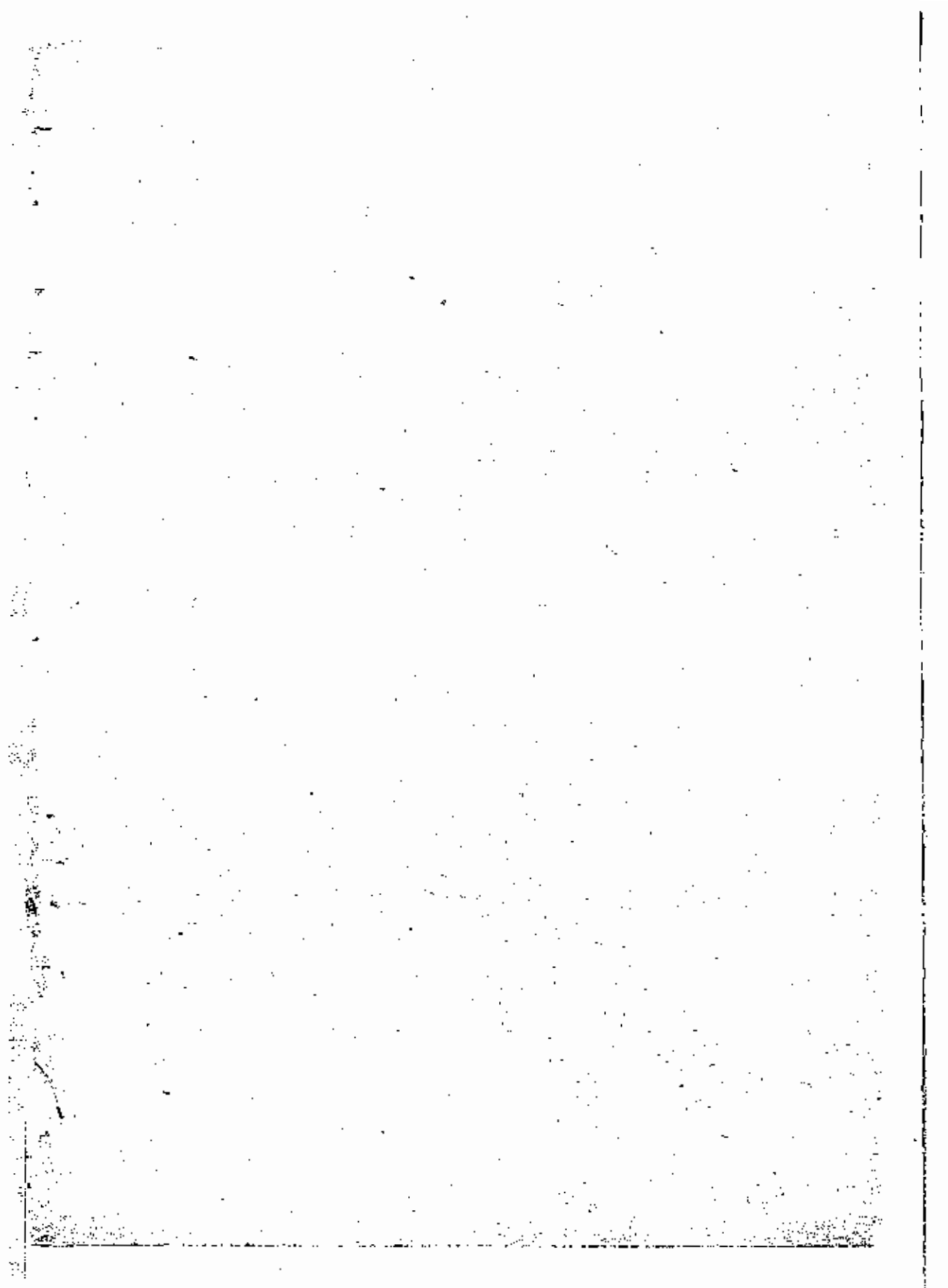

# مشكلة وادي السار

## تاريخها وملابساتها السياسية والاقتصادية

في ١٣ يناير ١٩٣٥ تم استفتاء السار فاختار ما يزيد على ٩٠ في المائة من المقترعين من ابنائه ان يعودوا الى الريخ . وينتظر ان يتم ذلك في أول مارس أو قبله بحسب القرار الذي يتخذه مجلس جامعة الأمم ]

### ما هي مشكلة السار

طلب الفرنسيون في سنة ١٩١٩ ان يعوّضوا من التدمير والتخريب اللذين بليا بهما في شمال فرنسا على ايدي الالمان في الحرب الكبرى . فانشأ ممثلو الحلفاء ، مقاطعة حول نهر السار ، لا شك في المانيتها ، ومنحوا مناجمها لفرنسا تحقيقاً لرغبتها . ونصّ هذه المنحة يجعل الدولة الفرنسية مالكة مطلقة دائمة لمناجم هذه المقاطعة . ثم عهد الى جمعية الامم في الاشراف على حكمها وتعيين لجنة من قبلها لهذا الغرض . واتفق اصحاب هذا القرار على ان يستفتى اهل السار ، بعد انقضاء خمس عشرة سنة على النظام الجديد ، فيختاروا اما البقاء على حالتهم الراهنة او الانضمام الى الريخ او الانضمام الى فرنسا . وهذا هو الاستفتاء الذي تمّ في ١٣ يناير سنة ١٩٣٥ وعرفت نتيجتهُ

ولكن الباحث يسأل عن الباعث على نشوء مشكلة كمشكلة السار . والجواب عن ذلك السؤال مطويّ في نزعة الانسان الى الحرب والكفاح . فاذا أحرز النصر طمع في الاصلاب . وقد تتغير طبيعة الانسان من حيث نظرهُ الى الاصلاب ، فيطلبها في عصر نساء وحظايا وفي آخر ذهباً او موارد للثروة كالمناجم والمصانع . ولكنها اصلاب على كل حال يطمع الظافر في الحصول عليها اذا رأى الى ذلك سبيلاً . ووادي السار من البقاع الاقتصادية التي ترنو اليها الابصار في غرب اوربا . فهو يتاخم المانيا من جهة ومقاطعتي الالزاس واللورين من جهة اخرى ولا تزيد مساحتهُ على ٧٢٦ ميلاً مربعاً . اما سكانهُ فحوالي ٨٠٠ الف نسمة فهو من اكثف المناطق الاوربية سكاناً لانّ متوسط سكان السار في الميل المربّع الواحد ١٠٨٦ نسمة ، يقابل ذلك ٩٠٠ نسمة في الميل المربّع في اكثف مناطق فرنسا سكّاناً . والباعث على ازدحامهِ بالسكان كثرة مناجم الفحم فيهِ ومصانع الحديد والزجاج والخزف . فقبيل الحرب الكبرى استخرج من مقاطعة السار وحدها فحم يعدل نصف ما استخرج من مناجم فرنسا قاطبةً . فالصناعات السارية المختلفة نشأت بحكم الطبع حول مناجم الفحم . حتى اننا لا نجد من جميع سكانهِ الاّ نحو خمسة آلاف فقط يعنون بحراثة الارض وزراعتها

وعلى ذلك كانت مقاطعة السار لقمةً شهيةً ضمع بها الفرنسيون انظارهم في سنة ١٩١٨ — ١٩١٩

بيد ان الفرنسيين لم يشيروا مطلقاً الى السار في التصريحات التي صرحوا بها في خلال الحرب . فتصريحات الحلفاء في دسمبرسنة ١٩١٦ ويناير ١٩١٧ وقرار البرلمان الفرنسي في يونيو ١٩١٧ وبنود ولسن الاربع عشرة ، تنص جميعها على وجوب اعادة مقاطعتي الالزاس واللورين الى فرنسا . ولكنها خلو من اية اشارة الى السار . ولكن هذا لا ينفي ان الفرنسيين كانوا قد بدأوا يفكرون في ضم السار اذا آتاهم الله النصر في الحرب . فالمعاهدات السرية التي عقدت بين الحلفاء في خلال الحرب اشدُّ كشفاً عن حقيقة اغراضهم من تصريحات رجالهم الرسمية . ففي فبراير ومارس سنة ١٩١٧ عقدت فرنسا وروسيا اتفاقاً سريًّا ، منحت بمقتضاه الاستانة لروسيا ، والالزاس واللورين ومنطقة الفحم في السار لفرنسا . وقبل ذلك بشهر واحد كان الوزير بريان Briand قد كتب الى السفير الفرنسي في لندن في هذا المعنى . قال انهُ لابدَّ من اعادة الالزاس واللورين الى فرنسا بحدودها سنة ١٧٩٠ وهي حدود تجعل وادي السار جزءًا منها . بل ان طائفة من الرجال غير الرسميين تمادوا في الطلب فقالوا ان فرنسا خسرت لحم السار في سنة ١٨١٥ وحديد اللورين في سنة ١٨٧٠ فتفقدت بذلك مكانتها الاقتصادية ، وانهُ في سبيل استعادة هذه المكانة لابدَّ من مدّ حدود فرنسا حتى نهر الرين نفسه

فلما التأم مؤتمر السلام كان رائد الفرنسيين مطالبهم السرية لا تصريحاتهم العلنية . وفي مارس سنة ١٩١٩ اطلق كلمنصو قنبلتهُ الاولى على مؤتمر فرساي اذ طلب ان تجعل حدود فرنسا ما كانت عليهِ سنة ١٨١٤ (وهذا يعني دخول السار ضمن هذه الحدود) وان تمنح حق الارتفاق من مناجم الفحم وراءها . لذلك نرى ان مشكلة السار كان لها وجهان من يوم ولادتها . أما الوجه الاول فمصير المناجم وأما الثاني فحالة المقاطعة السياسية

فخشي لويد جورج وولسن ، ان يفضي التسليم بطلب كلمنصو ، الى انشاء مشكلة جديدة كمشكلة الالزاس لورين ، تكون من البواعث على الحرب في المستقبل بين المانيا وفرنسا ، فعارضا في مقترحه . قالا انهما لا يريان مانعاً يمنع استيلاء فرنسا على مناجم الفحم ، ولكن السار يجب ان يمنح استقلالاً سياسيًّا على الاقل . فلما عجز المؤتمر عن حلّ العقدة عيّنت لجنة لدرس الموضوع ووضع حلّ وسط . وكان ممثل فرنسا في هذه اللجنة أندريه تارديو ، ابن كلمنصو الروحي ، وكان ممثل بريطانيا رجل يدعى هدلم موردلي . أما ممثل الولايات المتحدة الاميركية فكان الاستاذ هاسكنز أحد اساتذة جامعة هارفرد المعروف بنزعتهِ الفرنسية . فاستقرّ قرار اللجنة على ان حق استغلال المناجم يجب ان يمنح لفرنسا . وأما حكم المقاطعة فيجب ان يعطى لمجلس محايد أو دولي

فلما صدر قرار اللجنة استعمله كلمنصو في سبيل الغرض الذي يرمي اليهِ . ذلك ان ولسن لم يكن يشاطر الاستاذ هاسكنز حماسته في سبيل منح السار لفرنسا ، ولكنهُ كان معنيًّا شديد العناية

بانشاء جمعية الامم ، وكان كلمنصو يدرك هذا ، فاقترح في الحال ان يعهد الى جمعية الامم في حكم السار وأرضى بذلك ولسن وفاز بموافقته

فلما كتبت معاهدة ڤرساي ، نص فيها على ان فصل مقاطعة السار عن المانيا لن يكون مطلقاً ، بل يجري استفتاء فيها سنة ١٩٣٥ يتقرر مصير البلاد بحسب نتيجته التي يسفر عنها، وتكون السيادة على البلاد في خلال هذه المدة ، لجمعية الامم . وتباشر جمعية الامم هذه السيادة عن طريق لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء تكون مسئولة امام جمعية الامم دون غيرها ولا يمثل سكان السار في الريخستاج في خلال ذلك . هذا من الناحية السياسية . اما من الناحية الاقتصادية فان مناجم المقاطعة ، وكانت من قبل ملكاً في الغالب للدولة الالمانية، فتصبح ملكاً مطلقاً من اي قيد للدولة الفرنسية . فاذا استقر قرار الشعب الساري في استفتاء سنة ١٩٣٥ على العودة الى الريخ وجب على الريخ ان يبتاع المناجم من فرنسا وان يدفع الثمن ذهباً

## دواعث المشكلة السياسية

قامت سياسة فرنسا الخارجية في سنة ١٩١٩ وما بعدها ، على وجوب السعي الى ضمان سلامة البلاد من غزوة المانية تالية . والسلامة يمكن ان تضمن باساليب مختلفة ، لم يكن ضم انسار احدها. وسوف يرى القارىء في صفحة اخرى من هذا المقال ان مناجم السار منحت لفرنسا ، لأن الاساليب الاخرى المقترحة لم تحقق الغرض المنشود. ولكن فرنسا تطلب ضماناً لسلامتها. وهو طلب قائم على الرغبة في التحصن ضد الغزو لا على الرغبة في بسط سيادة فرنسا على اوربا . ففي ربيع سنة ١٩٣٤ وقف المسيو دومرغ — رئيس وزارة فرنسا حينئذ — يطلب ان تزاد الاعتمادات الخاصة بالدفاع القومي. فأشار في خطبته ، من دون تكلف او كبرياء الى ما خبرته فرنسا من ويلات الحرب اذ قال « لقد شهدت في حياتي حربين » . فكانت هذه الاشارة كافية لفوز المقترح بأكثرية الاصوات . وثمة طائفة كبيرة من الفرنسيين تستطيع ان تقول قول دومرغ ، ذاكرة ان الالمان غزوا فرنسا في خلال حياتهم مرتين . وهذه الذكرى جانب اساسي من تفكير فرنسا السياسي . فتجاهله في نظرهم ليس سخاء وكرماً بل هو حمق ما بعده حمق

وقد كانت بريطانيا ترى رأي فرنسا في هذا الصدد ، فطلبت ما يضمن لها عدم تجدد الخطر الالماني الذي كان يهددها قبل الحرب . ولكنها حصرت مطالبها في ما يختص بالاسطول والمستعمرات ، ففازت بأهم المستعمرات الالمانية ، ودمرت كذلك اسطولي المانيا الحربي والتجاري من دون ان تلقى مقاومة ما

ولكن فرنسا لم تكن في المقام الجغرافي الذي يمكنها من تحقيق مطالبها من دون ان تثير ضجة حولها . فالضمانات التي طلبتها كانت محصورة في منطقة نهر الرين ، ولهذه المنطقة مكانة كبيرة في

السياسة الدولية. يضاف الى ذلك ان بريطانيا حققت مطالبها اولاً ، وبعد ذلك صار يصعب على المانيا ان تسلم بأكثر مما سلّمت به بمن دون ان تقاوم وتعترض . وادرك كلمنصو هذا ، ولكنهُ ادرك في الوقت نفسهِ ، انهُ اذا نكثت المانيا عهودها ، وجب على فرنسا دون غيرها ، ان تتحمل معبّة ذلك . ومن هنا تشدّده في وجوب حصول فرنسا على الضمانات الكافية لسلامتها . وقد افرغ طلب هذه الضمانات اولاً في اقتراح مؤداهُ انشاء دولة محايدة مستقلة استقلالاً ذاتياً على ضفة الرين اليسرى تمتد من الجنوب الى الشمال على حدود فرنسا ولكسمبورج وبلجيكا وهولندا. ونحن نجد نواة هذا الاقتراح في المعاهدة السرية التي عقدت بين فرنسا وروسيا في خلال الحرب وفي مناقشات لجنة الشؤون الخارجية الفرنسية وفي مقترحات المارشال فوش . ولكن لويد جورج وولسن رفضا ان ينظرا في المشروع . فما شجر الخلاف ، كان الاتفاق وسطاً بين الرأيين فتقرر ان تحتلّ البلاد الواقعة على ضفة الرين اليسرى مدى خمس عشرة سنة ، وان تنزع جميع الاستحكامات الحربية منها علاوة على نزعها من منطقة عرضها ٥٠ كيلو متراً على ضفة الرين الجنى . ووعدت المانيا ان لا تحشد ذخيرة الحرب مطلقاً في هذه المنطقة

***

كان طمع فرنسا في السار مطويّاً في اقتراحها انشاء دولة مستقلة محايدة على ضفة الرين اليسرى . فلما اخفق هذا الاقتراح اصبح لوادي السار شأن خاص بحد ذاتهِ . لأن الفرنسيين رأوا ان ضمّ السار يضعف الى مدى بعيد من قوة المانيا ، لأن قوة الدول الصناعية الحديثة مرهون بثروتها الطبيعية وفي مقدمة هذه الثروة مناجم الفحم والحديد . ولا يخفى ان فرنسا فقيرة بمناجم الفحم . فعودة مقاطعة اللورين اليها — واللورين غنية بمناجم الحديد — تجعل حاجتها الى الفحم اشد مما كانت ، لان مقاطعتي الالزاس واللورين تستهلكان ما متوسطهُ ١٨ مليون طن من الفحم في السنة ولا تنتجان الاّ اربعة ملايين طن . فرأت فرنسا الفرصة سانحة لزيادة ثروتها على حساب العدوّ المقهور ، فطلبت مناجم السار كما طلبت بريطانيا ضم مستعمرات المانيا وتدمير قواها البحرية

والبواعث الاقتصادية في طلب ضم السار ، متصلة اوثق اتصال ببواعث السلامة والرغبة في ضمانها . فقد وضعت معاهدة فرساي على قاعدة تفوّق الناحية الاقتصادية في الحياة القومية والدولية . وعلى هذا الاساس سوّغ طلب ضم السار . فمنطقة الالزاس واللورين والسار ، وحدة اقتصادية لا يمكن فصم عراها . في السار فحم وفي اللورين حديد وليس بين البلادين الاّ ثلاثون ميلاً . ففصل احداهما عن الاخرى ، ليس في مصلحة هذه ولا في مصلحة تلك . ثم ان السار منطقة صناعية لا يعنى من سكانها بالزراعة الاّ ستة في الالف . واما الالزاس فغنية بالمحصولات الزراعية . فالتبادل التجاري بين البلاد طبيعي مرغوب فيهِ . نعم ان منطقة الالزاس واللورين كانت مفصولة عن منطقة السار قبل سنة ١٨٧٠ ولكن ذلك كان قبل ان دخلت الصناعة الى وادي السار اذ كان سكانهُ ربع

ما هو الآن وجل اعتمادهم في رزقهم حينئذٍ على حرث الارض وزرعها. فلما دخلت الصناعة هذه البلاد كانت الحرب البروسية الفرنسية قد انتهت واصبحت منطقة السار جزءًا من الوحدة الاقتصادية المؤلفة من الالزاس واللورين والسار. فالتقدم الاقتصادي الذي اصابتهُ هذه البلاد بين سنة ١٨٧٠ و١٩١٤ اصابتهُ كوحدةٍ غير متجزئة. ولذلك طلب الفرنسيون — وقد اعيدت اليهم الالزاس واللورين — ان تبقى هذه الوحدة غير مجزئةٍ كذلك. ففحم السار سواء كانت السار جزءًا من المانيا ام جزءًا من فرنسا: يحتاج الى حديد اللورين وحديد اللورين يحتاج الى فحم السار

***

ثم ان للمسألة وجهاً ثالثاً. ذلك انَّ سنابك الالمان اجتاحت شمال فرنسا في خلال الحرب الكبرى وشمال فرنسا من اهم المناطق الصناعية فيها. فاجتياح الالمان له دمّر معظم معالمهِ ومناجمهِ، وقد قدّر المال الذي انفقتهُ حكومة فرنسا على ترميم هذه المنطقة باربعة آلاف مليون جنيه. اما المانيا فاعترفت بانها دمّرت المصانع والمناجم عمداً وسلّمت بعدل التعويضات. وقد اتفق الفريقان على مبدإ التعويضات، ولكنهما اختلفا على المبلغ وطريقة توفية نقداً وعيناً. كان لابدَّ لالمانيا من توفية جانبٍ من مال التعويض بالذهب. ولكن فرنسا طلبت ان تكون توفية الجانب الآخر عيناً اي بمنح البلدان التي يحق لها التعويض مقادير من الفحم والحديد وغيرهما من الوان الثروة الطبيعية. وعلى هذا الاساس طلبت فرنسا ان تُمنح مناجم السار. وقد اثبت الاختبار ان تعويض العين كان اجدى من تعويض المال. ذلك ان فرنسا كانت قد ضمنت لابنائها كلَّ خسائرهم التي نشأت من الحرب نفسها. ففي سنة ١٩٢٢ كانت الحكومة الفرنسية قد اعطت ابناءها المستحقين نحو مائة مليون جنيه لترميم ما دُمّر من املاكهم في المنطقة التي اجتاحتها الجيوش. ولكنها حتى اول مايو سنة ١٩٢١ لم تكن قد استوفت شيئاً من مال التعويض. وفي سنة ١٩٣١ الغي نظام التعويض بتاتاً. فكأن فرنسا انفقت على ترميم اراضيها المجتاحة من مالها الخاص

يضاف الى ذلك الباعث التاريخي، وهو ان فرنسا ترغب في جعل نهر الرين حدَّها الشرقي، فاحرزت اقساماً متفاوتة من النجاح في تحقيق هذا الغرض على ايام ريشيليو ولويس الرابع عشر ونبوليون. وها هوذا كلمنصو يحاولهُ من جديد. ألا ترى اليهِ وقد خاطب ولسن قائلاً: «انك تحاول ان تنزع من المباحثات السياسية الشعور والذاكرة. فالعالم لا يحكَم بالمبادىء المجرَّدة دون غيرها... والمصالح الاقتصادية ليست كلَّ شيء... ان المسألة التي قيد البحث ليست مسألة التعويض المادي فقط.. لان الحاجة الى التعويض المعنوي لا تقل عنها خطراً..» وادعى كلمنصو ان ١٥٠ الفاً من الفرنسيين في السار يطلبون ضمَّ هذه المقاطعة الى فرنسا مع ان المتكلمين باللغة الفرنسية في السار في سنة ١٩١٠ كانوا لا يزيدون على ٣٤٢ نسمة. وقد اثبت الاستفتاء الاخير ان ٤ في الالف فقط اقترعوا في جانب الضمّ الى فرنسا

انسار بعد المعاهدة

كان شعور السارين ، بعد وضع المعاهدة ، شعور الاطفال انتزعوا من حضن امهم فاعتقدوا ان حكم جمعية الامم او حكم لجنتها ليس الا ستاراً لحكم فرنسا . ومع ما اسبغوه من الاقبال والرخاء الاقتصادي بين المعاهدة والاستفتاء ، لم يرضوا بهما ولم يجهروا الا بتبرمهم

ومما يؤسف لهُ ان طريقة الحكم في بضع السنوات الاولى بعد عقد المعاهدة ، مكنت هذا الشعور في نفوس السارين . ففي الفترة التي انقضت بين نوفمبر ١٩١٨ وفبراير سنة ١٩٢٠ — وهو التاريخ الذي تسلمت فيه الجمعية مقاليد الحكم في السار — كانت المقاطعة محتلة احتلالاً عسكريًّا فرنسيًّا فالغيت في خلال ذلك الحقوق المدنية والسياسية وحدثت عدة حوادث بين اهالي البلاد وبعض الجنود . فلما تسلمت اللجنة الحاكمة الاولى مهام الحكم في فبراير سنة ١٩٢٠ انتهى الاحتلال الفرنسي ولكن ظل شبح السيادة الفرنسية مبسوطاً على البلاد . كان رئيس اللجنة فرنسيًّا يدعى رو Rault وكان معظم اعضاء اللجنة يميلون الى فرنسا . وكان لبنوك باريس حصص كبيرة في معظم صناعات البلاد . ولما كانت فرنسا تملك المناجم اضطرت الصناعات المختلفة ان تعنو للسيادة المالية الفرنسية الا صناعتان منها . واذن كان شعور السارين حينئذ في محله وهو ان حكم جمعية الامم ليس الا ستاراً لسيطرة فرنسا

وعلاوة على ذلك كانت المعاهدة قد نصَّت على ان السار بلاد مستقلة عن المانيا . فالغت اللجنة الحاكمة العلم الالماني وصنعت علماً جديداً خاصًّا بالمقاطعة ، وبدلت الختم الامبراطوري الالماني بختم جديد ، وطبعت طوابع بريد جديدة لتستعمل محل الطوابع الالمانية . فلقي كل ذلك معارضة شديدة من الاهلين . لان هذا الابدال كان في نظر اعضاء اللجنة مجرد تغيير شيء بآخر واما في نظر السارين أنفسهم فكان بتًّا للصلة بينهم وبين المانيا . فالساريون كانوا المانًا وكانوا يباهون بهذا . فكل محاولة رُمِيَت الى احاطة البلاد بمظاهر الاستقلال الذاتي لم تخرج في نظرهم عن كونها محاولة لجعلهم فرنسيين او ايطاليين . ولو ان اللجنة كانت مؤلفة من ملائكة لما رضي الساريون عنها لانهم ملائكة غير المان

هذا الشعور المتغلغل في نفوس السارين واذهانهم ، حملهم على اغفال الفوائد التي جنوها من حكم جمعية الامم . ففي الربع السابق للحرب ، كان المقام الاول لفحم الزور لا لفحم السار . وكان السبق لمنتجات وستفاليا لا لمنتجات السار في الاسواق الالمانية . ولكن الفرنسيين ادركوا من البدء انهم لا يستطيعون ان يفوزوا بولاء الاهلين الا اذا مهَّدوا للسار سبيل الرخاء . لذلك ازيلت العقبات التي تحول دون رواج فحم السار ومنتجاته في المصانع الفرنسية والاسواق الفرنسية . ومع ان الازمة العالمية أثرت في رخاء الاهالي في بضع السنوات الاخيرة ، الا أنهم جنوا فائدة تذكر من دخولهم ضمن النطاق الجمركي الفرنسي . ومما لا ريب فيه ان الازمة كان لها أثر في المانيا اعظم منهُ في فرنسا . فكان هذا الضمّ الجمركي كان جزيل الخير على السارين

يضاف الى ذلك ان نقابات العمال ازدهرت في عهد جمعية الامم . مع ان انشاءها كان ممنوعاً في عهد الامبراطورية ، وعاد ممنوعاً بعد تسلم هتلر لمقاليد الحكم . ومن الفوائد التي اصابها السار ان تقدم بعد الحرب كان على أساس الفرنك وتقلب الفرنك كان أقل جداً وأيسر من تقلب المارك

فالساريون قلما أشاروا الى ما جنوا ولكنهم كثيراً ما جهروا وجأروا بنواحت تبرمهم . وفي مقدمتها استعمال الجندرمة الفرنسية . نعم ان جيش الاحتلال الفرنسي نقص رويداً رويداً بعد سنة ١٩٢٠ ولكنه لم يذهب تماماً ، ومن بقي منه اطلق عليه اسم «بوليس سكك الحديد» . ذلك ان اللجنة الحاكمة الاولى تلكأت في استبدال رجال الجندرمة من الساريين نفسهم لأن رو Rault رئيسها كان يرى انه من المتعذر وجود بضعة ألوف من الساريين موالين لنظام الحكم الجديد يمكن الاعتماد عليهم . فساء هذا الساريين واضافوا اليه تبرمهم بالنفقات الطائلة التي لا قبل لهم بها . ولما كانت اللجنة الحاكمة تحمل تبعة المحافظة على الامن العام رفضت ان تغامر مغامرة قد تسوء عقباها . على كل كان لبقاء بعض الجنود الفرنسيين أثر غير محمود في نفوس السكان

ومما شكا منه الساريون عدم اشتراكهم اشتراكاً فعلياً في الحكم ، مع ان نصيبهم فيه بعد الحرب ، كان أعظم جداً من نصيبهم فيه قبلها . ذلك ان معظم كبار الموظفين في السار قبل الحرب كانوا ألمانا من برلين . فلما تولت لجنة جمعية الامم الحكم استغنت عن خدمات هؤلاء لاضعاف النفوذ الالماني من جهة ولارضاء الساريين من جهة ثانية بتعيينهم في المناصب الشاغرة . ولكنهم ما كادوا يعطون هذا حتى طلبوا المزيد . فلما رأت اللجنة انشاء برلمان استشاري لهم مؤلف من ثلاثين عضواً ينتخبون بالاقتراع العام ، كان اول مطلب طلبه البرلمان حق اقتراح التشريع ، واستجواب الحكومة ، والتمتع بالحصانة النيابية

وبلغت المرحلة الاولى في حكم السار بحسب النظام الجديد ، ذروتها في سنة ١٩٢٣ اذ استفحل التبرم وكان الباعث المباشر عليه احتلال فرنسا الرور ، فاضرب عمال مناجم السار اضراباً دام مائة يوم ، عطفاً على اخوانهم في الرور . فاتخذ رو رئيس اللجنة الحاكمة وسائل شديدة لمعالجة الحالة فضيق على الحريات وقرر ان يستدعي الجنود الفرنسية اذا اضطرب حبل الامن

هذه الحوادث نبهت بريطانيا الى ما هو جار في مقاطعة السار ، وكانت حتى ذلك الوقت مرخية العنان لفرنسا قبها . فطلبت الحكومة البريطانية تعيين لجنة للتحقيق في اعمال اللجنة الحاكمة في السار فظهر ان جمعية الامم لم تمارس في خلال السنوات الثلاث التي انقضت على لجنة «رو» اية سيطرة على اعمال اللجنة وان رو نفسه كان مسيطراً على اللجنة ، بل انه قرر تنفيذ خطط جديدة احياناً من دون ان يستشير زملاءه . فكان من أثر هذا التحقيق ان جعل رو يستشير زملاءه في كل اعماله . وقد ظل في منصبه هذا الى سنة ١٩٢٦ لما عين ستيفنز الكندي رئيساً ثم تبعه السر جفري نوكس الانكليزي وهو لا يزال رئيساً الى الآن

وقد كان الجانب الاخير من رآسة رو ورآستي ستيفنز ولوكس عهد سلام واقبال . ففي الناحية الواحدة كان الساريون قد تعوّدوا نظام الحكم الجديد ومع ان معارضتهم لم تضعف الاّ انها فقدت لذعها الاول . ثم ان اللجنة نفسها فقدت رويداً رويداً خضوعها للنفوذ الفرنسي ، لان الرئيسين اللذين خلفا رو كانا انكلوسكسونيين ، وضعفت في هذا العهد الدعاية الفرنسية في المدارس وتقص الجنود الفرنسيون الباقون في البلاد رويداً رويداً حتى خرج آخرهم من البلاد في سنة ١٩٣٠ وفي بداءة سنة ١٩٢٧ بدأ الماليون الفرنسيون يبيعون حصصهم في الصناعات الساريّة فمهدوا بذلك السبيل ليكون الحكم حكماً محايداً على قدر المستطاع . وفي خلال هذه المدة حلّ التقارب بين فرنسا والمانيا الذي عقده بريان وتشرزمان في لوكارنو . وفي سنة ١٩٢٩ اخذ تشرزمان وبريان يبحثان في امكان بيع مناجم السار لالمانيا ، ولكن ارباب الصناعة في الرور لم يرقهم هذا فكان الثمن الذي عرضهُ تشرزمن على فرنسا اقل كثيراً مما يمكن قبولهُ

فلما تسلم هتلر مقاليد الحكم في المانيا ، تعقدت الحالة ، لان حلّ هتلر لنقابات العمال حمل الاشتراكيين الساريين على التفكير في الدعاية الى ابقاء الحالة الراهنة . وظنّ بعض الكتّاب ان النزاع الديني في الريخ ، لا بدّ ان يحمل الكاثوليك من الساريين ، وهم اكثرية ، على مقاومة العودة الى حظيرة الريخ . وبلغت المسألة اعقد ما يكون في صيف ١٩٣٤ اذا اشتدت الدعاية النازية في السار فطلب رئيس اللجنة قوة دولية للاشراف على حفظ الأمن في البلاد . فأفضى هذا بعد مفاوضات طويلة الى انشاء القوة الدولية وانتظام بريطانيا فيها . فكان هذا القرار خير مخرج للدول من مسألة كادت تتفاقم حتى رأى بعضهم شرر الحرب متطايراً منها

### بعد الاستفتاء

لما اقترب ميعاد الاستفتاء أفتى كثيرون من الكتّاب المطلعين على دقائق الحالة في السار ان المانيا لا بدّ فائزة باكثرية كبيرة . ولكن احداً منهم لم يبلغ في تقديره حدّ التسعين في المائة او تزيد التي نالتها المانيا حقيقة في الاستفتاء . وهذه الاكثرية الكبيرة تهوّن على جمعية الامم اتخاذ القرار النهائي في اعادة السار الى الريخ . ذلك انهُ لو كانت نتيجة الاستفتاء مثلاً ٦٠ في المائة في جانب المانيا و٤٠ في المائة في جانب الحالة الراهنة ، لاضطرّت جمعية الامم ان تقيم في القرار الذي تتخذه وزناً لهذه الاقلية الكبيرة ، وقد يحملها ذلك الى شطر السار ، وهذا لا ريب يقيم المانيا ويقعدها وهو مما لا يطرب لهُ محبّ السلام . ففوز المانيا بهذه الاكثرية الساحقة كان في مصلحة السلام وقد اعترف المسيو فلاندان رئيس وزراء فرنسا بذلك فقال « ان نتيجة استفتاء السار انتزاع للسلام » . وردّد الهر هتلر من ناحيته ما قالهُ قبلاً وهو انهُ بعودة السار تصفّى آخر المسائل المعلقة بين فرنسا والمانيا مما يخص الحدود بين البلادين . وينتظر ان يسلّم السار لالمانيا في اول مارس ١٩٣٥

# الدولة المندمجة

## الدولة الفاشية وعلاقة المال بالعمال

ليس مثل الازمات كاشفاً لمواطن الضعف في النظام الديموقراطي . ان حسناته تبدو جلية بهية في ايام السلم والرخاء اذ يسهل حفظ الشعب مكتفياً قنوعاً بحكومته راضياً عن حاله . ذلك ان الرخاء يفحم النقاد ويحمل المنتخبين على تأييد اية زعامة ، او القناعة بغير زعامة على الاطلاق . ولكن اذا وقعت امة وظهرها الى الجدار — على حد تعبير الانكليز — تدفع عن كيانها في حرب ، او عن وحدتها في ثورة ، او اذا ارتج كيانها الاقتصادي وتقلقل حتى كاد يهوي ، بدت مواطن الضعف حينئذ في الفلسفة الديموقراطية كأساس للحكم

لذلك نرى ان الديموقراطية في اوربا بعد الحرب ، في دور جزر ، ولا تفسير لذلك الا ان الاضطراب والقلق اقلقا كاهل النظام الرأسمالي ، فضاق الناس به ذرعاً ولا مفرّ الا الى الشيوعية والاشتراكية حتى جاء موسوليني فأدخل الفكرة الفاشيّة رويداً رويداً ، وهو يتطور معها ويطورها بحسب حاجة البلاد محتفظاً بتمثيل الشعب ، ولكن محولاً معنى التمثيل ، من معنى المعنى . فقد كان في البدء المثل الذي يرنو اليه الديموقراطية ، هو اطلاق حق الاقتراع ، لجميع البالغين والبالغات ، واما « الدولة المندمجة » او « الدولة النقابية » التي يرنو اليها موسوليني ، فلا يلغي التمثيل من نظامها ، وانما يكون تمثيلاً لاصحاب المصالح الاقتصادية في البلاد

وقد عني موسوليني من يوم تقلده لازمّة الامور في بلاده ، ببيان انفصاله في نظامه الجديد ، عن صورة الدولة التي كان يرسمها الاحرار في القرن التاسع عشر . فالاختلاف بين الاحرار والاشتراكيين كان اختلاف « كمّ » اما الاختلاف بينهما من ناحية وبين الفاشية من ناحية اخرى فهو اختلاف « نوع » . ذلك ان الاحرار كانوا في القرن التاسع عشر يعتقدون ان الدولة يجب ان لا تتدخل في ميدان الاعمال الا اذا كان لا بدّ من ذلك ، لاضطراب الحالة وتفاقم الاضطراب ، وان على الحكومة ان تترك ميدان الاعمال حرًّا ، لتزاحم القوى القومية وتنافسها تنافساً حرًّا ، وان هذا التنافس الحر هو سرّ التقدم القومي والباعث على الرخاء . اما الاشتراكي وهمّهُ الاول متجه الى العامل اليدوي ، فيرى ان الدولة نفسها يجب ان تدير الاعمال والمرافق العامة وانها يجب ان تعمد في استعمال سلطتها الى القوة اذا لزم الامر ، في مصلحة طبقة خاصة دون غيرها من طبقات الشعب

وكلتا المدرستين — مدرسة الاحرار ومدرسة الاشتراكيين — تحسب الدولة فكرة مجردة لا نظاماً يحسّ فيه رجل الشارع والعامل البسيط والفلاح الساذج ، بأنهم اجزاء منهُ

وليس من السهل او اليسير ان نضع تعريفاً جامعاً مانعاً للفلسفة الفاشية ، وانما يمكن اجمالها بقولك « كل فرد للدولة والدولة للجميع » . فليس ثمة عمل من اعمال الدولة في نظر موسوليني لا يصح ان يكون موضع عناية كبيرة عند الدولة الفاشية ، بل يجب على الدولة ان تنظم اعمال ابنائها لكي يجنوا اكبر قدر يمكن جنيه من جهودهم ، ولكي تتجه جهودهم في النواحي التي تفيد الامة جمعاء . فالفاشية ترمي الى اندماج الدولة حتى تخرج الامة من البوتقة وحدة مندمجة كأنها جسم حي . انها ترمي الى ان توحد بين الامة والفرد ، وان تضم تحت جناحي الدولة كل فرد وكل عمل فالفاشية تنكر وجود كائن دولي وراء الدولة . والدولة القومية هي في نظرهم الوحدة العليا ولها الحق في ان تطلب وتنتظر من كل فرد من ابنائها ولاءه التام . والطبقات في هذه الدولة لا يعترف بها الا اذا كانت تقوم بوظيفة من وظائف الدولة اي انها تمثل او تقابل العضو في جسم الانسان . ولما كانت اعضاء الجسم مندمجة متحدة متناسقة في عملها ، ومتجهة نحو غرض واحد هو اتساق الحياة الفردية ، كذلك الطبقات في الدولة يجب ان تندمج وتتحد وتتجه في عملها نحو غرض واحد هو اتساق الحياة القومية . والبرلمان الذي يمثل هذه الطبقات ، هو البرلمان الذي يرمي موسوليني الى انشائه

ان الدولة الفاشية تعترف بوجود نقابات العمال . ولكنها تنكر علاقة اية نقابة بالمذهب الماركسي ، لان كل نقابة يجب الا تتعدى في ولائها حدود الدولة . وهي تعترف في الوقت نفسه بجماعات اصحاب العمل ، اعترافها بنقابات العمال ، كما تعترف بكل الجماعات القائمة على اساس من وحدة العمل . واعترافها هذا ليس مطلقاً بل له شروط اي انها لا تعترف بنقابة عمال او بجماعة تجار ، ن لهذه النقابة او لتلك الجماعة حقوقاً ضد الدولة ، بل هي تعترف بها الى مدى حاجة الدولة اليها في بناء نظامها المندمج . لذلك ترى النقابة المعينة ، والجماعة الخاصة ، من ابناء الامة اجزاء حية ، او اعضاء حية على الاصح ، في جسم الدولة ، وعلى كل منها تبعة خاصة ، خاضعة لسيطرة الدولة وتنظيمها

فالنقابة قد تسعى الى رفع اجور العمال وتحسين احوالهم المعاشية ، وجماعة اصحاب العمل ، قد تميل الى خفض الاجور ، ولكن كلتا النقابة والجماعة ، يجب ان تخضع لحكم الدولة ، التي لا تسمح ببلوغ النزاع بين الفريقين مبلغاً يهدد سلامة الدولة . فالتحكيم الاجباري في شؤون الصناعة ، فكرة اساسية في الدولة الفاشية

***

من اغرب مظاهر الموقف الذي يقفهُ الاغراب نحو موسوليني ونظامهِ الجديد ، تباين النظر واختلاف الرأي في حكمهم عليهِ . فطائفة من المحافظين الغلاة في محافظتهم ، يحترمونهُ ويحاولون ان يسيروا في اثرهِ . وهم لو عاشوا في ايطاليا لانحوا في الغالب على حكومتهِ واتهموهُ بالاشتراكية . فكأنهم لا يدرون مثلاً ان صاحب مصنع في ايطاليا لا يسعهُ ان يستغني عن عامل ما الا اذا ثبت لمكتب « تخديم العمال » ان اخراجهُ ضرورة اقتصادية . او انهُ مقصّر . ثم هناك طائفة من اتباع

الاشتراكية وزعمائها ، والاشتراكية معتقدهُ القديم ، لا يجدون من عنيف القول ما يكفيهم في تصوير مساوىء النظام الفاشي . ثم لو درسوا لوجدوا ان معظم المقترحات العملية في برنامجهم الاقتصادي، قد تناولها موسوليني وطبقها في الدولة الفاشية . فموسوليني رجل عملي ، ولا يرهب الالفاظ التي توسم بها الاحزاب ، ولذلك تراهُ اخذ من اليمين ومن اليسار كلَّ ما رآهُ صالحاً لغرضهِ ، ويسهل نقلهُ من حيز الفكر والامكان الى حيز الفعل والتطبيق

وقبل ان نذكر اهم ما اشتمل عليهِ « دستور العمل » في ايطاليا الفاشية لا بدَّ من ذكر كلمة عن حالة ايطاليا ، لما اقدم موسوليني على تنفيذ خططهِ الجديدة ، التي اضافت ولا ريب ، شيئاً جديداً الى فلسفة الانظمة السياسية ، بجمعها بين السياسة والاقتصاد في صعيد واحد

فنحن اذا نظرنا الى ايطاليا من الوجهة الاقتصادية وجدناها امة الزارع الصغير، والصانع الصغير، وصاحب الدكان الصغير . ففي الاعمال التجارية قلما نجد المخازن الكبيرة التي نجدها في لندن وباريس ونيويورك ولا الشركات التي تدير سلسلة من المخازن الكبيرة في العاصمة وسائر المدن الايطالية . بل قلما نجد رجلاً واحداً يملك مناطق واسعة من الارض الاَّ في الجنوب . ومعظم الملاك لا يعدو ما يملكه أحدهم ان يكون حقلاً أو بستاناً صغيراً . فشعب يتسم نظامهُ الاقتصادي بهذه السمة ، قلما يكون مرتعاً خصباً للرأسمالية او للشيوعية . فهذه الناحية من حياة الامة الايطالية ، كانت تربة صالحة للفاشية ، فأرسلت جذورها في الارض وفروعها في السماء . ذلك ان الفاشية ترمي الى تعزيز المجهد الفرديّ الصغير ، من دون ان تسمح للنزعة الفردية بالاستفحال حتى تهدّد وحدة الدولة بالانقسام . ولا ريب في ان تحقيق أغراض موسوليني ، قد مهّدت سبيلهُ هذه « الفردية » الشائعة في البلاد الايطالية

يضاف الى ذلك ان اقبال ايطاليا على الصناعة الحديثة قريب العهد ، واسباب تأخرها كثيرة معظمها قلة الوقود ، فحماً كان او نفطاً . أما وقد بدأت تبني المحطات لتوليد الطاقة الكهربائية من مساقط المياه ، فالمرجح ان تتمكن ايطاليا من منافسة الدول الصناعية بعد انقشاع غيمة الضائقة العالمية . بل هي تنافسها منذ الآن . ثم ان العامل الايطالي ، يحبهُ الطبيعة ، ويفتنهُ جمالها ، فمن فقد منهم عمله في مصنع ، يستطيع ادماجهُ من دون عناء في جمهور الزرّاع والحصّاد . اما المناطق الصناعية فمحصورة في بقاع معينة فيمكن معالجة ما يلتابها معالجة اجمالية ، وهذا متعذر لو انتشرت في طول البلاد وعرضها

ومع كل هذا عجزت الرأسمالية قبل الحرب وبعيدها عن معالجة الحالة . فسادت فوضى في حياة ايطاليا الصناعية حملت طائفتي اصحاب العمل والعمال على التوق الى اي حلّ مرضٍ ، يستتبُّ على اثره السلام والوئام بينهما . ففي سنة ١٩٢١ حدث في ايطاليا ١١٣٤ اضراباً ، اشترك فيها ٧٢٣٨٦٢ عاملاً وخسرت بها المصانع ٨١١٠٠٦٣ يوماً من ايام العمل والانتاج . وكان جلياً ان فوضى من هذا

القبيل، تخرب البلاد اذا استمرت سنة اخرى . فتدمر المصانع وتفضي الى فقد الاسواق . ولذلك بدا لاصحاب الرأي ، ان النظام الرأسمالي قد افلس في ايطاليا وان الرأسماليين والاشتراكيين سواء في عجزهم عن الوصول الى علاج . وهذا كله مهد الطريق لتجربة نظام جديد في جسم الدولة الاقتصادي

***

كان موسوليني الرجل الامثل ، لخلق النظام الجديد . لانه مهما يقل فيه ، فانهُ غير متحكم . انهُ يدين بكثير من آرائهِ الاقتصادية الى سوريل الفرنسي، ولكنهُ لا يتقيد بهِ. فلما دخلت الفاشية ميدان السياسة احجم موسوليني عند اتخاذ اي موقف حاسم في موضوع العلاقة بين الرأسماليين والعمل ، لانهُ كان قد ادرك ان الحالة الاقتصادية في تغيُّر وتبدُّل مستمرين . كان غرضهُ وحدة الامة ، وقطع دابر الشقاق والنزاع بين طبقاتها . اما السبيل الى ذلك فلا يتيسرهُ الاَّ الاختبار . وكذلك أنشأ رويداً رويداً النقابات والاتحادات الاقتصادية التي يقوم عليها نظامهُ للفصل في موضوعات الشقاق ؛ بوسائل سلمية

وكان قد حدَّد موقفه نحو طبقة العمال في خطبة قاه بها قبل تقلده الحكم قال فيها : — « ان الذين يعملون سوف يكونون في مقدمة الامة ، لان امة الغد سوف تكون امة منتجين لا امة متسلطين». وفي دسمبر سنة ١٩٢٣ قال في خطبة اخرى « لما كنت في العشرين من العمر كنت اشتغل بيدي . اشتغلت حاملاً وبنّاء طوب . وانا لا اذكر هذا ابتغاء عطفكم عليَّ ، وانما لأبيّن انني لا استطيع ان اكون عدوّاً لطبقة العمال » . وفي الخطبة ذاتها قال ايضاً : « ان الحكومة التي اشرف بتولي رآستها ليست حكومة ضد العمال ولن تكون كذلك»

وفي السنوات الثلاث الاولى من الحكم الفاشي اعدت نظم مختلفة لوضع العلاقات بين العمال واصحاب العمل على اساس من الوئام والنظام ولكن صرف النظر عنها . وهذه العلاقات يحكمها الآن القانون الذي صدر في ابريل سنة ١٩٢٧

ونستطيع ان نحسب هذا القانون مرحلة على طريق عظمة ايطاليا كما يحسب الانكليز « الماجنا كارتا» الذي منحوه في سنة ١٢١٥ فكان فاتحة الحرية المدنية التي بنيت عليها عظمة الامة الانكليزية

من المتعذر الموازنة بين الاثنين ، فكلٌّ منها أخرج في زمن يختلف عن الآخر كل الاختلاف . «فالماجنا كارتا» الانكليزي صدر نتيجة للنزاع بين الاعيان والملك ، ولما ساد الحياة العامة الانكليزية من الظلم والفساد . واما القانون الايطالي فصدر نتيجة للمبادىء التي قررتها الفاشية واذاعتها في سبيل « الدولة المبدعة » من جميع عناصرها . فالقانون الايطالي لم يعرض لتقرير الحريات العامة من سياسية وفكرية ودينية ، لان هذه الحريات كانت مما تحتمهُ قوانين البلاد ويضمنهُ دستورها

وانما المشكلة التي عرض لها هذا القانون هي مشكلة علاقة الرأسمال وأصحابهُ بالعمال ، وما ينجم عن ذلك من الاصطدام الاجتماعي، مما يجعل هذه المشكلة من اعقد المشكلات التي انتابت الاجتماع الحديث

وهذا القانون ليس قانوناً بالمعنى المألوف وانما هو تصريح ينطوي على المبادىء التي تقوم عليها «الدولة المندمجة». وهو يحتوي على ٣٠ مبدأ ، العشرة الاولى منها ادمجت في قانون النقابات . وبموجب هذا القانون ، يحق للمشتغلين بالفنون والصناعات والحرف المختلفة ان يؤلفوا نقابات واتحادات ، وبه عينت حقوق كل من فريقي العمال واصحاب العمل وما عليهم من التبعات، وحدد حق الدولة للطلق في السيطرة على انتاج الامة بغية خيرها الاعظم . وفيها كذلك تقرر ان الرأسمال والعمل في مستوى واحد من المقام من حيث علاقتهما بالدولة ، وبه منعت الاضطرابات التي تشل الصناعات واصبحت تحسب في عداد الجرائم، وبه جعل العمل اليدوي مساوياً للعمل العقلي من حيث ما لهما من الاثر في رخاء الدولة وحسن مآلها . والغرض الاسمى من كل هذا هو السمو بجميع العمال الى اعلى مراتب الكفاءة والانتاج والفائدة . وقد نص في هذه المبادىء على ان اي خلاف بين المتمولين والعمال لا يفض عن طريق النقابات يجب ان يحال الى مجلس العمال الاعلى ، للحكم فيه حكماً منصفاً نهائياً

أما المبادىء العشرة التالية فتعين ما يلزم لانشاء العقود بين اصحاب العمل والعمال . ولهذه العقود قيمة القوانين ، ويجب ان يحترمها المستأجرون والعمال على السواء . وفيه حددت الطرق التي بموجبها تعين الرواتب والاجور ، عند حد يمكن العمال من العيشة في مستوى يتلاءم وحاجاتهم المعصرية . وفيه كذلك ذكرت القواعد التي تمنح بموجبها اجور اضافية عن العمل الاضافي ، نهاراً وليلاً ، والتعويض الذي يدفع للعامل اذا اعلن باخراجه من العمل لغير تقصير منه ، والاحوال التي فيها يحق لصاحب العمل ان يستغني عن عامل من دون ان يحتم عليه دفع تعويض له ، وكذلك الاحوال التي يحق له فيها ان يفرض غرامات على العمال

ويلي ذلك قواعد «مكاتب التخديم» والتأمين في وجوهه المختلفة الاجتماعي والصناعي والصحي

هذه هي القواعد ، وعلى اساسها وضعت قوانين مختلفة تنفذ الآن ، مهدت السبيل لسن اخرى متى اقتضت الحال بما تقضي به التجارب

ومما هو حري بالذكر ان نحو عشر سنوات انقضت منذ صدر هذا التصريح ، ولم يحدث في طول ايطاليا وعرضها اضراب واحد . وكل خلاف نشأ بين الرأسماليين والعمال قد فض بطريقة سلمية جرياً على قواعد هذا التصريح والقوانين التي بنيت عليه

وقد تمكن بعض اصحاب العمل ، في بعض الصناعات ، من رفع أجور عمالهم ، من دون ان يطالبهم العمال بذلك . وقبل العمال في صناعات وحرف اخرى ، النقص في مرتباتهم ، كلما اقتضت الحال ذلك . وفي احوال اخرى طلب العمال انفسهم خفض أجورهم رغبة في تمكين اصحاب العمل من زيادة عدد العمال ، لكي لا يحرم زملاؤهم منه

وقد تمكن موسوليني من الحصول على هذه النتائج الباهرة في ايطاليا ، باذاعة مبادىء التعاون والاشتراك في كل الطبقات ، وما على كل منها من التبعة نحو الامة

# الدكتور شاخت

## دعامة الريخ الاقتصادية

تمكنت المانيا ، بالسعي المستمر ، مدى عقد كامل من السنين ، تهدد تارة وتغضب طوراً وتلين اخرى ، من أن تخفف عبء التعويضات رويداً رويداً حتى خلصت منهُ في مؤتمر لوزان سنة ١٩٣٢ الا مبلغاً يحسب يسيراً اذا قوبل بالارقام الاولى . وهي تحاول الآن ، بالعزم الحاسم نفسه ، ان تتخلص من قيود معاهدات الصلح ، وخاصة ما كان منها مرتبطاً بالتسلح وتبعة الحرب ، بل قد وجهت أنظارها كذلك الى تخفيف أعباء الديون التجارية الخاصة التي اقترضت معظمها من اميركا وبريطانيا وسويسرا وهولندا وغيرها من البلدان

فأنت ترى ان المانيا سائرة سيراً حثيثاً في سبيل التفلت من القيود العسكرية والمالية التي فرضت عليها نتيجة لهزيمتها في الحرب الكبرى ، وأخذت تستعيد مكانتها الاولى في قارة اوربا . وقد كان للدكتور شاخت مدير بنك الريخ (الرايخسبنك) سابقاً مكانة خاصة وأثر كبير في هذا العمل العظيم. فالدكتور شاخت هو العقل المرشد للنظام النازي في الناحية الاقتصادية ، كما كان للحكومات الجمهورية التي سبقته . فهو في المانيا دليل على استقرار النظام الاقتصادي والمالي ، أو هو حائل يحول دون القيام بتجارب اقتصادية ونقدية تخالف الاصول المرعية عند علماء الاقتصاد كما يفعلون في اميركا. فوجوده في الرايخسبنك او في وزارة المالية او وزارة الاقتصاد يمكن ان يؤخذ ضماناً على ان المانيا لن تحاول على الأقل فيما يختص بنظام البنوك ان تخرج على التقاليد ، لانهُ بعد ما ثبت سعر المارك لن يرضى بأن يقلقله مقلقل أيّاً كان

لعل أنحو قفه هذا ، قد يغضب بعض المتطرفين من أنصار هتلر ، المعارضين للفلسفة الرأسمالية لأن هؤلاء كانوا يظنون أنهم يستطيعون ان يقنعوا الفوهرر هتلر ، بأن الريخ الثالث يجب ألا ينقل نفسه ، ببقايا حضارة رأسمالية كالنقد القائم على قاعدة الذهب . ولكن الدكتور شاخت معروف بشدة الاخلاص في نزعته الوطنية ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يتهمه بما اتهم به أنصار النظام السابق . ومع انهُ من المنضمين حديثاً الى الايمان بالدكتاتورية الا أن لضالته الشديد ، قبل قيام النازي ، في سبيل الوحدة الالمانية ، واليمت الالماني ، يجعل له مقاماً خاصاً في المانيا النازية . فقد ندد من قبل بمعاهدة الصلح ، وباحتلال بلاد الرين ، وقاوم مشروع يونغ ، وهو الآن يوجه عنايته الى حماية الاقتصاد الالماني ، من التدهور ، والى نقض الدفعات التي تسدد الى دائني المانيا التجاريين ، حتى لا ترهق هذه الدفعات استقرارها المالي المنشود

والدكتور شاخت ، بخلاف متناغو تورمان مدير بنك انجلترا ، والمسيو موريه مدير بنك فرنسا ، لا يكتفي ، ولم يكتف من قبل ، بحصر جهاده في ميدان المال والاقتصاد ، بل كانت له مواقف وطنية مشهودة ، وخطب سياسية ، يرضى عنها جميعاً ، أشد النازي تطرفاً وعنفاً في الوطنية. فالمستر متناغو تورمان اذ يعبر البحر الى اميركا يفعل ذلك متخفياً تحت اسم مستعار في الغالب . أما الدكتور شاخت ، فلا يخفي اسمه ولا يمسك عن ابداء آرائه ، بل ان بعض رحلاته الى الخارج كانت رحلات عنيفة من الدعاية لالمانيا . ففي خلال احتجاجات لجنة دوز في باريس كان الدكتور شاخت على ميعاد مع رئيس الوزارة الفرنسية المسيو بوانكاريه ، فلما طال انتظاره خمساً وعشرين دقيقة قام وانصرف احتجاجاً على هذا التأخر ، فلحق به رسول واقنعهُ بأن الانتظار كان لسوء تفاهم في ضرب الميعاد . ولما سافر البلون Z. R. 3 من المانيا الى اميركا — وكان قد بني في المانيا لاميركا وفقاً لمعاهدة الصلح وكان آخر بلون يحق لالمانيا بناؤه — انفطر قلب الدكتور شاخت غضباً وقال « ان هذا مثال مخيف لبغضهم وحسدهم وطلبهم الثأر » !

ولما تطورت الحال في المانيا ، وزاد تبرمها بالحالة الناجمة عن معاهدة فرساي ، حتى كاد يصبح التبرم ثورة ، زال من ميدان السياسة الالمانية ، رجال امثال بروينغ وكرسبوس ، وقام مقامهم رجال من نوع هتلر وجوبلس وجورنج ، وهم رجال يتصفون في مقدمة ما يتصفون به بوطنية ملتهبة ، وخطابة نارية ، ومقدرة نادرة في الدعاية . وهذا الانقلاب لم يكن يختلف اختلافاً عظيماً عن طبيعة الدكتور شاخت ونشأته . بل انهُ ، والحق يقال ، من الرجال الذين مهدوا له السبيل ، لانهُ من الوطنيين الالمان القلائل الذين ثاروا من البدء على معاهدة الصلح ، وخاصة ما كان مرتبطاً منها بالتعويضات وذلك قبل ان يتقلد النازي زمام الامر ، ويبثوا هذه الروح في صفوف الامة الالمانية

وللدكتور شاخت آراء حاسمة ، وطبع لا يقبل المهادنة . ثم انهُ ليس رجلاً يصرف همه الى الادارة ، والاختصاص بمسائل المال والنقد فحسب ، بل هو ادرك من معالجته للشؤون الاقتصادية الاخطاء التي تتعرض لها المانيا اذا ظلت سائرة على الخطط الاقتصادية التي وضعت في معاهدة فرساي . لذلك لم يكتف بكتابة المذكرات الفنية والاقتصادية والمالية لدولته ، بل كان يلقي الخطب ويكتب المقالات معرباً فيها ، في المانيا وخارجها ، عن آرائه الحاسمة في هذه الموضوعات

وهو من اصل هكسوفي وضيع ، ولد في شلزويج هولشتين سنة ١٨٧٧ — كانت هذه المقاطعة خاصة بالدانمارك فضمها بسمارك الى المانيا ، ثم ضم شطر منها الى الدانمارك بعد الحرب الكبرى — وكذلك نشأ في احدى المقاطعات الواقعة عند حدود المانيا ، فنشأت نزعته الوطنية قوية عنيفة . وعاش والده في اميركا ، وهو حدث ، فتغرست في نفسه الاصول الديموقراطية وقد ظل مؤمناً بالديموقراطية واساليبها الى عهد قريب . ففي سنة ١٩٢٩ القى خطبة في مونيخ — مدينة البيت الاحمر مقر حركة النازي — فقال فيها : يخطىء الذين يظنون اننا نستطيع ان نعالج هذا الارث

المرهق — قيود معاهدة فرساي — بوسائل دكتاتورية . واني ما زال ارجو ان يقف الرجال الذين يهمهم مستقبل المانيا موقفاً مشرفاً يستند الى المبادىء الديموقراطية ، لأن من هذه المبادىء دون غيرها ، ينبع العمل الجدي لانقاذ المانيا »

ترى ما كان رأي هتلر يومئذ في هذه الكلمات !

ولكن الحوادث ايدت هتلر ، ولم تكن شجرة الديموقراطية الالمانية التي قام هتلر لاقتلاعها ، الا غرسة ضعيفة ، وقد دبّ اليها النخر قبل ان تشتدّ ، فلم تثبت في وجهه

بعد سنة من القاء خطبته في مونيخ ، انفصل الدكتور شاخت ، عن وزارة الدكتور برونتج — وقد كانت آخر حكومة جمهورية صميمة في المانيا — باستقالته من الريخسبنك وتنديده بمشروع يرمي للتسديد التعويضات . ذلك ان غضبهُ على التعويضات وحنقه على قيود معاهدات الصلح ، كانا اقوى في نفسه من تعلقه بالمبادىء الديموقراطية . وبعد سنة اخرى انضم الى ما كان يعرف حينئذ ( ١٩٣١ ) بالجبهة الوطنية ، وهي ائتلاف من النازي والملكيين لاسقاط الجمهورية

وما لبث النازي حتى خرجوا من هذا الائتلاف بأكيل الظفر ، ومن الاركان التي يعتمدون عليها ، في ظفرهم هذا ، الدكتور شاخت نفسه ، ولعله ادرك حينئذ ، ان امله في الديموقراطية قد انهار ، وان المانيا ، يجب ان تتحد ، « بالدم والحديد » . حتى في ايام ديموقراطيته ، اذ كان عضواً في الحزب الديموقراطي الالماني ، كان ينقد نقداً عنيفاً سياسة الحكومات الجمهورية ، وكان لا يخفي انهُ عدو للاشتراكية . فقد حذر تلك الحكومات ، من التضخيم النقدي ، ومن التمادي في اقتراض القروض القصيرة الآجال . وكثيراً ما وجه النظر الى الصعاب التي تعاني ، في مسألة نقل البضائع والمال ، تسديداً للتعويضات . وكذلك ترى انهُ مع كونهِ قبلاً ، من غير الدعاة للدكتاتورية ، كان يشاطر هؤلاء الدعاة تبرمهم بالحالة السائدة في المانيا ، وغضبهم على اعدائها السابقين

بعد عودتهِ من اميركا درس بين سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٩ علوم الاقتصاد ، في جامعات مونيخ وليبزج وبرلين وكيل ، ثم تقلب في المناصب المالية والاقتصادية العالية ، الى ان كانت الحرب الكبرى ، فعين مستشاراً اقتصادياً الادارة الالمانية في البلجيك ثم لما عاد الى المانيا عين مديراً « للناشونالبنك » وفي سنة ١٩٣٢ عين تومبسيراً للنقد ، ومديراً لبنك الريخ . ثم جاءت استقالتهُ من بنك الريخ في عهد الوزير برونتج وعاد اليهِ سنة ١٩٣٣ بعد قيام الحكم النازي

ان شاخت وتيسن Thyssen هما الركنان اللذان يستند اليهما النظام النازي من الناحية الاقتصادية وكلاهما قد خدم امتهُ وبلادهُ أحسن خدمة . ومن الطبيعي ان يكونا غير ميالين الى الاشتراكية . وهذا قد يثير عليهما بعض اعضاء الحزب النازي لان هذا الحزب ، ليس وطنيًّا فقط بل اشتراكيًّا كذلك واسمهُ الرسمي الحزب الوطني الاشتراكي . ولكن المانيا الآن لا تستغني عن شاخت ، لانهُ جمع فضيلتي العلم والخبرة من ناحية والاخلاص في الوطنية من ناحية اخرى

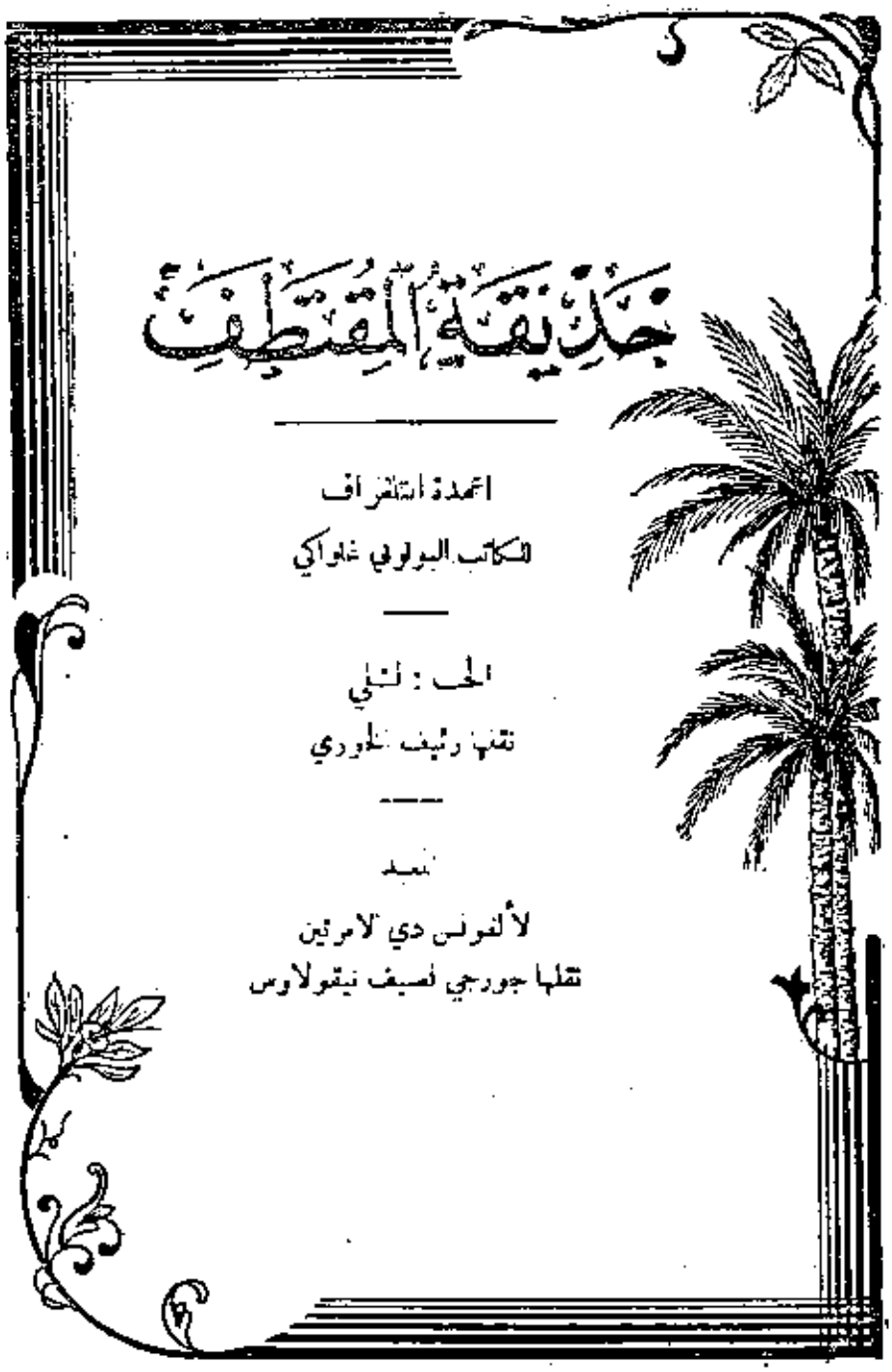

# حَدِيقَةُ المُقتَطَفِ

---

اعمدة التلغراف

للكاتب البولوني غلواكي

---

الحب : لتلي

نقلها رئيف خوري

---

نشيد

لألفونس دي لامرتين

نقلها جورجي نصيف نيقولاوس

# اعجوبة الملجأ

للكاتب البولوني غلواكي

---

زارت احدى الاميرات ملجأ للايتام . فعرض لها مشهد كان غاية في الندرة والغرابة . فانها رأت اربعة صبيان في عراك شديد آخذاً كل منهم بتلابيب الآخر ، وهم يوسعون بعضهم بعضاً لكماً ولطماً ، نزاعاً على كتاب ممزق بين ايديهم فاستفظعت عملهم هذا وصاحت بهم صيحة الزجر والانتهار قائلة : — على م هذا النزاع ايها الاولاد الحمقى ؟ فأقل عقاب تستحقونهُ عليهِ ان تحرموا نصيبكم من الكعك وتوضعوا ركناً في الزاوية

فاجابها واحد منهم ، معتذراً عن ذنبه ومشيراً الى صبي آخر :

— انهُ اغتصبني كتاب روبنصن كروزو

فقال ذاك : هذا كذب وبهتان ! انهُ هو الذي اغتصب الكتاب !

وقال صبيٌّ ثالث : لله ما اشد افتراءك ! افلست انت من انتزع الكتاب مني ؟

وكانت ناظرة الملجإ قد بادرت الى تدارك الأمر فوضعت حدًّا لصراعهم ونزاعهم . ثم خلت بالاميرة وقالت لها ان ما شهدتهِ اليوم في الملجإ كثير الحدوث ، مع اتخاذ كل ما يمكن اتخاذهُ من وسائل المراقبة التامة . وذلك لان الاولاد مولعون بالمطالعة ولعاً يفوق الوصف والملجأ في اشد احتياج الى الكتب

فهاج هذا النبأ في قلب الاميرة شرارة شعور غريب لم يخطر من قبل ببالها . لكنها رأت انّ مواظبتها على الافتكار فيه مجلبة للعناء والقلق فأغفلتهُ وبذلت جهدها في نسيانه الى ان زارت ذات يوم رئيس المستشارين وتناول الحديث بعض الشؤون

النبيلة واعمال البرّ والصدقة فتذكرت حادثة ملجإ اليتامى وقصّها عليه واعادت ما قالتهُ لها ناظرة الملجإ

ولما فرغت من كلامها طرأ على المستشار ما كان قد سبق فطرأ عليها من الشعور بامر غريب غير مألوف . فأعارهُ جانباً من عنايته واهتمامه واستصوب ان يبعث ببعض الكتب الى اولئك اليتامى . وتذكّر انهُ كان قد اشترى ، منذ وقت طويل ، طائفة كبيرة من الكتب لاولاده وهي الآن مودعة رفوف المكتبة وبعض الصناديق يغشاها الغبار وتعبث بها ايدي الدثور والبلاء . ولكنهُ لم يشأ ان يتحمل عناء البحث عنها ومشقة جمع شتاتها وارسالها الى الملجإ

وفي مساء ذلك اليوم زار المستشار صديقاً لهُ كان عنوان المروءة والاريحية وكانت حياتهُ كلها وقفاً على الشاء الملاجيء والمتصدقات ومساعدة لجان البر والاحسان . فروى لهُ ما شاهدتهُ الاميرة في ملجإ اليتامى وما قالتهُ لها ناظرة الملجإ وزاد على ذلك تصريحهُ بعزمه على ارسال بعض الكتب ووجوب التعاقر على معونة اولئك اليتامى وصدّ عوزهم الادبي . فقال لهُ صديقهُ :

— الخطب سهل الى الغاية ! غداً صباحاً اذهب الى مكتب جريدة « الكورير » واوجه فيها نداء الى ذوي النجدة ليبادروا الى ارسال الكتب التي يحتاج اولئك اليتامى اليها

وفي صباح اليوم التالي خفّ ذلك الأريحي الى غرفة مدير هذه الجريدة وحدثهُ بما سمعهُ من صديقه المستشار والح عليه باسم الانسانية ان ينشر في جريدته النداء المطلوب

واتفق لحسن الحظ ان الجريدة كانت يومئذٍ في حاجة شديدة الى خبر رائع طريف يستوقف نشره انظار قرائها ويشغل ما كان باقياً فيها من الفراغ . فجلس مخبرها من فوره — وانشأ مقالة رنانة في هذا الموضوع عنوانها : « جوع النفوس : بضعة اولاد : في ملجإ يتامى — يعضّهم ناب الاحتياج الى الكتب — إن شوقهم إليها اعظم من ان يوصف — لا تلسوا نفوسهم الجائعة ! »

وبعد بضعة ايام ذهب المخبر الى مكتب الجريدة ومعهُ واحد من اصدقائه وكان

استاذاً للفلسفة الطبيعية . فلقي عند الباب رجلاً رثّ الملبس وسخ اليدين وبجانبه فتاة صغيرة صفراء الوجه نحيلة الجسم وعليها اطمارٌ بالية تكاد لا تكفي لستر عريها وهي حاملة رزمة كتب قديمة . فسأله المخبر :

— ماذا تريد يا سيدي ؟

فرفع الرجل قبّعتهُ واجاب بخشية واحتشام

— جئنا يا سيدي ببعض الكتب للاولاد ذوي النفوس الجائعة الذين كتبتَ عنهم . وحنت الفتاة الناحلة رأسها وصبغ الحياء محياها المغشى بصفرة فقر الدم. فتناول المخبر الكتب منها وسلمها الى خادم المكتب . وسأل اباها :

— ما اسمك ياسيدي ؟

فاجابهُ بحيرة وارتباك :

— لماذا تروم ياسيدي ان تعرف اسمي ؟

— لابدّ لنا من معرفة اسم المتبرع بهذه الكتب لكي نعلنهُ في الجريدة

— لا ارى اقلّ ضرورة تدعو الى ذلك . فارجو ان تغض النظر عنهُ ولا تعيرهُ شيئاً من الاهتمام . اني رجل بائس ومسكين وواحد من عمال مصنع القبعات . فلست بمستحق ان يعنى بأمري وينوّه باسمي

قال هذا وانطلق ذاهباً بابنتهِ الصغيرة النحيفة

وبعد ذهابهِ التفت المخبر الى صديقهِ الذي كان يقرأ ومسح من كل ما حدث وقال له : — ان وقوع هذه الحادثة في اثناء وجودك معي — وانت استاذ الفلسفة الطبيعية — أخطرَ ببالي فكر المخابرة التلغرافية بطريقة جديدة . فالمكتب الرئيسي لهذا التلغراف كان ملجأ اليتامى . والمكتب الذي تسلمهُ كان العامل في مصنع القبعات. فلما اشار الاول مسترعياً الانتباه لبّاهُ الثاني من فورهِ . وعند ما صرّح ذاك بحاجتهِ بادر هذا الى قضائها . اما نحن الباقين فكنا — جميعاً — اعمدة التلغراف !

# الحب : لمن

قالت غلامٌ أرى الغدير
أبداً على عجل يسير
موصولة أنّاتـه
وشجيـة نغمـاته
أفليس يأخذه الملال
أفليس يرزحه الكلال ؟

***

فأجبتها لا تذهلي
من سيره المستعجل
النهر صب حائر
نحو البحيرة صائر
اذ يهتوان ويشدوان
وبغبطة يتمازجان

***

قالت واغصان الشجر
تبدو حجاباً للنظر
فعلام تشتبك الغصون
فتصون تجوال العيون
لا الريح تحرقها ولا
تضطرها أن تفصلا ؟

***

فأجبتها لو تعلمين
ما بالغصون من الحنين
لجلست في ظل السكون
تذرين أمواه الشؤون

يا فتنتي إن الغرام
أدّى بها للانضمام

***

قالت ولمّ تبدو النجوم
محمومة فوق الغيوم
للبدر تنظر ساهيه
فتعود عنهُ باكيه
وتصعد الزفرات نار
حتى يواقبها النهار ؟

***

فأجبتها ان النجوم
تطوي النفوس على كلوم
قد أصبحت نهوى القمر
أمسى يبرحها السهر
هي تبتغي منهُ النوال
فيصدها عزّ الجمال

***

قالت فان كان الغدير
من فرط صبوته يسير
والغصن يرّحه هواه
فأقام ملتزماً اخاه
والنجم يرّحه السهر
مذ راح ينظر للقمر
اني لذات حشىً خفق
فلنعتنق .. فلنعتنق...!!!

[ نظمها رئيف الخوري ]

# المصير

## للفرنسي دي لامرتين

---

ما أحيلى ما يبدو للانسان في المساء ، عند ما يرتفع ببطء ، في قبة السماء الكوكبُ الفرد ، متقدماً عفة الليل العاتمة ، وقد تنازع الارضَ الضياءُ والظلام ،

بل ما احيلى ما يشعر به ، عند ما ينتقل خطواته المقدسة ، في مستقر الوادي ، مبهماً صوبَ المعبد الخفي ، وقد غطى الطحلبُ رواقه البسيط ، حيث السماء لم تزل بعدُ ، تخاطب القلوب التقية

سلاماً ايتها الغابة المقدسة ! سلاماً ايتها المفازة المحزنة ! انتِ الامينة على مقابر القرية البسيطة ، اني ابارك ، حينما امرُّ بكِ آثارك الخالية من كل زخرف ، والويلُ لمن تحدثه نفسه ، بتدنيس تراب الموتى ، فاني لأجثو خاشعاً ، تجاه اعصابهم التي لا رُواء لها ، واعفر خدي بتراثهم ، الذي هو اجسادهم الباقية

ما اشدَّ روعةَ الليل في جوف الهيكل ! وما ارهب ذلك السكون الشامل ! والعين لا تكاد تميز في الظلام ، نورَ ذلك القنديل المرتعد ، المشتعل قبالة المذابح المقدسة ، انهُ يتلألأ وحيداً والخليقة جمعاء نائمة ، فهو رمزٌ مُعزٌ للعناية الساهرة ، تتقبل في هذا المكان ، تنهدات الانام وتأوهاتهم

لنتقدم ، لا يطرق أذني صوت حيّ ، فالسكوت شامل ، والفيثارة وحده يرتعد تحت خطواتي الموزونة ، فقد تعدّيت درجات المذبح ، وها انا واقف ، والمهابة تتملك كل مشاعري ، فقد صمت بروحي الى عَلْيَاء ، مشتغلاً عن دنياي بديني ، فيا أيتها الحيطان المُهيبة في وَحْشتها ، وأيتها الهياكل الناطقة في سكوتها ،

اني لَدَيْكِ وحيدٌ منفرد ، ونفسي الحزينة تتنهّد في تقرُّبها خشيةً ورهبةً ، لتسكب أمامك آلامها ، وما تفيض به جوارحها ، وتُسِرُّ الى السماء بمكنون سرها ، الذي تَطّلع عليهِ وحدها ، ولا يسمعهُ أحدٌ سواكِ

ولكن ماذا ! أأجرؤ على الدُّنُوِّ من هذه المذابح دون خوف ولا وَجَل ، أأجرؤ يا لهي ان اقدّم في هذه الحظيرة المُبَجَّلة ، قلباً ما فتئ مشتعلاً بالاثم والحب ! دون ان تأخذني الرعدة ، ويتملكني الهَلَع ، مخافة ان تنتقم جلالتك المقدسة ، للاحترام الواجب لمقرّك السامي ؟

ولكن لا ، اني لا احرُّ خجلاً من النار التي تتأكّلني ، فالحب يكون طاهراً نقيًّا ، اذا ما اضرمته الفضيلة ، طاهراً كالذات التي تَبْغَي هواها

ان حبي يشغل فؤادي ، ولكن بنارٍ مقدسة ، فالثبات يَدْعمه ، والمصائب تنقّيه من كل شائبة ، فأبوح بهِ للأرض وللطبيعة بأكملها ، وامام هياكلك المقدسة ، اردّده دون خوف ولا حياء ، واذهب الى ابعد من ذلك فاجْتَرئ ايها الاله القدير ، على ذكره بحضرتك العليّة ، فرغماً عن الرّهب الذي يُوحيه اليَّ مَعبدُك ، فقد تَمّ في يخْتُنوت اسم مالكة قبادي ، وهذا الاسم الذي انتقل صَداه من قبر الى قبر ، قد عكّر هدوء الفلاة الحزينة ، كأنه انّة شكيّة لشبح يتأوّه

وداعاً ايتها الآثار الباردة ، وداعاً ايتها المساكن المقدسة ، لقد ردّد الصدى الليلي الساعات مرتين ، وانا واقف امامك خاشعاً ذاهلاً ، ابكي بعين سَجُوم ، وقلب كليم ، واني أغادرك متأسّياً مُعزّى ، لان السماء رأت حَيْراتي ، وابصرت ذلي وإهانة نفسي

وقد تكون تلك التي اندب فقدها ، ساهرةً في هذه اللحظة ، على شاطىء آخر ، مع صورتي وقد جَثَتْ على درَج هيكل ، والدموع تنهمر من مآقيها ، لتبوح بذات صدرها ، وتُسِرُّ بآلامها وأشجانها

[ تلها جورج بلاولاوس ]

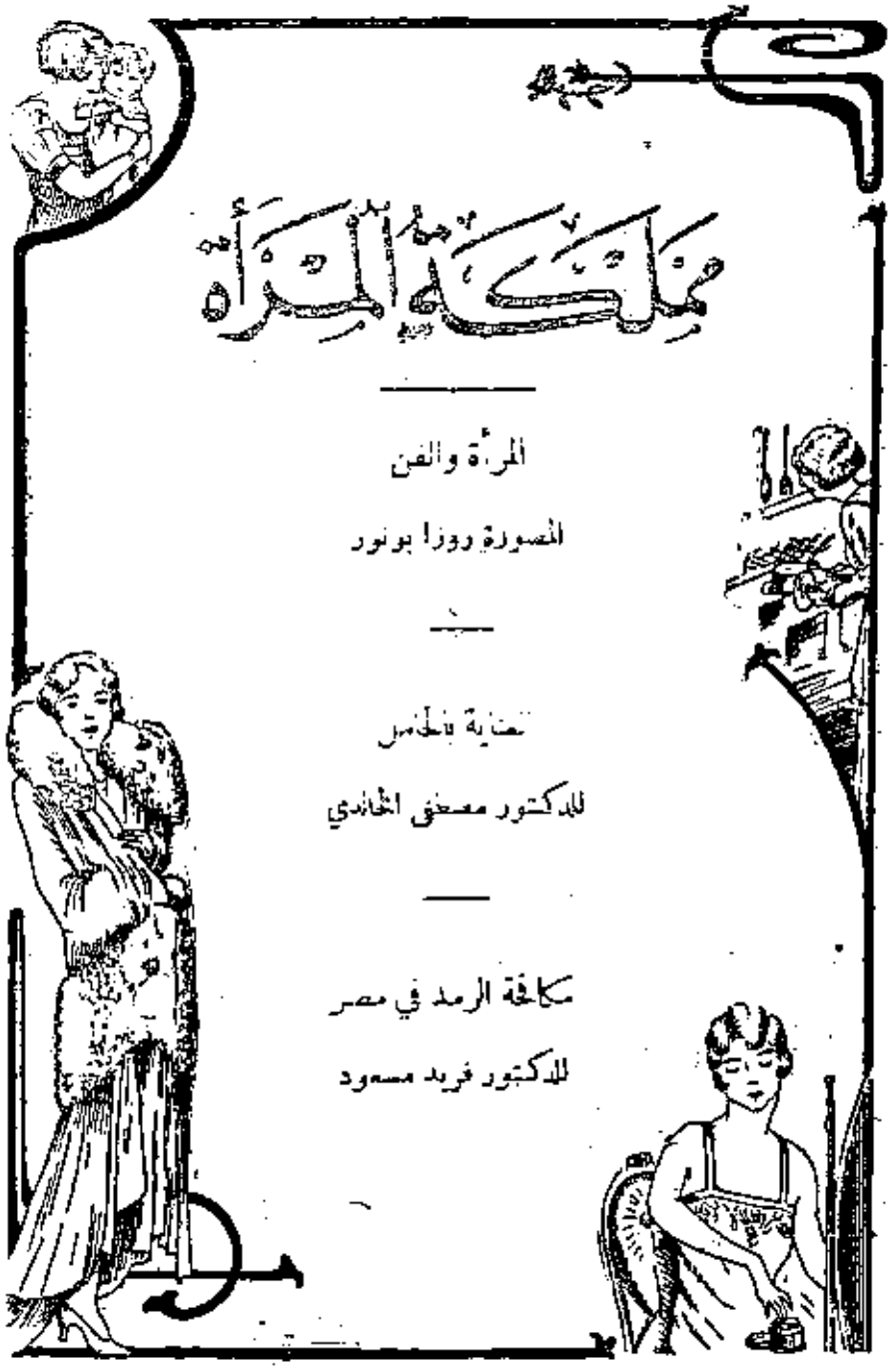

# مملكة المرأة

المرأة والفن

المصورة روزا بونور

العناية بالجنس

للدكتور مصطفى الخانجي

مكافحة الرمد في مصر

للدكتور فريد مسعود

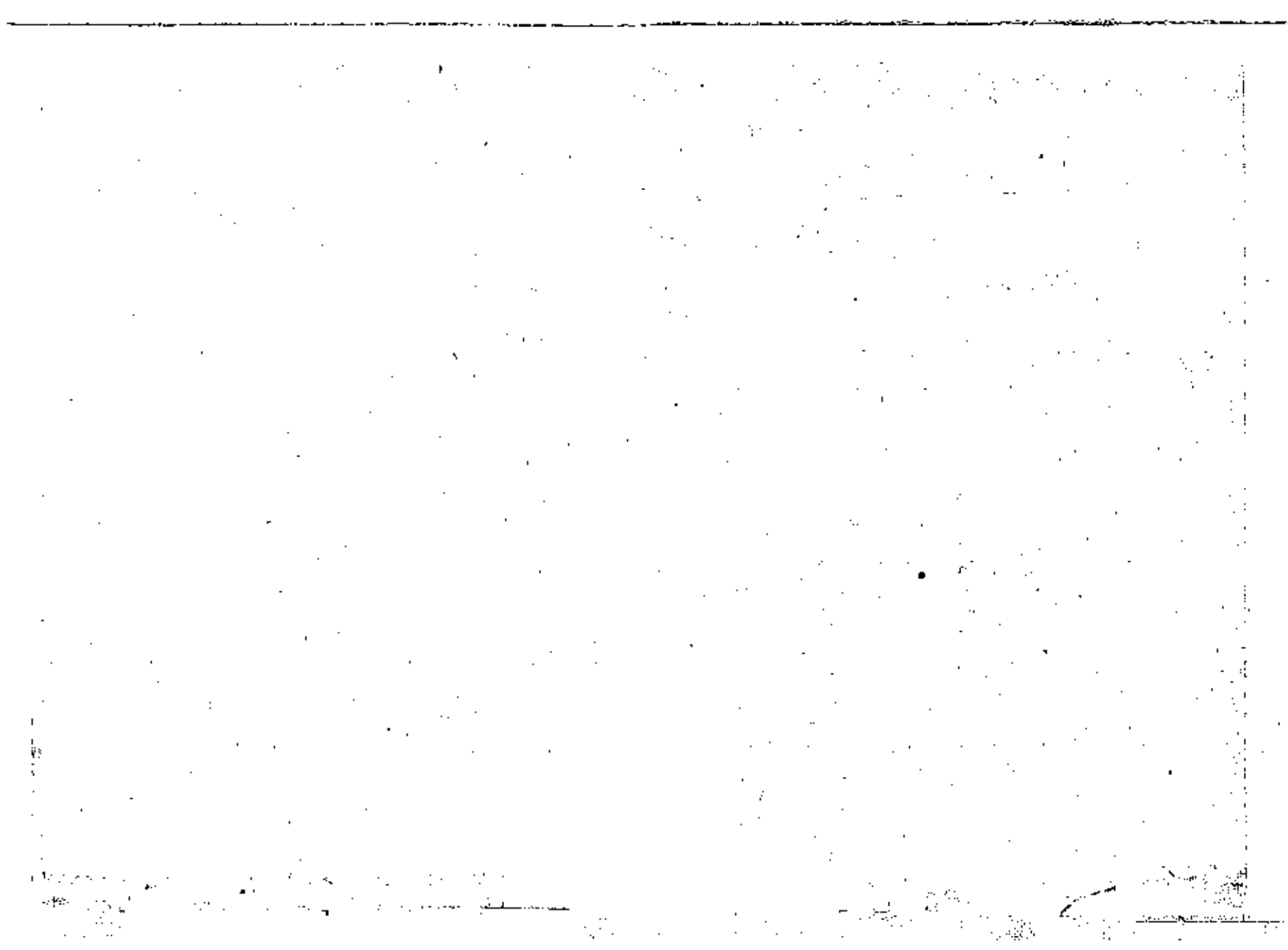

# روزا بونور

## حياة مصورة عظيمة

تعلق الشهرة بيننا في الغالب باسماء الملوك والرؤساء والوزراء والعلماء والادباء . وفي النادر يخطر ببال بعضنا المصوّرون والمثّالون ومحوهم من الذين نبغوا وبرعوا في تمثيل الاشياء الطبيعية والصور الخيالية . لكن أهالي اوربا وبعض أهالي المشرق مثل الايرانيين والصينيين واليابانيين يحبون التصوير والنحت شأناً كبيراً . والظاهر ان اسلافنا من مصريين وفينيقيين واشوريين ويمانيين كانوا مثل الاوربيين من هذا القبيل . ولولا ذلك لما تقدّمت صناعات التصوير والبناء والنحت في عصرهم . ولا أباحوا للبنّاء ان يحفر اسمهُ الى جانب اسم الملك الذي يشيّد البناء لهُ

والظاهر ان صناعة رسم الصور ونحت التماثيل اتقنت اولاً على يد شعب قديم كان منتشراً في المكسونة ولا تزال رسومهُ وتماثيله تمثل بعض الحيوانات التي انقرضت منذ عهد طويل دلالة على انها كانت عائشة في ايامهِ ، وعلى توغله في القدم . ثم انقرض ذلك الشعب او بقيت بقايا منهُ في البلدان التي احتفظ اهلها بعمل الصور والتماثيل ، وقام اليونان فأتقنوا هذه الصناعة ولا سيما صناعة نحت التماثيل ، وبلغوا في اتقانها حدًّا لا غاية وراءه ، وانحطّت صناعتهم بعد انتشار الديانة المسيحية ، ثم عادت الى رونقها الاول بعد القرون الوسطى ولا سيما صناعة التصوير . وقد بلغ من احتفاء الاوربيين بالتصوير والمصورين ان صاروا يشترون الصورة بعشرة آلاف جنيه او اكثر الى مائة الف جنيه . ويزيد دخل المصوّر الذي أصاب الشهرة على دخل الوزير او القائد ، وعلى ضعفي دخل الاستاذ الكبير في جامعة كبيرة

***

من نحو قرن من الزمان او يزيد خرج شاب اسمهُ ريمون بونور من باريس الى بوردو ، ليقيم فيها مع والدتهِ وكان على شيء من المواهبة في فن التصوير . فجعل يعلّم هذا الفن للراغبين فيهِ ، وكان بينهم فتاة دقيقة النظر صناع اليدين . فأحبها واقترن بها ، وسكن معها في بيت والديهِ فرزق منها بابنين وابنتين . وكانت روزا صاحبة هذه الترجمة كبرى الابنتين . فقد كانت ولادتها سنة ١٨٢٢ وتوفيت أمها وعمرها عشر سنوات فعاد بها أبوها الى باريس

ولم يكن يهتمّ بتربيتها لانهُ كان مشغولاً بالسعي وراء معيشتهِ وقد وكّل بتربيتها عجوزاً شكسة

الاخلاق فكانت تنهرها دوماً ولاسيما انها كانت غريبة في اطوارها اذا رأت قطيعاً من الغنم او البقر تبعته ودخلت الى وسطه وجرت معهُ ولو أبعد عن المدينة . وكانت تلك العجوز تفتش عنها فتجدها بين الكلاب والقطط او بين المواشي والقطعان . ولم تتعلم شيئاً من الفلوات التي كانت تحاول تعليمها اياها . بل لم تتعلم حروف الهجاء الا من درّة كانت ترددها على مسمعها . فتوسلت العجوز الى ابيها ليضعها في مدرسة عند راهبات شيلو فارسلها الى هذه المدرسة الاّ انها كانت تعرّج في طريقها على غابة بولون وتقيم فيها الساعة بعد الساعة كأنها تستقي من مناظر الطبيعة ما تجعله ذخراً لمستقبلها

ولما بلغت الخامسة عشرة من العمر وهي لم تتعلّم شيئاً رأى ابوها ان لا بدَّ لهُ من ان يعلمها صناعة تعيش بها وسأل اولئك الراهبات رأيهنَّ في ذلك فقلنَ لهُ انها لا تستطيع ان تتعلم شيئاً من العلوم فالاصلح لها ان تتعلم الخياطة فوضعها عند خياطةٍ لتتعلم منها وتقيم عندها دائماً . ثم زارها بعد اسبوع فرآها مريضة ولما وقع نظرها عليهِ اعتنقتهُ وجعلت تتوسل اليهِ ليخرجها من ذلك المكان فاخرجها وعاد بها الى بيته وهو غائص في بحار الهموم يفكر فيما عسى ان تؤول اليهِ حال هذه الفتاة وهي ليست بالجميلة فتتزوج ، ولم تتعلم شيئاً لتعيش بعلمها او بعملها

ولو كانت زوجتهُ حية لعرفت بذكائها ميل ابنتها وكفتهُ مؤونة هذا الهم

ودعي الوالد لتعليم الرسم في مدرسة داخلية فعرض على اصحاب المدرسة ان يعلم فيها بلا أجر اذا قبلوا ابنتهُ تلميذة من غير مرتب يدفعهُ عنها . فتمَّ الاتفاق على ذلك وجعل يعلمها الرسم مع رفيقاتها فلم تمضِ ايام حتى دهش لبراعتها في هذا الفن . ولما انقضت السنة طلبت منهُ ان يسمح لها بالرجوع الى البيت والانقطاع لفن التصوير . وكان قد رأى منها ما اقنعهُ بانها ستبرع في التصوير فلبّى طلبها وعكف على تعليمها وكانت اكثر تلامذته مزاولة واشدهم رغبة بل كانت لا تكل ولا تملُّ من مزاولة عملها شأن جميع اصحاب المواهب الطبيعية والقرائح الوقّادة

الاّ انها هي لم تفهم ميلها الطبيعي تماماً، فتاقت نفسها الى الامور الخيالية ، وجعلت تنقل صور كبار المصوّرين التي في متحف اللوفر . فان جمال تلك الصور سلب لبّها وحملها على الترفّع عما دونها فكانت اذا رأت صورة من صور المواشي تنظر اليها شزراً او تغضُّ الطرف عنها كأنها لا تستحق التفاتها . قال لها مدير اللوفر مرةً « اني لم ارَ مثل هذا الاجتهاد مطلقاً» .ورآها أحد وجهاء الانكليز فوقف امام صورة كانت تصوّرها وقال لها « ان تصويرك بديع خالٍ من كل عيب . فواظبي على ما أنت فيهِ فتصيرين من النوابغ »

وظلّت تحاول تقليد ارباب الفنّ في هذه الموضوعات العالية الى ان رأت انهُ لم يبقَ لها مكان فيها ، فأسقط في يدها وجعلت تلوم نفسها وقالت لعلَّ العناية الالهية لم تقسم لي ان اكون مصوّرة ، كما لم تقسم لي ان اكون خيّاطة وبينما هي غائصة في بحار اليأس ، تذكرت الايام الماضية

حينما كانت تجول في غابة بولون ، وارتسمت امام صور الطبيعة، فاخذت قلماً ورسمت صورة من تلك الصور كما تخيلتها ، فرأت حالاً انها وجدت ضالتها . وقامت في اليوم التالي فولّت الدوقر ظهرها وخرجت الى ضواحي باريس تصوّر المناظر الطبيعية

قال غوته الشاعر والحكيم الالماني العظيم : ان كل سبيل يؤدي الى الصواب صواب . وهذا كان شأن روزا بونور . فان مراقبتها الاشياء الطبيعية في الطبيعة وتحديها صور كبار المصورين في الدوقر كان صواباً في الوسيلة والغاية، فلم يذهبا سدًى

***

ولما جاء فصل الشتاء وتعذّر عليها الخروج الى الخلاء جعلت تتردد على زريبة المواشي خاصة بأحد الجزارين وتصوّر ما فيه من الغنم والبقر ، وربت خروفاً في المسكن الذي تقيم فيه مع انهُ في الدور السادس ، لكي تدخل صورتهُ في صورها . وعرضت اول صورة من صورها سنة ١٨٤٠ وكان عمرها ١٩ سنة وهي صورة أرنبين . ثم عرضت صورة الخان والماعز سنة ١٨٤١ وكانت صورتها تباع بثمن معتدل يكفي لنفقاتها ، والمصورون يشهدون لها بالبراعة فيها ولو لم يرَ الجمهور فيها شيئاً غير عادي . الى ان كانت سنة ١٨٤٩ خرجت من سجنها في باريس الى مقاطعة الاوڤرن وصورت هناك صور ثيران كستال وارسلتها الى معرض التصوير فشهد لها المسيو هوراس فرنه أنها أحسن صورة من نوعها في المعرض . واجتمع المشاهدون حولها وكلهم معجب بها . وأهدى اليها المسيو هوراس باسم الحكومة كأساً بديعة من معمل سڤر والوسام الذهبي الذي يعطى لأحسن صورة واشترى تلك الصورة رجل انكليزي بستمائة جنيه . وهي تمثل ثيراناً ترعى وقد بدت عضلاتها ومفاصلها وانعكست أشعة الشمس عن ظهورها واسنمتها وخرج الزبد من أشداقها ، والقية الزرقاء فوقها تسبح فيها غيوم الصيف والارض حولها تمثل الطبيعة بأبهى جمالها

وصوّرت تلك السنة صورتها الكبيرة ، صورة ثيران تحرث في حقل بالاوڤرن وعرضتها في المعرض الدولي العام سنة ١٨٥١ فادهشت الذين رأوها . وقد حفظت الحكومة الفرنسية هذه الصورة في معرض لكسمبرج

وفي سنة ١٨٥٦ عرضت صورتها المشهورة « بسوق الخيل » فدهش لها المصورون جميعاً وغالى الناس في ثمنها ، وتداولتها الايدي الى ان وصلت الى نيويورك ، واقرَّ ذوو الشأن في فرنسا ان روزا مصورتها تستحق اللجيون دونور ولكن نبوليون الثالث خشي ان يقلدها اياه لانهُ لم يسبق ان قُلّدتهُ مصورة من قبل . واتفق انهُ غادر باريس في سياحة وجعل الامبراطورة نائبة عنهُ فذهبت بنفسها الى منزل روزا بونور وقلدتها النيشان بيدها . وصورة « سوق الخيل » هذه تحسب من الاعجاد الفنية التي تفاخر فرنسا باخراجها وبها حسبت روزا بونور في الطبقة العليا بين المصورين

# العناية بالحامل

للدكتور مصطفى الخالدي[1]

ان المدنية الحديثة مع ما هي عليهِ من حسنات وبركات ، تفرض على كل انسان في هذا الوجود جزية، ان في جسده او في عقله ، ثمناً تتقاضاه منهُ عما تقدمهُ اليهِ . فاجدادنا الذين عاشوا في محيط بسيط اقرب الى الطبيعة من محيطنا ، كانوا يبلغون العمر المديد لا يعرفون لوجع الضرس معنى . اما الآن فعيشتنا المترفهة وسط المدنية الحديثة لا تساعدنا على حفظ تلك الاضراس سليمة ، فكان فن طب الاسنان وكانت المعالجة فيهِ . والبدوية التي تعيش في الصحراء المحرقة وتقاسي شظف العيش وخشونة المحيط تلد كما يخبرنا الكثيرون على الطريق — ولم لا وهي لا تزال في حضن الطبيعة تعيش عيشتها بعيدة عن رفاهية المدنية وبالتالي بعيدة عن الجزية التي تتطلبها منا لقاء هذه الرفاهية التي تقدمها لنا

ان الحمل يصدم كل عضو من اعضاء الجسم صدمة قوية يتطلب معها ذلك العضو كل ذرة من قواه للقيام بوظيفته . فاذا ما كان فيهِ اي خلل ، ظهر ذلك مجسماً بتأثير تلك الصدمة ولذا وجب على الحامل ان تتقدم الى الفحص الطبي عند ما تشعر بالحبل . واهم ما يتطلبه جسمها وما تحتاج اليهِ صحتها العمومية ان تكون الكبد فيها والكليتان والجلد والامعاء والرئتان على الخصوص صحيحة سليمة قادرة على القيام بوظائفها حق القيام

﴿ الالبسة ﴾ والعناية بالملابس اول ما احب ان اوجه اليهِ الانظار في اثناء الحمل اذ يجب ان تكون بسيطة دافئة وان تتجنب الحامل الثقيلة منها والتي تضغط على الجسم كالمشد اي « الكورسيت » والافضل ان تكون متدلية من كتفيها فيتحول الضغط بذلك من البطن الى الكتفين . والسر كل السر ان لا يكون هنالك ما يسبب ضغطاً على الرحم من الأعلى الى الاسفل كما انهُ من المفيد جداً في الاشهر الاخيرة ان يسند البطن مسنداً لطيفاً جداً فينقد الجنين بذلك وضعاً قد لا يكون مستريحاً فيهِ . اما المشد الاعتيادي فيجب الاعتياض عنهُ منذ الشهر الثالث بزنار بسيط وصدرية للثديين . وفي النصف الأخير من مدة الحمل يستحسن استعمال حزمة خصوصية من الجهة السفلى تساعد العضلات البطنية على حمل ثقلها الزائد آنئذٍ لا سيما اذا كانت الحامل ولوداً ، متذكرين انهُ لا يجوز بوجه من الوجوه احداث اي ضغط من السرة فما فوق تاركين بذلك مجالاً لنمو الرحم صعداً

---

(١) استاذ فن التوليد والامراض النسائية في جامعة بيروت الاميركية . مقتطفة من فصل مسهب في كتابه الجديد «على عتبة الامومة» . راجع وصفه في باب مكتبة المقتطف

اما الاحذية فمن المحتم ان تكون كعوبها قصيرة لان الطويلة منها تسبب للحامل آلاماً في الظهر وانحطاطاً في القوى . فالحامل بطبيعة الحال ولنمو الجنين في الرحم يبرز بطنها الى الامام فيرتد رأسها وكتفاها الى الوراء حفظاً للتوازن فتتغير كيفية سيرها تغيراً محسوساً ظاهراً للعيان . فاذا لبست احذية ذات كعوب عالية ازداد انحناء رأسها وكتفيها الى خلف زيادة تؤثر في الظهر فتتولد من جراء ذلك الآلام ويصير من المتعب جداً عليها ان تسير سيراً طبيعياً مستقيماً فتكون بذلك قد ضحت بصحتها وراحتها في سبيل «الموضة»

***

﴿ المحافظة على بهاء الجسم ﴾ — من البديهي ان تميل المرأة ميلاً شديداً الى المحافظة على بهاء جسمها واعادته الى ما كان عليه من رواء وخفة وليونة قبل الحمل والولادة ، فهما يؤثران في عضلات الجسم عموماً وخصوصاً في العضلات البطنية فيحدث من جراء الضغط المتواصل وآلام المخاض ارتخاء فيها وهبوط في البطن والثديين مما يفقد المرأة مزية القامة الهيفاء المنتصبة وهي فتاة. وليس للمخدرات فائدة في منع هذه النتائج لانها تسبب اضراراً جمة . انما جل ما يمكننا ان نقوله في هذا الموضوع هو انهُ على الفتاة ان تزاول انواع الرياضة البدنية المفيدة منذ حداثة سنها وان تظل مثابرة عليها الى ما بعد الزواج فتقوى بذلك عضلاتها فتعود قادرة على احتمال صعوبات الحمل والولادة وباكتسابها المتانة والمرونة الرياضية تصبح اكثر قابلية للعودة الى نحو ما كانت عليه قبل ذلك

ومما لا مفر منهُ ظهور الخطوط البيض على البطن واحياناً على الثديين بسبب تمدد الجلد ابان الحمل . وهذه اذا كانت خفيفة يمكن ازالتها بالمسد بالزيت واستعمال الألبولين . واذا ما حدث تورم في الرجلين ناشئ عن توسع في الاوردة وبالتالي عن احتقان الدم فيها يحسن استعمال جوارب من المطاط في الحوادث الخفيفة

***

﴿ الطعام ﴾ : — من المحتم ان يكون طعام الحامل بسيطاً غير معقد وان لا تتناول اللحم والمرق اكثر من مرة واحدة في النهار مع الاقلال من المواد النشائية المقلوة بالدهن والزيت والحلويات المشبعة نشاً . وفيما عدا ذلك يحسن اطلاق الحرية في المأكولات والاكثار من شرب الماء والحليب وتناول الاثمار والخضر والحبوب لتليين الامعاء الا ان الكثيرات من الحوامل يقللن الاكل في الاشهر الثلاثة الاخيرة رغبة منهن في تقييد نمو الطفل في الاحشاء لتسهل الولادة . فاذا ما افرطن في الامر كانت النتيجة وخيمة . والبعض ينصحون للحامل بتناول انواع من المأكولات تقلل نمو العظام في الجنين فتسهل بذلك الولادة وهذا ايضاً ينبغي معهُ الروية والحيطة لانهُ كثيراً ما يضر بالام والجنين معاً وربما سبب لهُ مرض الكساح . والكثيرات من الحوامل يضاعفن مقدار اكلهن

اعتقاداً منهنَّ بأن هذا من الضروري لقيام بغالة الجنين والام معاً . وهذا ايضاً من الضرر بمكان وأصدق نصيحة يمكننا اسداءها بهذا الصدد هي اننا لا نستطيع ابداء رأي جازم في هذه الامور وامثالها لأن نتائجها غير موثوق بها فتتوقف على عوامل شخصية عديدة . انما الافضل ان تظل الحامل مثابرة على عادتها قبل الحمل مع التحفظات التي ابديناها في صدر هذا المقال وان تتجنب عسر الهضم بتناول المأكولات التي تعرف بالاختبار انها لا تولد ذلك فيها ، وان تؤمن في طعامها وجود المقادير الكافية من المواد البيتامينية والكلسية فالاولى منها أثر بين في حفظ مناعة الجسم وتقوية بنية الجنين والثانية مقام عظيم في تكوين العظام وانمائها ولذا وجب تناول الحليب والزبدة والبيض والخضر كالخس والملفوف (الكرنب) والبندورة (الطماطم) والبزلاّ والجزر وغير ذلك من انواع الاثمار وخصوصاً ما كان منها فيه مواد حمضية

ومما يجب تجنبه في اثناء الحمل تعاطي المسكرات على اختلاف انواعها لتأثيرها السيء في صحة الام والجنين معاً . كما وانهُ يجب الاكثار من تناول السوائل كالماء والليموفادة وعصير العنب وغير ذلك في النصف الاول من مدة الحمل . والاقلال منها وخصوصاً عند تورم الرجلين في المدة الاخيرة . ولعلَّ من الخير ان نذكر انَّ ما اوردناه قبلاً من المأكولات الواجب اتباعها انَّ هو الاَّ على سبيل التمثيل دون ان تكون الحامل مقيدة بها كل التقيد . فالجسم البشري يختلف باختلاف الاشخاص والبيئة والمحيط وليس ثمت من قاعدة عمومية يمكن تطبيقها على الاجسام المختلفة تصح في كل زمان ومكان ، انما اوردنا ما اوردناه وغايتنا في ذلك اتخاذه مثالاً قابل التغيير والتعديل ليُنسج على منواله

***

﴿ الرياضة البدنية ﴾ — من الواجب في اثناء الحمل ترويض الجسم في الهواء الطلق دون ان يسبب ذلك للحامل تعباً اذ انهُ من الخطأ آنئذ ان تتخذ من الرياضة سبيلاً الى تقوية عضلاتها لتسهيل مهمة الولادة ، فان ذلك في غير اوانه ، وكان الاولى الاهتمام به قبل الحمل . ولعل أفيد انواع الرياضة لها المشي الوئيد في الهواء الطلق والتعرض لنور الشمس مع تجنب التعب . فان ذلك يزيد نشاط الدورة الدموية والتنفس ويساعد على الهضم وازالة الافرازات الجسدية مقوياً الاعصاب وباعثاً على النوم ومنشطاً للجسم عموماً الاَّ انهُ يجب الامتناع بتاتاً عن التنس والغولف والرقص وما شاكل مما يجهد القوى

ولا يحظر على الحامل الامتناع عن ارتياد امكنة اللهو والاجتماعات العامة انما يجب الحذر من ازدحام الشديد خوفاً من الاضرار بها . كما وانهُ يجب عليها الاقلال من السفر . واذا ما اضطرت اليهِ فبكل راحة وتؤدة ، الاَّ اذا كانت ممن استطنَّ قبلاً او لوحظ فيها استعداد الى الاسقاط فيجب عندها الامتناع عن السفر بتاتاً . ولا يمكننا قبل تركِ هذا الموضوع الاَّ تكرار التشديد على ما للهواء

النقي من الشأن الكبير في حياة الحامل ، فعليها ان تصرف لا اقل من ساعتين يومياً في الهواء الطلق وان تتخذ ما يلزم لتبديل الهواء ليلاً ونهاراً في مسكنها كفتح النوافذ وغير ذلك

﴿راحة البال﴾ وكما ان عليك لجسمك واجباً ان الحمل كذلك للعقل عليك واجب آخر لا يقل شأناً عن ذلك ، فراحة البال والسعادة والطمأنينة هي من متوجبات الحياة ويزداد شأنها وتبلغ شأواً بعيداً عند ما تكونين حاملاً . ولذا وجب تجنب كل ما من شأنه الازعاج وافلاق الراحة وعدم التفكر بيوم الولادة او الاصغاء لاحاديث الزائرات وسواهن ممن يطيب لهن تعداد المشاق التي عانينها متذكرة بعد قراءة ما كتبناه بهذا الصدد ان هنالك يد الطبيعة تساعدك على عملك : وانك اذا ما اتبعت نصائح اهل الخبرة والاختصاصيين واتخذت وسائل الحيطة اللازمة التي يشير بها طبيبك ، انك اذا فعلت كل هذا وتركت عناء الغد الى حينه كان لك من راحة البال والطمأنينة خير نصيب يحفظك قوية سليمة للقيام بعملك الهام . واذكري دائماً ان هنالك يداً فوق يدك ويد الطبيب ، هي التي شقت لك هذه الطريق وهي التي تقودك فيها وترعاك بعنايتها

***

﴿ الامعاء ﴾ ومما يجب الانتباه له اشد الانتباه ابان الحمل الاعتناء بالامعاء لتكون لينة يسهل خروج السموم البدنية منها مع البراز كي لا يزيد عمل الكليتين فوق ما تتحملانه وكي يبقى الجسم نشيطاً معافى . ويظهر ان اثنتين في المائة من الحاملات يعيبهن الامساك ولذا وجب تلافي الامر والاهتمام به وبذل الجهد في حفظ الامعاء ليّنة . كما وانهُ يجب تجنب اخذ المسهلات واذا لزم ذلك فبعد استشارة الطبيب . وافضل الطرق لمكافحة الامساك ابان الحمل وفي الحالات العادية هي ما يلي :—

١ — عيني وقتاً محدداً ثابتاً كل يوم تذهبين فيه الى بيت الخلاء ، وافضل وقت بعد طعام الافطار صباحاً . فاذا ما تعسر خروج الغائط فلا تستثيريه بالشد خوفاً على الجنين بل الافضل استثارة المستقيم بواسطة تحميلة من الغليسرين او المحقنة ، فاذا ما سهل الامر بعد ايام امكن الاستغناء عن هذه الوسائل الميكانيكية

٢ : — مما يساعد على تليين الامعاء شرب كأس من الماء البارد صباحاً بعد الاستيقاظ ومساء قبل النوم مع تناول الاثمار كالتفاح والليمون وغير ذلك وشرب الماء بكثرة في اثناء النهار

٣ : — اكثري من تناول الخضر والفاكهة وخصوصاً السبانخ والبازلاّ واللوبيا والبندورة ( الطماطم ) والحبوب وما شاكل وامتنعي عن شرب الشاي بتاتاً لانهُ يسبب الامساك

٤ :— استعملي كل مساء قبل النوم حقنة من زيت الزيتون العادي في المستقيم تحتوي نحواً من ٢٠٠ جرام فيظل الزيت طول الليل في المستقيم فيلطف غشاءهُ المخاطي ويمنع تقلصه او تشنجه فيسهل خروج الغائط ، ولا سيما اذا استعملت حقنة ماء عادي في صباح اليوم الثاني ولا تنسي ان الرياضة البدنية والحركة تساعد على تحريك الامعاء وبالتالي على تليينها

﴿ الكليتان ﴾ للكليتين وظيفة هامة في الجسم وهي فرز المواد السامة في الدم كالحامض البولي وغيره . فاذا ما أعيقتا عن القيام بوظيفتهما لامر ما نتج من جراء ذلك تسمم امتصاصي غير محمود العاقبة وهما أبان الحمل مركز الضعف ونقطة الخطر ولذا وجب الانتباه لهما . وهذا يتم بفحص البول مرة كل ثلاثة اسابيع او اكثر اذا لزم الامر لتثبت من مقدار الزلال والسكر والنقل النوعي والحامض البولي واليوريه . ومن الضروري ان لا يتجاوز مقدار البول المدرور في اثناء اربع وعشرين ساعة ١٥٠٠ سنتيمتر مكعب ، وان لا يقل عن ذلك بكثير . وعلى كل الاحوال يجب اعلام الطبيب بالنتائج ليتخذ الحيطة اللازمة لاسيما اذا حدث تورم في الرجلين واليدين والجفون

***

﴿ النظافة ﴾ تزداد حيوية الجلد ويكثر نشاطه ابان الحمل اكثر من المعتاد فتتعزز افرازاته ولذا وجبت العناية الخاصة بنظافته آنئذ لتسهيل افراز المواد السامة من مسامه ، زد على هذا ان النظافة بالاغتسال تنشط الغدد الدهنية والعرقية وتزيل المواد المتجمعة عليه فينتعش ويزداد نشاطه وتزول الرائحة الكريهة عنه . ولذا وجب الاستحمام اليومي في اثناء الاسبوع او معظم ايامه بماء فاتر تتراوح درجته بين ٣٧ و٣٧ ½ ٣٧ سنتيغراد . ويحسن ايضاً الاستحمام بالماء البارد أيام الصيف وفي البحر الا انه يجب تجنب الشاطىء حيث تكثر الامواج خوفاً من الاسقاط

وقبل ميعاد الولادة بشهر يجب الامتناع عن استعمال المغطس خوفاً من التلوث بعدوى الاوساخ والاعتياض عنه بحمام المرشة ( دوش ) . ويحسن احياناً عند ما تكثر افرازات الجلد الاستحمام بالماء الفاتر وفرك الجسم بعد ذلك بمنشفة غطست في الماء المالح وعصرت جيداً

***

﴿ العناية بالثديين ﴾ منذ البلوغ تجب العناية بالثديين كي يكونا أهلاً للقيام بوظيفة الارضاع وكم تحسر الام وتحسر ولدها معها عند ما لا تستطيع القيام بهذه الوظيفة لخلل في تثديها تاركة بذلك اياه لحليب المرضعات . ولذا وجب حفظهما منذ البلوغ سليمين بنوان نموهما الطبيعي ، وان يمنع عنهما أي ضغط مقصوداً كان أم غير مقصود ، وان تهتم الفتاة ابان الرياضة البدنية او اللعب بعدم الاضرار بهما وان تعتني الامهات بصحة الاعضاء التناسلية في بناتهن كما يعتنين بأثناء عقولهن وزيادة معارفهن واذا ما كبر الثديان ابان الحمل وجب استعمال الصدرية وغسلهما بالماء يومياً بالماء الفاتر والصابون مع بذل الجهد في تنظيف الحلمتين من القشور العالقة بهما بزيت الزيتون النقي أو « كولد كريم » ويجب الحذر كل الحذر من استعمال المواد الكحولية وما يشاكلها لغسل الثديين لانها تسبب تصلب الحلمتين اللتين يجب ان تبقيا ناعمتين طريتين . وبكلمة موجزة يجب تجنب كل ما من شأنه الاضرار بهما خوفاً من ان يسبب ذلك فيما بعد التهاباً فيهما

# مكافحة الرمد

## في البلاد المصرية

للدكتور فريد مسعود

﴿ شدة انتشار الرمد ﴾ الرمد في البلاد المصرية معضلة تعترض كل من يعنى ببحث مسائل الصحة العامة فليس الرمد احد الامراض المتوطنة فحسب بل هو يحق اكثرها انتشاراً واعظمها شرًّا وابعدها اثراً فلانتشاره يكفي ذكر النسبة المئوية الهائلة ٩٥٪ ودليل شره نسبة العميان التي هي ٨ ٪ واما اثره البعيد فيظهر من تغلغله في جميع الاوساط وتسربه الى مختلف الطبقات . فتجده عند الغني في قصره . بينما هو ملازم للفقير في كوخه وهو مزمن شديد الازمان قد تمر على المريض سنون وكلما ظن انهُ قد تخلص منهُ بعد علاج طويل فاذا هو باق في عينيه يطل منهما من آن لآن

ولعلَّ شر مصائبهِ وجوده بافل وطأتهِ في عيون الاطفال فالمشاهد والمحقق هو ان الاطفال اكثر عرضة للاصابة بالرمد من الكبار بل ان الطفل كلما كان اصغر سنًّا كان تعرضهُ للرمد اشد واكثر حدوثاً

وعلى هذه الملاحظة بنوع خاص يبنى مشروع مكافحة الرمد عن طريق رعاية عيون الاطفال

***

﴿ بدء الاصابة بالرمد ﴾ ومن المحقق ان اصابة الطفل بالرمد ترجع في بدئها الى جهل الام بأبسط قواعد الصحة العامة كنظام التغذية ولنظافة الجسم ويضاف الى هذا ما اعتاده السواد الاعظم من الطبقات الفقيرة من التصرفات التي تسبب وصول مواد مؤذية لعين الطفل اما عفواً او قصداً مما هو راجع في مجموعه الى مخلفات الجهل وخرافات عصور الظلام فترى الطفل الذي يولد بعينين سليمتين لا يلبث بضعة ايام أو اسابيع حتى تبدأ اصابته بالرمد فيظهر احمرار في العينين مع تورم وافراز وقد تزيد هذه الاعراض او تنقص بحسب شدة الاصابة او بساطتها

ومن هذا الحادث او بالحري قبل ذلك بمدة ما يبدأ تاريخ حافل بالآلام والمتاعب هو تاريخ الرمد وقد ينجو منهُ الطفل بعينين سليمتين بعد مكابدة الرمد زمناً طويلاً او يقل البصر بسببه ان لم يضع تماماً

والذي يستنتج من كل هذا حقيقة لا تحتاج الى تعليق وهي اننا اذا حافظنا على عيني الطفل من

الاصابة بالرمد في بدأ حياته وهذا ممكن عمليًّا فقد وضعنا سدًّا مانعاً في طريق انتشار الرمد وبالتالي خطونا خطوة موفقة في طريق مكافحة الرمد

﴿ لزوم تعميم رعاية عيون الاطفال ﴾ وليست رعاية عيون الاطفال من الرمد شيئاً مجهولاً بل هي امر واقع يباشر فعلاً في مراكز رعاية الاطفال وفي مستشفيات الرمد الحكومية وغيرها فهذه المنشآت تقوم بقسط وافر من علاج عيون الاطفال المصابة بالرمد ولكنها في مجموعها بالنسبة لانتشار الرمد لا تفي من الحاجة الا بالشيء القليل . او ما يقدر بعشر معشار ما هو لازم للحالة الواقعة . ولا شك انهُ ليس من حسن تدبير الامور ان يترك الحال على ما هو عليه الآن وهناك الآلاف بل الملايين من المصابين بالرمد . وممن سيصابون به حتماً . وليس من الجائز عقلاً ان نكتفي بالقليل الموجود . اذا كان في مقدورنا زيادتهُ بغير مشقة حتى نصير اقدر على منع المصاب او على تخفيف البلاء

***

﴿ مراكز مكافحة الرمد ﴾ والواقع ان مكافحة الرمد يمكن ان تعود بالفائدة المطلوبة في اماكن صغيرة متعددة ربما كانت اصلح لهذا الغرض من المنشآت الكبيرة الكثيرة النفقة . وخاصة من ناحية المرضى الذين يكلفون الآن مشاق الانتقال لمدد طويلة فلا يضطرون عندئذ الى اضاعة الكثير من الوقت وتحمل المتاعب والنفقات في الذهاب من منازلهم الى المستشفيات الكبيرة البعيدة عنهم

هذا الى ان اكتظاظ المنشئات القائمة الآن بالمرضى لا يسمح بازدياد عددهم هناك عما هو عليهِ الآن . فضلاً عن ارهاق الاطباء بالعمل وما يتبع ذلك من عدم تحقيق الفائدة المطلوبة للجميع ومتى كان الغرض الاقتصار على علاج الرمد فقط وهو ما ترمي اليه مكافحة الرمد فيكفي ان يكون هناك مكان صغير نظيف مكوّن من غرفتين متصلتين احداهما لعيادة المرضى والاخرى للانتظار . وهذا ما يطلق عليهِ اسم مركز لمكافحة الرمد فتقوم هذه المراكز في انشائها وتأثيثها بالاقتصار على ما هو لازم وضروري من حيث المعدات بل ومن حيث المكان والعمال

وكل هذا واضح ومعروف بل ومقبول ومتبع فعلاً في كثير من المنشآت الصغيرة الحكومية وكذلك مسألة تدبير الاطباء والعمال اللازمين للعمل بهذه المراكز . فهي لا تصعب على الادارة العليا لأن نظام العمل المتبع لمكافحة الرمد بسيط لايحتاج الى غير القليل من التمرن لاتقانه . وليست مكافحة الرمد في مهارة العلاج بمقدار ما تتوقف على اتباع نظام خاص معظمه تعليم وارشاد

﴿ تنظيم رعاية عيون الاطفال ﴾ نقول ان كل ما ذكر قبلاً ليس فيهِ شيء خاف على علم القائمين بأمور الصحة العامة في هذه البلاد . فقد درست هذه المسائل . وتكرر بحثها واتبعت فعلاً فليس

فيها شيء جديد سوى تنظيم رعاية عيون الاطفال بطريقة تضمن ان يبدأ بها من وقت ولادتهم وتستمر الى زمن معلوم من سنة الى سنتين الى ثلاث سنوات او اكثر حتى يجوز الغاء هذا الدور الخطر الذي هو في الواقع دور الاصابة بالرمد لكل مصاب تقريباً

﴿المال اللازم لمراكز مكافحة الرمد﴾ واذا روعي ما ذكر قبلاً من ابواب الاقتصاد في النفقات وكانت مراكز مكافحة الرمد متعددة وقريبة من المرضى ففي الامكان تدبير كل المال اللازم لها او معظمه بفرض اجر زهيد على علاج الكبار من المرضى على أن لا يزيد هذا المبلغ على قرش صاغ واحد في المتوسط للزيارة الواحدة

ومما سبق لنا من التجارب يمكن ان نعطي مثلاً لمركز صغير . معدله كما يأتي :

عدد المرضى يومياً مائة علاجهم مجاناً وثلاثون علاجهم بقرش لكل شخص . فيكون الايراد السنوي ٩٠٠ جنيهاً ينفق منها ١٢ جنيهاً ايجار المكان و١٨ جنيهاً مرتب المساعد و١٠ جنيهات نفقات مختلفة ويبقى ٥٠ جنيهاً تزيد او تنقص هي مكافأة للطبيب الذي يقوم بالعمل في مدة تستغرق نحو الساعتين يومياً

﴿وصف النظام المتبع﴾ عند ما يحضر المريض يكتب اسمه في دفتر الحضور ويعطى النمرة المسلسلة وتذكرة تخوله الحضور للعلاج يومياً

يكتب على هذه التذكرة من الوجه الواحد النمرة والاسم وعمر المريض واسمه والتاريخ وحالة العينين من حيث الرمد ويؤشر عليها يومياً بالتاريخ والعلاج مع ذكر نمرتها في دفتر الحضور اليومي. ويدون على الوجه الآخر تعليمات يطلب من المرضى اتباعها بشأن النظافة والغذاء والصحة العامة . تعطى هذه التذكرة للمريض في اول يوم وثمنها قرش صاغ وتبقى معهُ دائماً وهي تخول حق الدخول للعلاج بدون مقابل للاطفال من وقت ولادتهم لغاية سنتين من العمر ويمكن تجديدها من وقت لآخر واما المرضى الذين يزيد عمرهم عن سنتين وتذكرتهم كالسابقة ما عدا لونها فيؤخذ منهم قرش صاغ عن علاج مرة واحدة او خمسة قروش عن علاج اسبوع او ١٥ قرش عن علاج شهر

في احد المراكز التي تسير فعلاً على هذا النظام زاد عدد المرضى الجدد في مدى السنتين الماضيتين على ٣٥٠٠ مريض

***

والخلاصة ان الفرصة سانحة الآن للقيام بتعميم رعاية عيون الاطفال والتعجيل بانشاء المراكز الرمدية اللازمة لذلك والانتفاع بما هو موجود منها الآن ، ان كانت حكومية او تابعة لهيئات أو افراد تجتمع كلها تحت ادارة هيئة عليا ، حتى تسير جميعها على اكمل نظام الى الغرض المنشود وهو استئصال الرمد من البلاد المصرية

وهذه الهيئة العليا تستمد المساعدة اللازمة من ولاة الامور مع حصولها على معاونة وتعضيد الجمهور الذي هو في الحقيقة العماد الذي يستند عليه نجاح هذا العمل

# باب المراسلة والمناظرة

## إرشاد لغوى

### فى كل جزء كلمة

لمؤسسه عبد الرحيم بن محمود

---

## المُسْتَشْفَى

احتلت فرنسا مصر سنة ١٧٩٨م ثم احتلتها انكلترا سنة ١٨٨٢م احتلالاً سياسيًّا ولكنها محتلة من الدول الغربية والشرقية احتلالاً اقتصاديًّا ولغويًّا فكان من آثار الاحتلال الاجنبي احتلال الالسنة والأقلام فى مصر حيناً من الدهر فتسربت ألفاظ من فرنسا التى رحلت عن بلادنا فى لغتنا العربية وكذلك ألفاظ انكليزية تتزايد بإقامة الإنكليز بمصر سواء كانوا في وادي النيل قبل الإسلام

فمن هذه الألفاظ الدخيلة فى غير حاجة إليها ( اسْبِيتَالِيه ) وهى لفظة لاتينية في الأصل ( Hospitalis )[1] والحرف الاول صامت فينطق بالكلمة هكذا ( أسْبِيتَالِيا ) وقد وضع بعض الأدباء فى عصر النهضة الحديثة لفظاً عربيًّا فصيحاً عذباً سائغاً للناطقين والكاتبين وهو مستشفى اشتقه من استشفى عند الكوفيين أو من الاستشفاء عند البصريين ـ واستشفى أى طلب الشفاء لأن السين والتاء هنا للطلب ولا ريب أن من يدخل هذا المكان يطلب الشفاء من الله عز وجل على أيدى الأطباء مداوى بأدويتهم على وفق وصفاتهم

فلله در هذا الاديب اللغوى الذى أحيا لفظاً عربيًّا صميماً ليميت لفظاً أجنبيًّا غريباً. ولو اشتق المشفى أى مكان الشفاء من الفعل شفى أو من المصدر شفاء لكان هذا المشتق مقبولاً أيضاً وليس كل من يلجه من المرضى يحقق الله شفاءه ولكن كل من يدخل في هذا المكان يطلب الشفاء فالمستشفى أولى بتسمية هذا المكان من تسميته بالمشفى لهذه النظرة التى توجه الى فؤاد الحقيقة اللغوية المنطقية المرادة

وليت الاديب الألمعى الذى تخير الاسم (مستشفى) لهذا المعنى قد جمعه لأن علمه وذوقه يعصمانه من الخطإ في جمعه كما أخطأ فيه المتأدبون في عصرنا هذا فقالوا المستشفيات جمع مستشفى وقد وهموا فى جمعه جمع مؤنث سالماً لان ألفه وهي لام الكلمة ليست للتأنيث إذ أن مستشفى بوزن

---

(١) أسبتاليا اللاتينية ( Hospitalia ) كان عاماً يخصص فيما أخذ منه الى اللغات الانكليزية — هسبيتل ( Hospital ) والفرنسية — أوبتال ( Hôpital ) والايطالية ( Ospedale ) — أسبيدالى — فهذه اللغات الثلاث خصصت المشتق من الاصل اللاتيني بمكان الاستشفاء أى دار المعالجة والاصل اللاتيني يشمل هذا والملهى والفندق والملجأ للاطفال وللعجزة وتعليم بناء الفقراء بالمجان كما يشمل دار معالجة الحيوان الى غير أولئك

مستفعل لأننا نقول بهذا المستشفى صديقنا أو أخونا أو طبيبنا ولا نقول بهذه المستشفى فلان . فان قيل ما المانع من إرادة بقعة الاستشفاء فيقال هذه مستشفى . قلت إذا صح ذلك فلك أيها المستدرك انواتم ان تقول هذه منزل مريداً بقعة النزول ولا يوافقك على هذه الاشارة إلى المنزل أحد وما نطق بهذا الاسلوب عربيٌّ ولا مستعرب فقد قالوا جميعاً «هذا منزل» كما قال تعالى في كتابه الكريم « وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين » فقوله مباركاً دليل على تذكيره كما لا يخفى على المبتدئين لغة

فالواجب علينا جميعاً أن نجمع المستشفى على المشافي بوزن المفاعل من أوزان صيغة منتهى الجموع فإن قيل كيف تجمع المشفى قلت أجمعه على المشافي أيضاً والصيغة في الجمع لا تستطيع حمل ثلاثة أحرف زيادة على الأصول فيجب حذف حرفين زائدين من المفرد عند الجمع وهما السين والتاء ويجب إيثار الميم بالبقاء لان لها ميزة اكثر من الحرفين المذكورين لأن اسماء المكان من غير الثلاثي تبدأ كلها بالميم . ولمستدرك أن يستدرك على هذا الجمع الذي يتحقق لجمع مفردين مختلفين في بعض المبنى وبعض المعنى «مستشفى ومشفى» لما قدمنا فأقول ما قاله علماء الصرف واللغة إنه لا يعول على هذا اللبس إن كان . وللكلام قرائن تفهم من السياق فإذا قلت زار كبير الاطباء في مصر المشافي فهمنا أنهُ زار مستشفى العينى ومستشفى الملك ومستشفى دمنهور ومستشفى الاسكندرية إلى غير أولئك لأن المفرد المتداول الذي يعرفه الناس هو المستشفى لا المشفى . ورب قائل يقول ما المانع من جمعه جمع مؤنث سالماً بمقتضى القاعدة إن كل خماسي لم يسمع له جمع تكسير يجمع جمع مؤنث سالماً كما قالوا حمامات واصطبلات في جمع حمام واصطبل فالجواب ان مستشفى ليس بخماسي بل هو سداسي وإن عاملتموه زائد على الخمسة معاملته في الجمع فليكن ذلك في غير ما أشبه هذا . ولا يخفى عليك أن جمعهم المتوصف (أي مكان طلب الوصف) على مستوصفات خطأ أيضاً لما قدمنا والصواب جمعه على مواصف[1] وصواب مهجور خير من خطأ مشهور

هذا — وإني لشاكر للاستاذ البحاثة ( أديب عباسي ) لكلمته التي أسداها إلى قراء المقتطف وأبناء العرب والمستعربين جميعاً بمقتطف الشهر الفائت حيال ( قَدَمِيَّة ) التي يستعملها عامة العرب والمستعربين من أبناء سورية اليوم — ولست بمستحق منهُ ثناء عليَّ بما في إرشادي اللغوي بالمقتطف فإنه هو الجدير بالثناء والشكر وأجدر بهما منا من يذيع الكلمات العربية استعمالاً بدلاً من الكلمات الدخيلة — وعندي ان الرجوع إلى اللفظ العامي إن كان عربيًّا أو محتاجاً الى تهذيب إن كان قريباً من اللفظ العربي الصميم خيرٌ من عرض ألفاظ عربية مهجورة تغني عنها الالفاظ العامية المهذبة أو التي لا تحتاج الى تهذيب إن طابقت ما نطق به العرب مثل قَدَمِيَّة بدلاً من (ڤزت) الانكليزية أو (ڤيزيت) الفرنسية وعلى هذا النحو نحو جميعاً . وان في كلمتي الموجزة إرشاداً للمجامع اللغوية العربية .

(١) مستشزرات في قول امرىء القيس « غدائره مستشزرات الى العلا » جمع مستشزرة لا مستشزر بدليل ( غدائره ) جمع غديرة كضفيرة وزناً ومعنى وما ختم بالتاء مقيس جمعه جمع مؤنث سالما . ومعنى مستشزرات منتولات او مرتفعات جمع منتولة او مرتفعة كما في الشروح واللاغي . والضمير في غدائره يعود على شعر صاحبته الموصوفة

# مكتبة المقتطف

## معضلة السرطان

تأليف الدكتور باترويج — ترجمة الدكتور يوسف حتي — والاستاذ شاكر نصار —
المطبعة الاميركية ببيروت صفحاتها ٢٢٦ قطع المقتطف بنط ٢٠ — ثمنه ليرا سورية او نحو ٢٥ قرشاً مصرياً

« السرطان مرض عضال وشقاؤه مشكلة من المشاكل التي تهم الجنس البشري بأسره. وقد بذل الاقدمون جهوداً جبارة محاولين حل المشكلة فتمكنوا تدريجاً من درس الامراض التي كانوا يظنونها من اصل خبيث، والتي تقع تحت اسم السرطان عامة فقسموها الى انواع ثم وجهوا اهتمامهم الى حل كل نوع منها على حدة . . . . . ان امرأة من كل ستة نساء ورجلاً من كل احد عشر رجلاً فوق الخامسة والثلاثين سنًّا يصابان في وقت ما من حياتهما بمرض من هذه الامراض الخبيثة . . . »

هاتان العبارتان المنتزعتان من الصفحة الاولى في مقدمة المؤلف تجملان للقارىء معضلة السرطان ومداها . اما البيان الواضح فمضمون الكتاب كفيلة به. ولعلهُ افضل ما كتب باللغات الفرنجية في بابهِ من حيث جمعهُ بين الاحاطة والايجاز الذي لا يخلُّ، من تاريخ المرض في العصور القديمة الى احدث الآراء في تعليلهِ وعلاجهِ ومدى انتشارهِ في انواع النبات والحيوان علاوة على الناس . فالاجمال المنسَّق وهو الصفة البارزة في هذا الكتاب ، حمل العلماء في مختلف الامم على ترجمتهِ وطبعهِ مراراً . وقد تُرجم حتى الآن الى الفرنسية والاسبانية والايطالية والبولونية وغيرها من اللغات الحية .

فنحن نوجه الشكر الى الدكتور يوسف حتي والاستاذ شاكر نصار ، ونهنئهما باخراج الترجمة على اوفى ما يكون طبعاً وحسن بيان

في الامكان قسمة الكتاب الى جزئين . اما الاول فيشتمل على بحث تاريخي في اقوال المتقدمين في السرطان من اقدم العصور الى عهدنا هذا . فقد « ذكرهُ الاقدمون في كتاباتهم الطبية التي يرجع تاريخها الى الفي سنة على الاقل وقد اشاروا اليهِ بطريقة صريحة لا تترك مجالاً للشك ، بالرغم مما كانوا يستعملونهُ للدلالة عليهِ من الاسماء المختلفة المتنوعة المشوشة » . وقد جاء ذكره في المعاجم العربية المطولة كما يلي : « والسرطان ورمٌ سوداويٌّ يبتدىء مثل اللوزة واصغر فاذا كبر ظهر عليهِ عروق حمرٌ وخضر متشعّبة شبيهة بارجل السرطان ويقال انهُ لا مطمع في برئهِ وانما يعالج لئلاَّ يزداد على ما هو عليه» . وقد قسم البحث في تاريخ السرطان الى تاريخهِ في العصور القديمة ففي العصور الوسطى ففي عصر النهضة العلمية الحديثة في القرن العشرين

ويلي ذلك فصل في حدوث الاورام في النبات والحيوان وهو بحث طريف يدخل في باب العلوم

العامّة وتلذُّ مطالعتهُ للطبيب وغير الطبيب على السواء ، فيعلمان ان الاورام المختلفة التي تصيب المملكة النباتية هي لا شكَّ مشابهة من عدة وجوه للاورام الخبيثة وغير الخبيثة في المملكة الحيوانية . وان سرطان الثدي كثير في الفارة الولود لان تدييها معرض للاحتكاك مدة طويلة لارضاعها عدداً كبيراً من الصغار . وان الكلاب اكثر الحيوانات الداجنة تعرضاً للسرطان . وان الهررة تقرب كثيراً من الكلاب في الاستعداد للاصابة بالاورام السرطانية . وان الخنازير والغنم والماعز اقل استعداداً للاصابة بها من الحيوانات الزراعية الثلاثة . وغير ذلك من الحقائق الطريفة

اما القسم الثاني من الكتاب فيتناول السرطان في الانسان . وفي اول هذا الباب يجمل المؤلف الصعاب التي يصادفها العلماء في تحديد السرطان فيقول : « ان صعوبة وصف السرطان من الوجهة الهستولوجية مستقلةٌ عن باقي الاورام لا تقلُّ عن صعوبة تحديده من الوجهة السريرية . ولا يخفى ايضاً ان الاورام والالتفافات ليست كلها من النوع الخبيث ، فقد يكون السرطان في بعض الاحيان خالياً من الورم بل بالعكس قد يكون هناك نقص في الانسجة ... كالسرطان اليابس في الثدي . فمن هذا تتضح لنا صعوبة تحديد السرطان والاورام عامةً والسموم لا سيما والاسباب الحقيقية لظهور هذه الاورام لا تزال مجهولة والفوارق بين الاورام الخبيثة والسليمة غير مميزة ولا معروفة »

ومن هنا يمضي المؤلف في بيان اساليب درس السرطان المختلفة وانواع الاورام من الوجهة العلمية . ففي الفصل الخامس يقيم الدليل على ان نجاح البحاث في نقل السرطان ليس برهاناً على ان الداء معدٍ ، وان توليد السرطان بالتطعيم يسوغ مداواتهُ بالجراحة

ويلي ذلك فصل في سير المرض وتشخيصه والوقاية منهُ وعلاجهُ بادوية وصفها بقوله « ما يسمونهُ ادوية السرطان الشافية ! » ورأيهُ فيها ان الاتكال على طرق المعالجة بغير الجراحة يضر غالباً لانهُ يضيع الوقت ..... وقولهُ « لا نرى افعل من الجراحة في معالجة السرطان — بحسب معلوماتنا الحاضرة — فانها الى الآن الوسيلة التي يجب ان نعلق عليها الآمال »

وهو كذلك غير قوي الثقة بفائدة العلاج بالاشعة فيقول في الصفحة ١٤٢ « ان استعمال النور يخفف الالم ولا تأثير لهُ البتة في شفاء السرطان . اما اشعة رونتجن فنها بعض النفع اذ تبعث في المريض روح الامل لان مفعولها في تلطيف الالم يدوم مدة طويلة من الزمن وفي بعض الاحيان تذيب النتوءات السرطانية الجلدية السطحية ويتوقف نمو البعض منها وغالباً تذيب الاورام الراجعة بعد العمليات الجراحية غير ان فائدتها كثيراً ما تكون عقيمة في الاورام الداخلية .... الخ »

وعندهُ ان المعالجة البيولوجية اي بالمصل والتطعيم وخلاصات الغدد لن تحقق الآمال قبل ان يتوفق العلماء الى معرفة حقيقة الخلية السرطانية من الناحية البيولوجية وعلاقتها بالمصاب الذي تفتك به

والكتاب مختتم بفصل يحتوي على احصاءات السرطان في مختلف بلدان العالم وفيه نبذة خاصة

بسوريا ولبنان وضعها الدكتور فيليب اشقر . ومسلك الختام فصل في تهذيب السكان وتدريبهم على مقاومة السرطان آيلة ان نزع الخلايا السرطانية نزعاً جراحيًّا باكراً يكفل الشفاء التام

وبهذا الحال لو اضاف المترجمان الى جهدهما الكبير الموفق في نقل الكتاب جهداً يسيراً آخر في وضع جدول بالالفاظ العلمية التي استعملاها في الترجمة وما يقابلها في الاصل الانكليزي، وكذلك رسم اسماء العلماء في هوامش الصفحات بالحروف الفرنجية لان الحروف العربية لا تساعد على ضبط الاسم عند التلفظ به ولا تهدي المنقب الى صاحب الاسم عند ما يحاول البحث عنهُ في المعجمات والموسوعات الفرنجية

## جبران خليل جبران

### حياته — موته — أدبه — فنه

بقلم ميخائيل نعيمه — ٣٠٧ صحيفة من الحجم الكبير — مطبوع طبعاً متقناً بغلاف جيل بمطبعة لسان الحال ببيروت

كتبُ التراجم عندنا ليست الاّ سجلّ حوادث في أسلوب خبري جافّ لا تستطيع أن تستشف من ورائهِ صورة المترجم له الاّ اذا أردت ان تزيل الغبار وترسم الصورة بيدك من جديد . وطالما تمنيت ان أرى في العربية ترجمة كتراجم لدوج مثلاً حتى وجدت خطوة جريئة من الاستاذ ميخائيل نعيمه في كتابهِ (جبران خليل جبران) وهي خطوة موفقة كل الترفيق دون مغالاة ، فلقد استطاع في لباقة ومهارة أن يعرض لقارئهِ حياة الشاعر الفنان جبران كما تعرض أفلام السينما قصة تاريخية متعمقة الى أبعد دقائقها ، ولقد يكون في أبسط هذه الدقائق ما يزيح ستاراً كثيفاً عن سرّ عميق

وقد استطاع الاستاذ ميخائيل نعيمه — وأسلوبه معروف لأدباء العربية كما أشرت الى ذلك من عامين عند الكتابة عن كتابه (المراحل) — أن يمزج روحه بروح جبران وأسلوبه بأسلوبه فتحس في كتابه بوحدة تامة لا تدري أمامها إن كنت تقرأ جبران أم تقرأ ميخائيل

واستطاع الى جانب ذلك أن يجعل من حياة صديقه رواية مسرحية تامة مرتبطة الفصول والمناظر لا تفقد حبكتها ودقتها . ومن كلمته ( اعتذار ) التي قدّم بها الكتاب نفهم الدقة التي أخذ بها المؤلف نفسه إذ يقول : « وعندي ان كل ما يرويه الناس عن الناس باسم التاريخ ليس الاّ رغوة متطايرة فوق بحر الحياة الانسانية . أما اعماق الانسان وآفاقه فأبعد وأوسع من ان يتناولها قلم أو يستوعبها بيان . فنحن حتى اليوم لم نكتب تاريخ انسان ولا تاريخ شيء على الاطلاق . ولو أننا كتبنا تاريخ انسان واحد لقرأنا فيهِ تاريخ كل الناس ، ولو أننا دوّنا تاريخ شيء واحد لطالعنا فيهِ تاريخ كل شيء . ثم ان في حياة كل انسان اسراراً يكتمها عن الناس ، وأنا قد وقفت على البعض من أسرار جبران وفاتني منها الكثير . فهل يليق بي أن أبوح ولو ببعض البعض الذي أعرفه ؟ وان أنا كتمته فما معنى الذي أكتبهُ ؟ أأخون نفسي والقارىء وجبران بكتمان ما ليس مكتوماً في سجل

الحياة الكبرى — وان يكن مستوراً عن أعين الناس — فأصوّر صورة لا وزن بين ظلالها وانوارها ، لأرضي بعض من لا ذوق لهم في الفن ولا رأي لهم في الحياة ، وأحور على ذوقي وأدفن رأيي في التراب ؟ »

والواقع ان في حياة جبران مجموعة من الاسرار كانت في حاجة الى من يزيح عنها الستار او يفتح مغاليقها ، ولا يستطيع ذلك الا رجل عرف جبران حق المعرفة من كل نواحيه ، له بصيرة قوية تصل الى أعماق هذه النفس التي انطمست في روحانيتها وتلاشت في صوفيتها فتنتشل منها بعض الذكريات القديمة التي تمهد السبيل لمعرفة تطور هذه النفس الانسانية ، وبصيرة قوية نقادة يعطي المؤلف الصورة الصادقة عن جبران — ما لهُ وما عليهِ — لا يخفي من أمره شيئاً فهو يحدثنا عن جبران قائلاً : « كان لا يتوصل الى معرفة رجل او امرأة أو عائلة على أسمائهم شيء من اللمعان الادبي أو الفني أو المادي أو السياسي أو الاجتماعي الا اخبرني عن ذلك بلسان من لا يكترث لمثل ذلك اللمعان . ولكن بقلب من يكبر في عين نفسه اذا ما تقرب من الذين يراهم العالم كباراً . وكأنهُ كان يخشى من ان أعيب عليه التناقض بين تفوره من تقاليد الناس ومفاخرته بها فكان يطرح على كل علاقاته ستاراً من السرّ وجلباباً من الفن والادب . كأن يقول لي مثلاً : « البارحة كنت مدعوًّا الى الشاي عند مسز كورين روبنسن » ثم يضيف بفخر ظاهر : « هي أخت ليودور روزفلت » ويعقب ذلك بقوله : « وهي شاعرة تعجبك يا ميشا » . أو ان يخبرني عن سهرة عند مستر فلان « وهو مدير البنك الفلاني ، ولهُ ذوق في التصوير جميل » . أو عن زيارة لبيت فلان « وهو من أخص اصدقاء رئيس الجمهورية وهو وزوجته من أقدم العائلات الاميركية وأوفرها ثروة وثقافة » ... هكذا كان جبران يصفع الناس بيد ويصافحهم بالاخرى ، يثور عليهم عند ما يثوب الى روحه المتألم من كل شناعة وقساوة وظلم ، ويسالمهم عند ما تثور عليهِ نفسه الطامحة الى المجد والعظمة والمتوجعة من قبضة الفاقة الماسكة بخناقها ، يحفر لها قبوراً في الليل ، وفي النهار ، عند ما تلحدهم الاقدار في قبور غير التي حفرها لهم يهتف بقلب دامع : « مات اهلي وأنا قيد الحياة أندب أهلي في وحدتي وانفرادي »

***

بدأ المؤلف كتابه بصورتين تتلاطم على شاطئها حياة جبران بل حياة كل الناس ، تبدأ أولاهما حيث تنتهي الثانية ، فالصورة الاولى هي غرغرة الموت في مستشفى القديس فنسنت في الساعة الاخيرة من حياة جبران حيث شهد المؤلف افول حياة صديقه ، والصورة الثانية هي وعوعة الطفل جبران عند ولادته في بشري . ثم يبدأ المؤلف في استعراض جميل لحياة بطله وحياة عائلته حتى رحيلها الى بوسطن ، ثم يرسم الصورة الجميلة لجبران الحالم الذي يريد بناء المجد وان يسمع العالم اسمه ، ومن ثم يرسم الاستاذ ميخائيل الصور المتعددة فهنا غرام جبران الاول ، وهنا شقاء عائلته ووفاة اخته

واخيه وأمه وسخطه وبرمه وحيرته واهتداؤه الى ماري هاسكل التي قادته الى طريق العظمة بعطفها وحنانها مستعرضاً في خلال ذلك غراماً قويًّا آخر هو غرام جبران بميشلين الفرنسية ثم حياة جبران في فرنسا وأثر الشاعر الفنان وليم بليك في حياته ثم اندفاع جبران في محيط المدينة العظيمة بنيويورك . وقد طالع قرّاء المقتطف في عدد ماضٍ تحت عنوان « تمخضت الثمرة فولدت جبلاً » تلك الصورة الرائعة التي مهّد بها الاستاذ ميخائيل نعيمه للكلام عن مغامرة جبران في ذلك المحيط وفي هذه الصورة رسم دقيق للمدينة الاميركية . وقد لاحظت ان للمؤلف قدرة على رسم حياة المدن رسماً دقيقاً فقد أعطانا صورة بارعة عن مدينة بوسطن واحياء المهاجرين فيها

ثم ينتحي المؤلف ناحية اخرى حيث يحلل بعض آثار جبران الادبية والفنية، ولعل اهمها تحليله النبيّ من كتبه الانكليزية والعواصف وصورها من مؤلفاته العربية . ثم يتناول صلة المؤلف به ، وانشاء الرابطة القلمية الى غير ذلك في اسلوب روائي فلسفي أخّاذ يكفي انهُ اسلوب ميخائيل نعيمة

ولعلّ هذه الخطوة الجريئة الموفقة من الاستاذ ميخائيل تحفز غيره من الكتاب الى ان يخطوا كما خطا فتتغير أساليب التاريخ والتراجم ، وتعيش بين اذهاننا حياة عظمائنا وفنانينا ولدنا حياة خالدة في إطار ساحر جميل

القاهرة حسن كامل الصيرفي

## اغلاط اللغويين الاقدمين

### للأب أنستاس الكرملي

يطالعنا العالم الباحث الأب « أنستاس ماري الكرملي » — في كرّ الاحيان — بما يمليه بحنه على قلمه ، وكان آخر ما حظيت به العيون من ذي قلمه ، كتاب « اغلاط اللغويين الاقدمين » فقد قام شاهداً جديداً على ما يملكه الاب « انستاس » من غزارة في البحث ، وقدارة على النظر وقبض من التفكير السديد

والأب أنستاس عالم اختاره اللغة التي كادت تضيع من لسان الزمن ضيعة الراء من لسان الالثغ، فصحب اللغويين في كتبهم خمسين سنة او تزيد ، حتى خبرها وسبرها ، وفتح من ابوابها ما عيّت به مفاتيح كثير من الباحثين ، وضم العربية الى اسرة اللغات لتعرف امها وبنتها وقرابتها فيها ، فكان من خير من نهض الى لغة الضاد فنهض بها

ولقد جاء كتاب « اغلاط اللغويين الاقدمين » عيناً نافذة لاحظة ، يحس القارىء من نظراتها الروح اللغوية القوية في صاحبها ، كما يحس من الزئير اسداً ، او من اللجّة بحراً

واذا كان الاب انستاس قد ابتغى في كتابه بغية التحرير والكشف لما رآه مظلماً في كتب اللغة ، وما يتصل بها من ادب وتاريخ ، كي ينهض عليها صبحاً تقاعد فلقه ، فان ذلك يقدمنا لساجلة العالم الباحث في بعض نقده ، عسى ان نجلو ما يأخذه من غيم رقيق

فأول ما يفجأ القارىء عنوانٌ شديد اللهجة ، وحسبك ان تقرأ «اغلاط اللغويين الاقدمين» لتمتلىء نفسك بالسخط والمغضبة ، وتهز انامل البرم بالمعاجم اللغوية ، وقد كان جديراً بالمؤلف ان يبدل من «الغلط» لفظاً اخف على السمع ، وأبعد للقلق ، وأجمل بذكرى علماء اللغة ، وشهداء تحقيقها على ان الأب انستاس لم يجمل كتابه كله تغليطاً ، فانك لاتجده مغلطاً في مواضع مما يجملهُ الكتّاب في عدد الاغلاط ، مرقوماً برقمها (انظر ٧ ص ١٠١ ، ٤٨ ص ١٧٣ و ٤٩ ص ١٧٤ ... الخ)

وفي العنوان لفظ «الاقدمين» ، وهو ممدود في دلالته الاشتقاقية من صيغ التفضيل ، مع ان الكتاب قد غلب عليه المتأخرون من اللغويين ، واحتارا اكثر صحائفه .. افلم يكن هناك لفظ خير من هذا ؟؟

ولنترك هذا ، لنذكر ما يفجأ القارىء في نظام الكتاب ، واسلوب البحث فيه ، فانهُ لايرى فيه ترتيباً بين الكلمات المنتقدة (انظر مثلاً لهذا ص ٨٤ — حيث يقول «والآن نعود الى اتمام مقالتنا» وتجد هذه المقالة قد انقطعت ص ١٩ ) فيلاحظ القارىء هذه الثلم الكبيرة التي يثلمها المؤلف بين موضوعات كتابه ، وحسبنا ان يعترف الاب انستاس نفسه بهذا في قوله (ص٦): انا لاتتبع نظاماً سويًّا

ولن ننسى ان نذكر هذه الثلمات التي نضحت نظام البحث في الكتاب ، وفرقت اجزاءه ، فانها قد خرجت — كثيراً — من باب النقد والرد لتدخل باباً آخر !

ولنعرض الآن — بعض العرض — لموضوعات الاغلاط بشيء من النظر :

١ — يقول الاب انستاس (ص٨٤): جاء في لسان العرب «تتوا الفسيلة: ذؤابتاها ، ومنهُ قول الغلام الناشد للعنز : وكأن ذُعْرَها تتوا فسيلة ، والله اعلم» والظاهر ان ابن مكرم لم يفهم ما كتب ، وجاء في تاج العروس «تتوا القلنسوة ، هكذا في النسخ ، وقد اهمله الجوهري ، والصواب تتوا الفسيلة : ذؤابتاها ، ومنهُ قول الغلام ...» قلنا والصواب : تتوا القُلَنْسية او القلنسوة او القلينسة او القليسية ، اما سبب هذا التصويب فهو ان ليس تتوان للفسيلة ، وهي — ان صحت الرواية — النخلة الصغيرة ، انما التتوان تثنية تتو والتتو ذؤابة القلنسوة ، وهي ما انحدر منها ساتلاً على الكتفين : والظهر ، فهم يجعلون ذؤابتين للعمامة او للقلنسوة في اغلب الاحيان . . . الخ ونحن نقول للمؤلف : انك جعلت القلنسوة — كالعمامة — ذؤابتين ، ولم تذكر لذلك شاهداً فأين هو ؟

وقد خطأ المؤلف لسان العرب وتاج العروس ومن نحا نحوهما في قولهم «تتوا الفسيلة» بحجة واحدة — اذا صحت تسميتها حجة — وهي ان ليس تتوان للنخلة ، لان ، التتو الذؤابة ، وليس في النخل ذوائب .. ونحن نقول له : لماذا لا يكون للنخلة ذؤابة ، او ليست ذؤابة كل شيء اعلاه ؟ اوليس الشعراء قد شبهوا ذوائب المرأة بذوائب النخل في مثل قول امرىء القيس :

وفرع يزين المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائرهُ مستشزرات الى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل

على انهـاك تصريحاً بجمل الذوائب تسخر في قول ابن منظور (ص ٣٦٦ ج ١ ) وصاحب التاج (ص ٢٤٩ ج ١ ) : واستعار بعض الشعراء الذوائب للنخل ، فقال :

جم الذوائب تنمى وهي آوية ولا يخاف على حافاتها السرق

ويقول ابو نواس :

لنا خمر وليس بخمر خل ولكن من نتاج الباسقات
بدا بين الذوائب في ذراها نبات كالاكف الطالعات

ويقول الاب انستاس في تلك الكلمة ايضاً «والذي عندنا ( كذا ) ان اعتذق لغة في اعتذب ، اي لغة من يعتقب في كلامه القاف والباء»

ونحن نلاحظ ان هـذا الذي « عندنا » المؤلف مذكور بنصه في التاج ( ج ٧ ص ٦ س ١٥ ) على أننا نحب ان ندل على أن كلمة « الناشد للمبر » قد ذكرها كلها أبو علي القالي في أماليه ( ج ١ ص ٣٤ و ٣٦ ) فجاء فيها « تتوا القلنسية » وكنا نود لو يذكرها المؤلف

٢ — ويقول الاب أنستاس ( ص ١٠٠ ) : قال ابن الاثير « والذباب جنس من الفأر لا يسمع لعلها (أي لعل الضبع) تأكله كما تأكل الجراد» وهكذا نقل هذه العبارة أصحاب المعاجم كالتاج واللسان وكل من أخذ عنهما فقد ذكر جميعهم «الجراد» وزن سحاب والمشهور أن الضبع لا تأكل الجراد انما تأكل «الجرذ» الذي يشبه الفأر في خلقه . الا انهُ أعظم منهُ ، اذن قولهم « جراد » هو في غير موطنه

ونحن نقول : قد ذكر صاحب التاج هـذه الكلمة صحيحة فقال ( ج ١ ص ٢٨٥ س ٢٣ ) . والذباب جنس من الفأر لا تسمع ، لعلها (أي الضبع) تأكله كما تأكل الجرذ ( كذا ) . فلا عيب ...!

٣ — ويقول الاب انستاس ( ص ١٣٣ ) : قال في تاج العروس « قال الاصمعي : التفة دويبة كجرو الكلب ، قال : وقد رأيتها ، أو كالفأرة ، وهذا نقلهُ ابن دريد وقد أنكره الاصمعي » قلنا : والذي نراه ان القارة أو الفار هنا يجب ان تقرأ بالقاف ، أي القار أو القارة ، والقارة الدبة ، والذي يرى هذا الحيوان يظنه دبة صغيرة ، فابن دريد صادق في كلامه ، فالتفة كالقارة ، والظاهر ان هذا التصحيف قديم حتى أنكر هـذا المعنى الاصمعي ، فالمقصود هنا ابن دريد لأنهُ تشبيهاً للتفة وهو اسم غير مألوف ، ولو قال « كالدبة » لما صحف من ابعد الازمان في القوم ، ولما قام عليهِ الاصمعي

ونحن نقول : لم يكن ابن دريد بعيد الزمن عن اللغويين بعداً يجعلهم يخطئون فيصححون كلمته « من ابعد الازمان » . . . وعجيب ان يظن المؤلف أن كلمة ابن دريد قد صحفت على الاصمعي حتى « قام على ابن دريد » فان الاصمعي قد مات قبل ان يولد ابن دريد ، وابن دريد يروي عن تلاميذه ، فهل قام عليه من القبر ؟!

ونودع الآن الاب أنستاس الكرملي شاكرين له جهده النافع في تحسين اللغة العربية وتخريجها في تحرير وتحقيق رفعت فتح الله

## على عتبة الامومة

تأليف الدكتور مصطفى المالكي — استاذ في التوليد والامراض النسائية — في جامعة بيروت الاميركية

صفحاته ٢٠٥ — مطبع بمطبعة طيارة ببيروت — ثمنه ٥٠ قرشاً سورياً

هذا كتاب مفيد . فهو في الناحية العلمية ، يشرح التناسل في النبات والحيوان على اختلاف مراتبهما من الراقي ، ثم يصف تركيب الاعضاء التناسلية في المرأة ، ويوضح كلّ ذلك بصور ورسوم كثيرة . ويلحق بهذا الجانب من الكتاب فصل في الحمل والتغيُّرات التي تطرأ على الحامل في اثنائه ، والاشتراكات او الاختلاطات التي تصاب بها الحامل مثل الغثيان والتقيوء وتورُّم الاطراف وما الى ذلك

ويلي ذلك فصول تحتوي على فروع الناحية العملية من الموضوع مثل العناية بالوليد والعناية بالحامل والعناية بالنفساء وقد لخصنا في باب ملكة المرأة فصل العناية بالحامل ومنهُ يتبين القارىء اسلوب الكتاب

وقد وقف الجانب الاكبر من الفصل العاشر على بيان « من هم اهل للزواج » ، وهو بيان له شأن اجتماعي عظيم يجب ان يقرأه كل والد وكل والدة ، وكل شاب وكل شابة ، لان الاقدام على الزواج قبل التثبت من خلوّ الجسم من بعض الآفات ، يجرُّ في ذيوله فواجع على نحو ما بيّنا غير مرة في المقتطف . فعلاوة على الامراض الزهرية ، هناك علل كثيرة يجب التأكد من شفائها اذا كانت من الادواء التي تخضع للمعالجة ، او من انتفائها اذا كانت من الامراض الوراثية قبل الاقدام على الزواج. ومن اغرب الادواء الوراثية داء الهموفيليا او النزف الوراثي . وقد وصفهُ المؤلف بقوله :

« هو داء غريب يلازمهُ نزف متكرر لا نستطيع التحكم بهِ في اكثر الاحيان الاّ بصعوبة شديدة قد تكون عديمة الفائدة . يحدث لدى اقل جرح او صدمة او صفعة . ومن غرائبهِ انهُ وراثي يصيب الذكور دون الاناث في معظم الاحيان ولكنهُ لا ينتقل الاّ بواسطة الاناث ..... فالذكور المصابون بهذا الداء لا مانع من زواجهم البتة لانهُ لا يحتمل ان ينقلوه الى اولادهم (مع انهُ من المحتمل ان يموتوا بهِ كما حدث لاحد ابناء ملك اسبانيا من عهد قريب وامرتهُ مصابة بهذا الداء) اما الاناث اللواتي هذا الداء وراثي في عيلاتهنّ فيجب ان لا يتزوجنَ لانهُ من المحتمل ان ينقلنهُ الى الذكور من اولادهنّ واذا تزوجنَ فالافضل ان لا يلدنَ »

***

وفي آخر الكتاب ملحق خاص بالاطفال لتدوين كل ما يتعلق بهم من تواريخ الولادة وقياسات الوليد وعلاماتهِ الفارقة ، وما قد يذكر عن ولادتهِ في الصحف والتهاني التي توجه الى والديه الخ

## ايام بغداد

### وصف شامل لنهضة العراق الحديثة ولمعالمه التاريخية

وضع هذا الكتاب حضرة الاستاذ امين سعيد بعد ما زار العراق وتنقل في عاصمته ومدنه التاريخية المشهورة مثل النجف وكربلا والموصل وسامرا فاسهب في وصف النهضة العلمية والعسكرية والعربية واختلط بعظماء العراق وقادته وشاهد قصور الملوك فوصف بساط الملك غازي وموكبه وبلاطه ووصف جلالة الملك علي وشباب العراق والوحدة العربية وزار المساجد الاثرية ووصف مشاهدها كمشهد الامام علي في النجف ومسجد الحسين في كربلا ومسجد الكاظم وصاحب الزمان وهي بوصف الحالة الاقتصادية في العراق ومنابع النفط وآباره في كركوك . وكانت مسألة الاشوريين في ايامها فزار منازلهم ووصف حياتهم وما هم عليه . وافاض في وصف انتشار الصحافة العراقية ومزاحمة الصحف العربية والسورية لها . ونسبة توزيع الصحف في العراق ووصف النفوذ البريطاني والمطارات البريطانية في العراق والاقليات في العراق كل ذلك باسلوب عربي فصيح اشتهر به الاستاذ امين سعيد في كتبه ومقالاته يجعل القارىء يشعر كانه مع الكاتب يشاهد آثار العراق ومجتمعاته واندیته وزيادة الفائدة نشر في كتابه صوراً كثيرة جلية واضحة تزيد القارىء شوقاً الى مشاهدة ذلك القطر العربي الناهض والانس باهله وعشيرته

والواقع ان الاستاذ امين يمتاز على كثير من الكتّاب بقلمه السيال وقريحته الوقادة وذهنه الحاضر وسعة معلوماته ولذلك نرى له في كل ميدان من ميادين الكتابة فضلاً وأثراً وقد احسن صنعاً بدخوله ميدان التأليف فغذى المكتبة العربية بكتبه التاريخية النفيسة مثل كتاب « ملوك المسلمين المعاصرون » وكتاب « تاريخ الثورة العربية الكبرى » وها هو ذا يطبع كتاباً جديداً في تاريخ الاسلام السياسي

***

وايام بغداد هذا يقع في ٢٤٥ صفحة بالقطع المتوسط وهو مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ويطلب من مكتبتها بجوار سيدنا الحسين بمصر فنوجّه اليه الانظار . فسيجد فيه القرّاء معلومات نفيسة عن مملكة العراق الفتية لا يتيسر له العثور عليها في غيره فضلاً عما فيه من لذة يشعر بها قرّاء كتب الرحلات لان القارىء ينتقل من قطر الى قطر وهو في مجلسه ببراعة الكاتب ولا سيما اذا رزق قلماً مثل قلم الاستاذ امين سعيد فنهنىء حضرته بتفوقه بعد ما هنأه جمهور من كرام الكتّاب والادباء والامراء

محيي الدين رضا

# باب الأخبار العلمية

## متفرقات علمية

[ اختارها ونقلها : عوض جندي ]

### اسلحة الحرب القادمة

أعلن عالم فرنسي أن اسطوانات الفونوغراف بتاح استعمالها لطبع الحركات الميكانيكية عليها كما يُطبعُ الصوت سواء بسواء ، فيكاد يتحقق بهذه الوسيلة ، الحلم الذي حلمهُ العلماء بأنهُ سيأتي يوم يستطيعون فيه تطيير الطائرات وتسيير الدبابات بقوة لاسلكية تسيطر عليها من بعيد

وقد عرضت هذه الطريقة امام الجمهور في باريس من عهد قريب فجيء بدبابة كهربائية وأطلقت في ميدان التجربة ، فكانت تغير طريقها وتتقهقر ، فتعكس اتجاهها ثم تقف في مكانها وقوفاً تامًّا دون أن تمسها أية يد بشرية . فتبيَّن ان اسطوانات الفونوغراف التي توصلوا بها الى اتمام التجربة يمكن بوساطتها تسيير الطوربيد الى ميناء منيع لكي يدمّر احدى مدرعات الاعداء ، وتسيير دبابة ايضاً الى مكامن مدافعهم الرشاشة فتطلق عليها النيران ثم تعود الى خنادقها الخاصة

ومن الميسور حينئذٍ احصاء تنقلات الطوربيد او الدبابة احصاءً مضبوطاً قبيل الهجوم وذلك بجهاز مسجل ذي ذراع يدور فيولد نبضات كهربائية تطابق توقيت الحركات الحربية المعقدة المبتغاة حيث يقوم جهاز كهربائي ملتقط بتحويل هاتيك النبضات الى طاقة ميكانيكية على حين تطبع ابرة الملتقط النبضات على الاسطوانة ويودع في جوف الدبابة آلة ناسخة ( مؤلفة من محرك كهربائي وسوار دوارة لكل منها ملتقط كهربائي ) ولابر الملتقط عقارب ذات زنبركات تتبعها في خطوطها المرسومة بالاسطوانة . وتستعمل لتلك الغاية اربع اسطوانات . إحداها لتحريك الدبابة ووقفها . والثانية لقيادتها . والثالثة للتحكم في سرعتها . والرابعة لتسديد نيران المدفع الرشاش واطلاقها . وتقوم الاجهزة الكهربائية الملتقطة بملاحظة الاوامر المرسومة على الاسطوانات فتحولها الى طاقة كهربائية ثم تبعث بها الى المفخمات والاجهزة المتممة للدورة الكهربائية فيتقوى التيار الكهربائي جدًّا ، على ذلك النحو فيلبي نقلهُ بالاسلاك الى مغناطيسات كهربائية تدير الفرملة وزمام البنزين وتروس الادارة في الدبابة ثم تطلق مدفعها الرشاش . وبهذه الوسيلة يتسنى للطائرات الخالية من الطيارين ، اذا جهزت بامثال ذلك الجهاز ، الطيران مُقلةً البريد بين شاطئي المحيط الاطلنطي في بضع ساعات . ويركب فيها جهاز موازنة اوتوماتيكي ليقوم بموازنتها فتطير في طريق مستقيم باقصى

سرعتها ثم تتمكن من الهبوط الى الارض بوساطة مظلة واقية وذلك عند بلوغ النهاية السابق تحديدها اذ يقف محركها وتنفتح مظلتها الواقية فتهبط الطائرة الى الارض سليمة عند نهاية رحلتها

## سيارة تصغي للصوت البشري

والشيء بالشيء يذكر فقد عرضت في مدينة نيويورك حديثاً سيارة لا سائق لها . وانما يقودها سائق كهربائي ، وفقاً للصوت البشري كما لو كان سائقها انساناً جالساً في مقعدها الامامي وذلك بأن يعمد امرؤ الى تليفون قريب من موقف السيارة فيلقنها بالتليفون بصوت خافت ، التعليمات المرغوب في تنفيذها . فلا يكاد يفرغ من التفوه بأوامره حتى يرى السيارة تزايل مكانها وتتابع سيرها حتى يقفها هو بأمره ايضاً . ثم يأمرها بالتقهقر فتلبي الطلب . ومتى اراد وقفها وقفت مرة اخرى . واذا رغب في اضاءة مصابيحها انيرت . ومدار تسييرها بلبانها على ذلك النمط ، بطارية كهربائية حساسة بالنور تعمل فيها طبقاً لاشعة الضوء التي يسيطر عليها ذلك التليفون بحيث ان كل كلمة يلقيها المتكلم في أمر التليفون تتولد منها شعاعة نور من مصباح مستكن في شجرة صغيرة قريبة من مستودع السيارة

وتختلف الشعاعات التي تؤثر في البصاصة الكهربائية من شعاعة واحدة الى اربع شعاعات فتحرك الاجهزة المجددة للدورة الكهربائية التي تتحكم في تنقلات السيارة . وقد تتعثر هذه السيطرة ما دامت السيارة قريبة من المصباح المختفي في الشجرة بحيث يتسنى القاء اشعته على البطارية الحساسة بالنور الآنفة الذكر وتأثيرها فيها التأثير المرغوب

## العث واختبار المنسوجات

أنشئ في مدينة فيلادلفيا ، من اعمال دولة الولايات المتحدة الاميركية ، مبحث علمي يعدُّ فريداً في العالم . أسسهُ مصنع من مصانع المنسوجات الصوفية هناك ليختبر به الوسائل المختلفة التي يتذرع بها الى مناهضة العثّ الذي يلحق الثياب الصوفية فيفنيها

ويعتاض العلماء في ذلك المصنع من الارانب الرومية التي تستخدمها كل المختبرات العلمية في مباحثها بالالوف المؤلفة من العث فيحسونها ويستعينون بها في تجاربهم . وذلك بوضع اجهزة منظمة للحرارة الكهربائية Thermostats تجعل الغرف ذات حرارة ملائمة للعث ثم يغذونهُ بقطع من نماذج تؤخذ من المنسوجات المستعملة للمفروشات التي تعالج بالمواد المضادة للعث ، فيتاح لأرباب المصنع اختبار اصناف المواد المختلفة التي تمنع العثّ عن التهام المنسوجات ومتى قلَّ عدد العث في ذلك المبحث العلمي عن القدر الذي يحتاج اليهِ في تجاربهِ قام بشراء ما يلزمهُ منهُ بسعر الواحدة خمسة سنتات اي قرش صاغ ( عند اعتدال اسعار المصارف الدولية ) وذلك من الغلمان الذين يصيدون العثّ لاجلهم

## دبابة جديدة تطلق حجاباً من الدخان

اخترعت وآسة الجيش في جمهورية ولايات اميركا المتحدة دبابة تطلق حجاباً كثيفاً من

الدخان قدام طلائع الجيش المشاة وقاية لها من نيران عدوها قبل هجومها عليه وتحسب هاتيك الدبابات احدث انواع الاسلحة ، اذ تستطيع سرعة التنقل ( على الاراضي التي مزقت اديمها القنابل) محتوية على جهاز يولد الدخان. فتتقدم المشاة وتطلق سحابة كثيفة من دخان ابيض ، حيال خط الاعداء . فتتمكن المشاة من الهجوم تحت ذلك الستار الدخاني دون التعرض للقذائف التي يصوبها اليهم جنود الاعداء . ومتى قامت الدبابات باطلاق ذلك الحجاب ، اخذت في مباشرة اعمالها الاعتيادية وهي مهاجمة مكامن المدافع الرشاشة

ويزعم العليمون انهُ من الميسور ان تقطع الدبابة عشرين ميلاً في الساعة سائرة على اطوافها المحيطة بمجلاتها فوق الارض

## مطعم تشيكوسلوفاكي اوتوماتيكي

فتح جديثاً في مدينة براها وهي براغ سابقاً عاصمة تشيكوسلوفاكية مطعم مجهز باحدث الاجهزة الكهربائية التي تقوم بخدمة الوافدين عليهِ ،بخدمة تامة عوضاً عن النذل . فاذا ما دخله الجائع ودفع الثمن المحدد للاكلة وقف في موقف مرقوم بحسب دوره عند مائدة مستطيلة،حيث يضغط زرًّا كهربائيًّا مسلطاً على سير دوّار تحت وسط تلك المائدة ،فيقدم لهُ السير الصنف الاول من اصناف الطعام فيأكله . ثم يضغط ذلك الزر مرة اخرى فيقدم له نوعاً آخر من الغذاء وهلم جرًّا وفي ذلك المطعم سيور اخرى تدور بعكس دوران السير الاول ، تحت طرفي المائدة يضع عليها الشباعى الصحون الفارغة فتنقلها الى المطبخ

## نهر من المداد

في ولاية الجزائر بشمال افريقية نهر يسمّى ( نهر المداد ) مؤلف من جدولين تكثر في أمواههما المواد الكيمائية المتولدة من أملاح الحامض التنيك — أي المداد الحديدي . وذلك لان احد ذينك الجدولين ينبع من تربة مشبعة بالحديد ، والآخر ينبع من مستنقع مملوء بالفحم الحجري النيء المشبع عادة التنين — الحامض التنيك

## السمك الرامي

في جزائر الهند الشرقية ضرب عجيب من السمك يسمى (السمك الرامي) ومرماهُ بندقية بخاخة !! اذ انهُ يستطيع قذف رميَّته بقطرة يبخُّها من شدقيه الى بعد اربع اقدام ، بحكما محكماً على الحشرة التي يشتهيها فيصرعها توًّا ويلتقمها من سطح الماء(وقد وصفت ذلك السمك باسهاب في مقالي : الطبيعة وائد المخترعين الذي نشر في جزء فبراير سنة ١٩٣٤ )

## تصحيح خطإ

جاءنا من الأمير مصطفى الشهابي بعد الشروع في طبع مقاله « الوان الخيل وشياتها » ان ضبط السلغد صفحة ١٧٩ سطر ٢ هو كما يلي « السِّلْغَدُ » فضبطناها فيما تيسر من الورق الذي لم يطبع واشرنا الى ذلك هنا للبيان

# فهرس المجلد السادس والثانون

صفحة


١٢٥ ارتقاء عن الملك وتأثيره في التفكير الحديث (مصوّرة)
١٣٣ ميجيل دي أونامونو : الآنسة هي (مصورة)
١٤٠ الزعامة وصفات الزعيم : للدكتور عبد الرحمن شهبندر
١٤٥ القصص في الادب العربي : للدكتور احمد ضيف
١٤٩ أعلام الطب العربي : للدكتور فيليب حتي
١٥٣ فيرلين الشاعر : لعلي محمود طه
١٥٩ عقيدة عالم كبير : للسر آرثر كيث
١٦٥ أنشودة الصباح (قصيدة) لخليل شيبوب
١٦٦ منبر الرسول وتطور المنابر : بقلم جناب الكابتن كرسويل (مصورة)
١٧٢ السر سعيد شقير باشا (مصوّرة)
١٧٨ ألوان الخيل وشياتها : للأمير مصطفى الشهابي
١٨١ الفلاحة الفرعونية : للدكتور حسن كمال (مصوّرة)
١٨٦ العلم يكشف عن ضمائر المجرمين
١٩٠ فردريك وهلر
١٩٧ محاكمة ماتا هاري
٢٠٥ سير الزمان : مشكلة وادي النار : الدولة المندمجة : الدكتور شاخت
٢٢١ حديقة المقتطف : أعمدة التلغراف : للكاتب البولوني غلواكي. الحب : لشلي. المعبد : لالفونس دي لامرتين
٢٢٧ مملكة المرأة : روزا بونور . العناية بالحامل : للدكتور مصطفى الخالدي . مكافحة الرمد : للدكتور فريد مسعود


---


٢٣٨ باب المراسلة والمناظرة ● ارشاد لنوي للاستاذ عبد الرحيم بن محمود
٢٤٠ مكتبة المقتطف ● مضلة السرطان : جبران خليل جبران : أغلاط اللغويين الاقدمين . على عتبة الاربعين . ايام بغداد
٢٤٧ باب الاخبار العلمية ● وفيه ٧ نبذ

حلاة الشتاء في بلدة سانت مورتز سويسرا

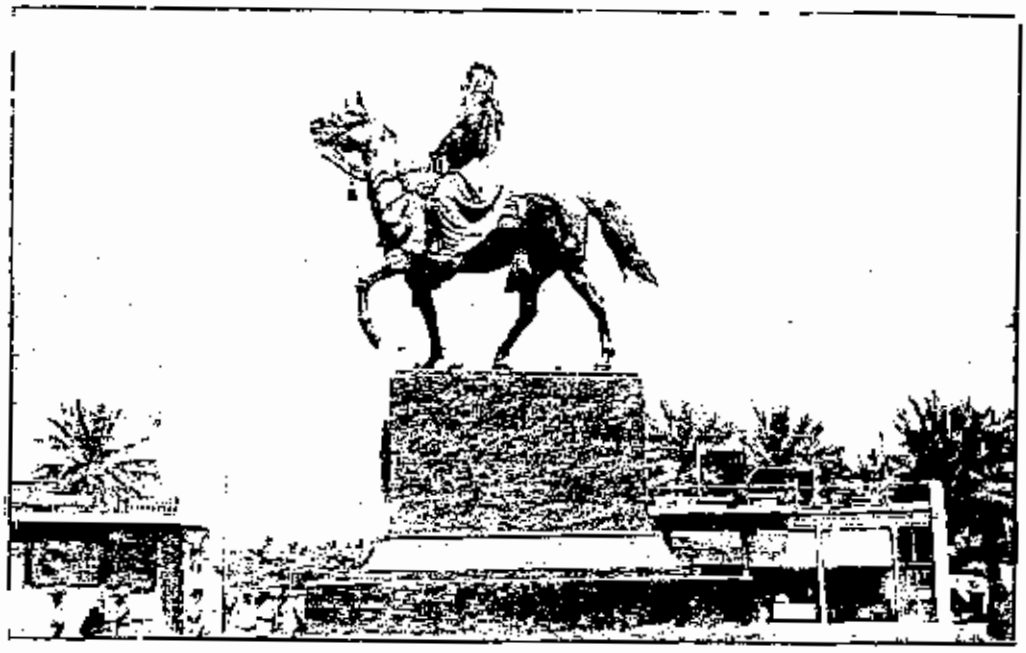

تمثال الملك فيصل عند مدخل لندن من جانب الكرنج

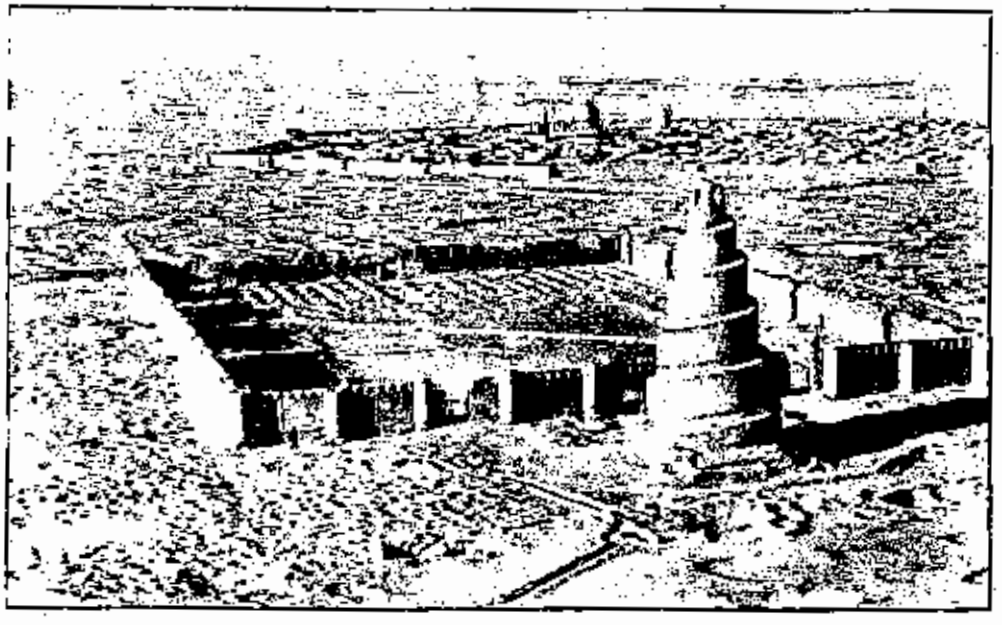

« سرّ من رأى » في العراق

الجـــامع المعظم ببغداد

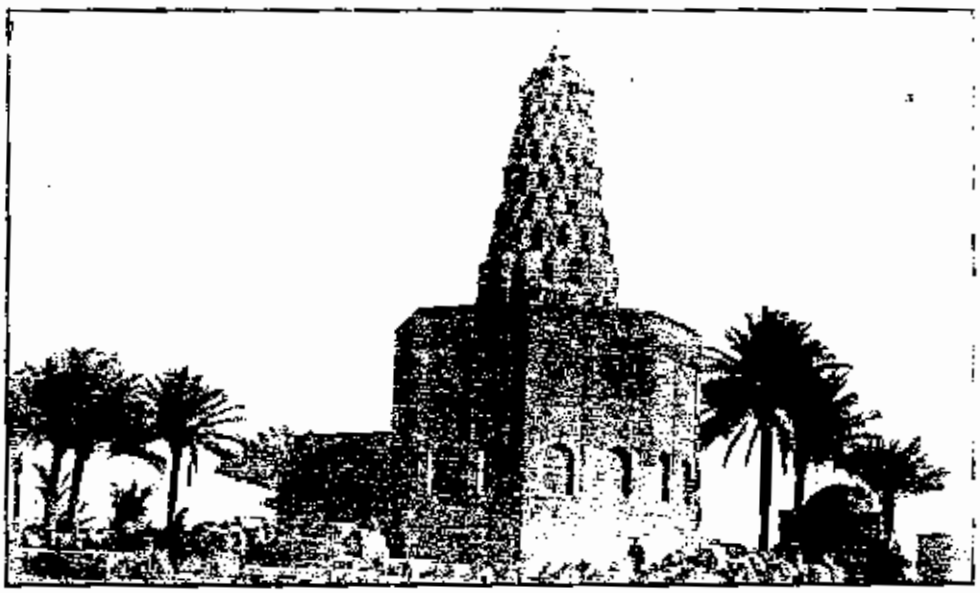

مدفن الست زبيدة ببغداد

حلقات زحل كما تشاهد من مقيم على سطح السيار

( تصوير رودو )

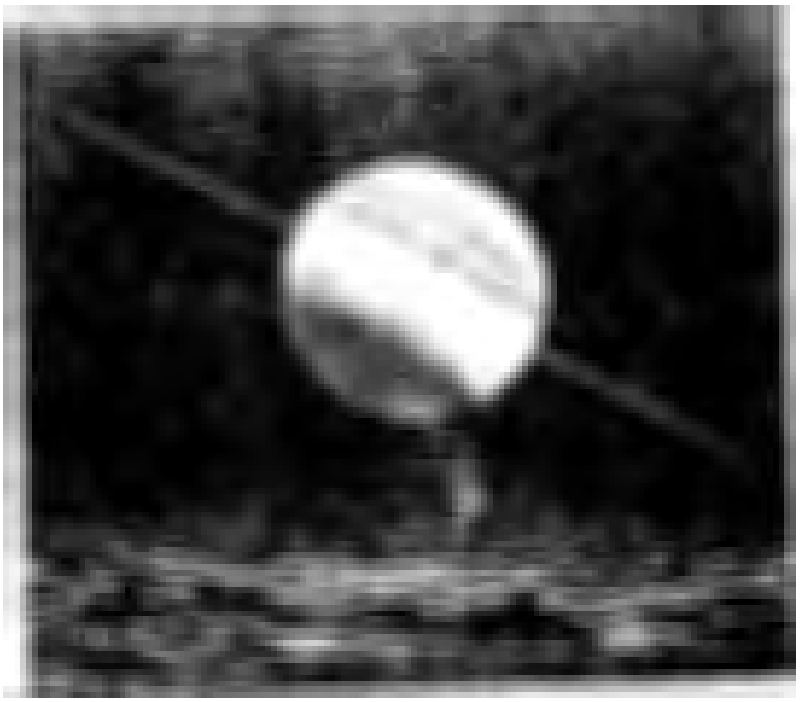

هنا زحل
وحلقاته تبدو هنا
خطاً دقيقاً لرؤيتها
من الجانب

( تصوير رودو )

المشتري
كما يشاهد من اقرب
أقماره اليه

( تصوير رودو )

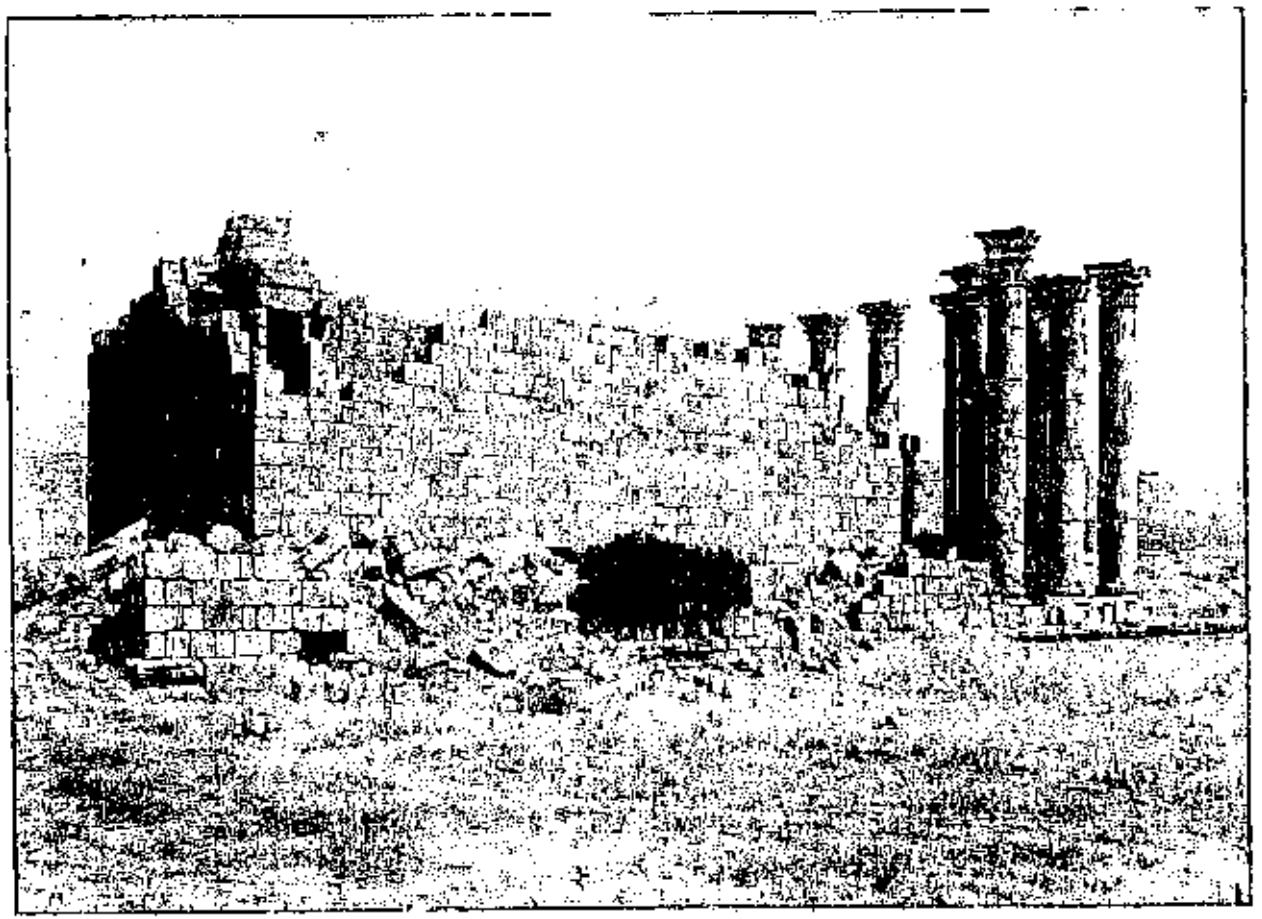

هيكل ارطاميس العظيم في جرش في شرق الاردن

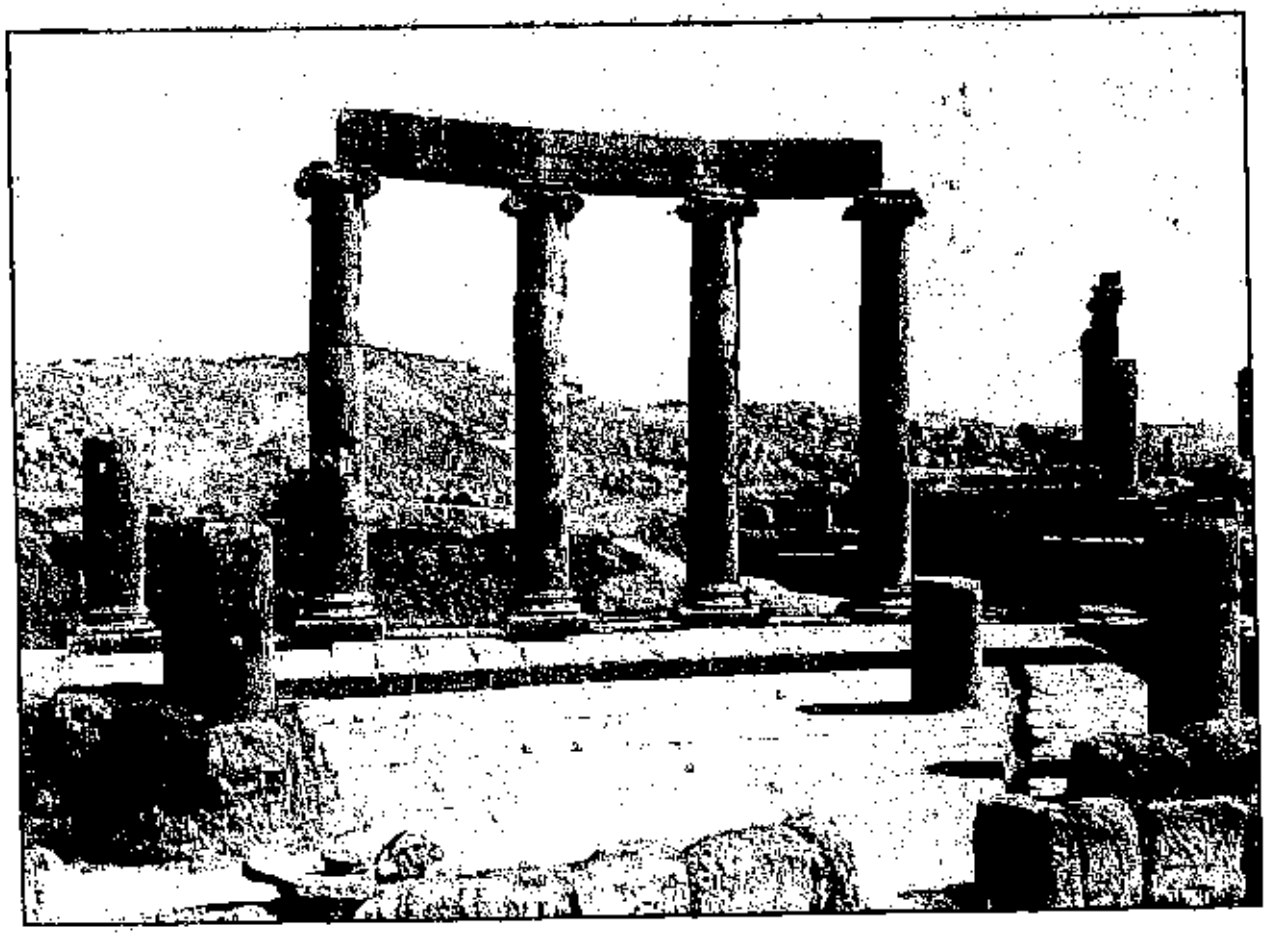

جانب من الأعمدة حول «الساحة العامة» في جرش بشرق الاردن

الرائد الاميركي الاميرال رتشرد برد

Rear-Admiral Richard E. Byrd

( انظر مقالة روح الرواد صفحة ٣٣٠ )

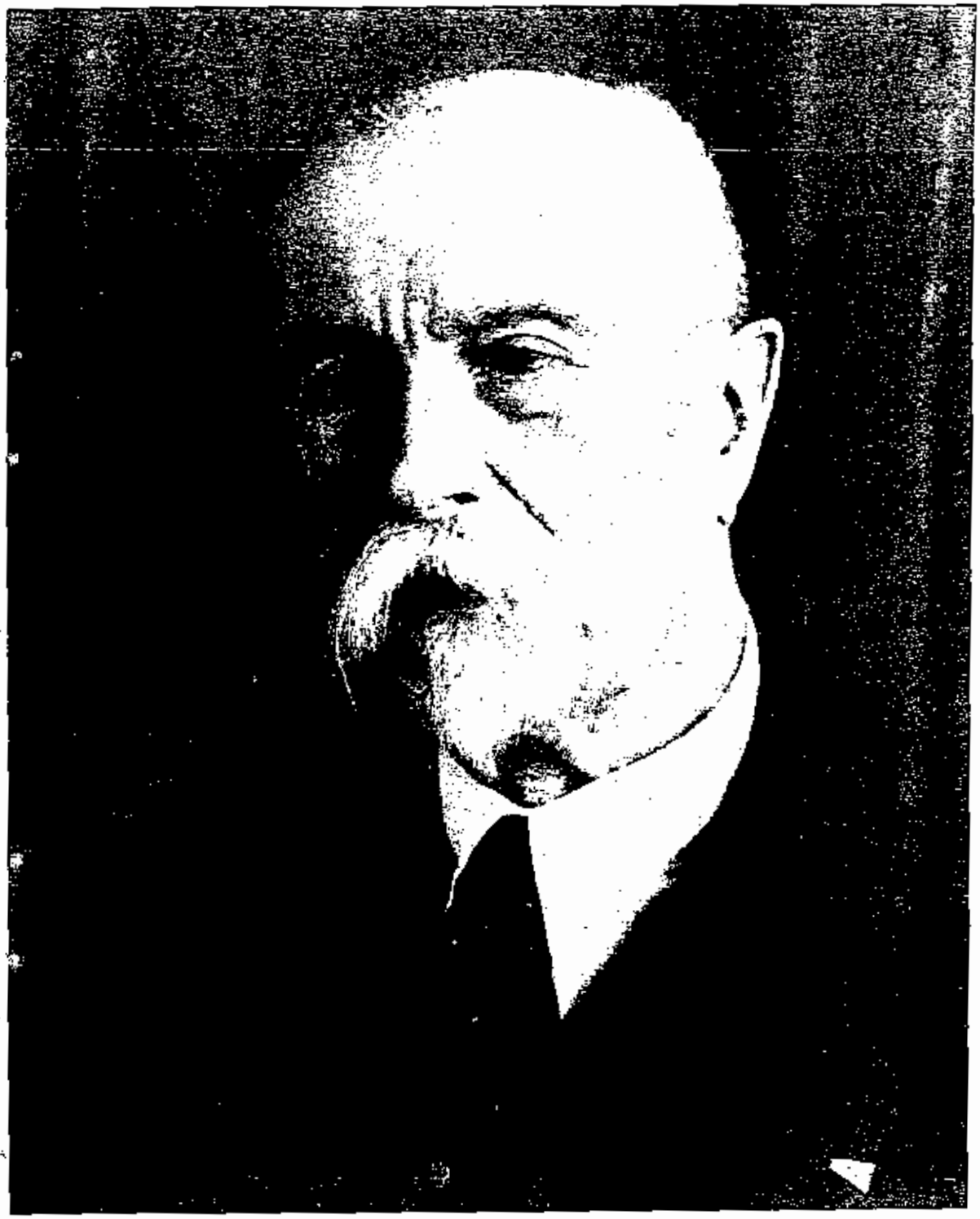

توماس ماساريك
Thomas Masaryk
رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا